

حلم

أحمد منيب

المكتبة المصرية الحديث

2014

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى 1435 هـ - 2014 م



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

منيب، أحمد ، 1940 -

حلم / أحمد منيب . - ط 1. - القاهرة : المكتب المصري الحديث، 2014،

430 ص 20 سم

تكمك 3 254 209 977 978

1- القصة العربية

أ-العنوان

813

بتاريخ 2014/5/5

رقم الإيداع 9297 / 2014

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة المؤلف على ذلك كتابة ومقدمًا

جميع الأحداث والشخصيات الواردة في هذه الرواية

هي من خيال المؤلف وإن تشابهت مع الواقع

المكتبة المصرية الحديث

e-mail: may642003@yahoo.com

www.almaktabalmasry.com

ت : 23934127

القاهرة : 2 شارع شريف عمارة اللواء

ت : 4846602

الإسكندرية : 7 شارع نوبار المنشية

إهداء

إلى

يوسف و علي

سيأتي يوم عندما يشتد عودكما وتحيدان القراءة

ربما بعد عقد من الزمان

تكون

مصر قد خرجت بإذن الله من كبوة خطأ حكم الإخوان

ومن والاهم

عندئذ ستتساءلان هل حدث كل هذا يا جدي ؟

نعم

هذا قليل من كثير

يضيق به مثل هذا العمل

المؤلف في سطور

أحمد (محمد) منيب

مواليد 3 يناير 1940

تخرج في كلية الحقوق - جامعة القاهرة - يناير 1961

عمل بمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في قسم التحرير

عمل بقسم النشر في الجهاز المركزي للتدريب

عمل في وزارة القوى العاملة والتدريب وتدرج في مناصبها :

• مستشارا عماليا في سفارة جمهورية مصر العربية - عمان - الأردن

(1992-1996)

• مدير عام المكتب الفني لوزير القوى العاملة والهجرة (1997-1999)

• وكيل الوزارة للأمانة العامة (1999- 2000)

حصل على نوط الإمتياز من الطبقة الأولى 2001

فنان تشكيلي وعضو عامل في نقابة الفنانين التشكيليين :

قدم سبعة معارض فردية بعنوان : حوار بين الطبيعة والفنان

شارك الفنان يوسف رأفت في معرضين:

• قاعة ابداع بالزمالك - القاهرة

• قاعة اتيلية - الأسكندرية

له ترجمات ومقالات متعددة في مجالات القوى العاملة

شارك مناصفة في ترجمة كثير من الكتب من أهمها :

• المبادئ الأساسية للصحافة

• النظام الاقتصادي العالمي الجديد

• كيف نجعل العولمة مثمرة

• ترجمة كتاب : البنك الدولي وصندوق النقد الدولي

• الانتخابات الحرة والنزيهة

حلم

الخميس الثاني والعشرون من أغسطس 2013، نصف الشهر قد مضى تقريبا على إعلان حالة الطوارئ نظراً لتعرض الأمن والنظام في أراضي الجمهورية للخطر بسبب أعمال التخريب المتعمدة والاعتداء على المنشآت العامة والخاصة وإزهاق أرواح المواطنين من قبل عناصر التنظيمات والجماعات المتطرفة.. فقد كان الوضع الأمني والشارع خارجين عن السيطرة حين بدأت حكومة د. حازم الببلاوي عملها، وكان لابد للقانون أن يستعيد قوته وهيبته... إن فض اعتصامي رابعة والنهضة دون إراقة الدماء كان ضرباً من الخيال ولكنه كان اختياراً صعباً بين السيئ و الأسوأ.

ارتفعت درجة حرارة الجو وازدادت نسبة الرطوبة عن معدلاتها المحتملة واشتعل الصراع بين الجماعات الإسلامية التي تطالب بعودة الشرعية وعودة الرئيس المخلوع محمد مرسي وبين سائر قوى الشعب.. الشرطة تلاحق قيادات الإخوان الهاربين والمطلوب القبض عليهم بمعرفة النيابة العامة. والجيش والشرطة يحكمان السيطرة على سيناء بعد ما تغلغت قوى وجماعات الإرهاب الأسود فيها. فالعناصر التي أفرج عنها الرئيس المعزول مرسي بقرارات عفو رئاسية وصلت إلى 59 سجيناً بينهم 56 ألقى القبض عليهم ما بين عامي 2010 و2012 بتهمة تهريب الأسلحة الثقيلة من ليبيا إلى سيناء، تضم قائمة المفرج عنهم عناصر إرهابية لهم أتباع وقاموا بتجميع أنصارهم في سيناء عقب عزل الرئيس مرسي والقيام بأعمال إرهابية رداً للجميل.

شهداء وجرحى من بين أفراد القوات المسلحة والشرطة البواسل والشعب وملاحقات لأفراد هذه الجماعات الإرهابية والقبض على معظم رموزها ولقى الكثير منهم حتفه.. كما ساهم اتساع الفجوة بين الشعب والطبقة الحاكمة في عهد مبارك في ازدياد الفساد واتساع الهوة بين الشرائح الاجتماعية مما أدى إلى اضمحلال وتآكل ثقافة المواطنة ومنظومة القيم السائدة في المجتمع.

ولقد فشل الإخوان فشلا ذريعا في إدارة البلاد حيث تفاقمت الأزمة في مصر بين مؤسسة الرئاسة والمعارضة والشعب بسبب ضيق أفق مؤسسة الرئاسة ومكتب الإرشاد الذين ظنوا أنهم يحكمون لصالح جماعتهم وعشيرتهم مما ساهم بشكل سريع باندلاع مظاهرات 30 يونيو 2013 التي أضحت نقطة فاصلة وتحولا فعليا في الحياة السياسية في مصر. احتشدت الملايين في ميدان التحرير ومحيط القصر الرئاسي "الاتحادية" في القاهرة، و في الإسكندرية و في ميادين سائر المحافظات للمطالبة برحيل الرئيس محمد مرسي في مشهد يجمع المراقبون على أنه أكثر حشدا من مظاهرات ثورة 25 يناير التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك في عام 2011.

فقد شاهد العالم عبر الفضائيات امتلاء ميدان التحرير عن آخره إضافة إلى امتلاء الشوارع المحيطة به والجسور المؤدية إليه في استجابة لدعوى قوى معارضة بالخروج في مظاهرات لمطالبة مرسي بالرحيل وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة. كما امتلأ محيط قصر الاتحادية الرئاسي، بمصر الجديدة، والشوارع المتفرعة منه بالحشود الغفيرة، وهو مشهد لم يكن موجودا في مظاهرات ثورة 25 يناير، حيث لم يتوجه المتظاهرون طوال الاعتصام الذي دام لأكثر من أسبوعين في ميدان التحرير إلى القصر سوى في اليوم الأخير

الذي وافق 11 فبراير كخطوة أخيرة لحصار مبارك هناك، وشارك في ذلك بضعة آلاف لم يتمكنوا من الوصول إلى القصر نظرا لتواجد الجيش، بالإضافة إلى إعلان مبارك التنحي في مساء ذلك اليوم.

سنة كاملة ويوم تحمل الشعب المصري الكثير فيها من حكم مرسى ومكتب الإرشاد. تخبط في القرارات وارتباك في السياسات. وشعب عظيم أصبح خبيرا ضليعا في حكم البلاد. وظهرت لنا وجوه ما سمعنا عنها من قبل وإن كانت معروفة لدى الأمن الوطني - تتطلع في أعضاء مجلسي الشعب والشورى تجد وجوها ملتحية لم نألفها من قبل - كأننا عرفنا الإسلام فجأة. وكأن فريقا منهم اختصر الإسلام في اللحية والجلباب وقال الله وقال الرسول، وفريقا اختصر الديموقراطية في صندوق الانتخابات.

حرارة الجو مرتفعة وتهافت القادرون على أجهزة التكيف وما هو متاح من طاقة كهربائية - أضحت متاحة بين نظام حكم وآخر.

هرب من هرب إلى الساحل الشمالى ليتخلصوا جزئيا من إرهاب سنة الأمور فيها لم تكن مستقرة واحترقت فيها الأعصاب وتوترت فيها النفوس الهادئة المطمئنة.

هرب من هرب إلى مارينا وما أدراك ما مارينا حيث الإنفاق يصل أحيانا إلى حد غير معقول وربما إلى مدى غير مقبول، والشاطئ يعج بالبسة البحر جميعا من مايوه قطعة واحدة إلى مايوه قطعتين يغطى ولا يستر ويكشف عن المستور بمقدار، وإلى أبو تلات وما أدراك ما أبو تلات حيث الطبقة الوسطى في مراتبها الدنيا وإنفاقها الملتزم بما هو متاح وألبسة البحر الشرعية التى تصل أحيانا إلى حد نزول النساء البحر بالجلباب أو حتى بقميص النوم إما بعد شروق الشمس وإما بعد غروبها .

كل ينفق من سعته وكل يتلقى القطفة الأولى من هواء البحر البارد القادم من أوروبا أو حتى من القطب الشمالي . وما بين مارينا وأبو تلات متتجعات لكل المستويات والتطلعات.

كان الأستاذ عبدالرحيم قنديل يلوذ إلى مطار القاهرة الذى يسكن على مقربة منه فهو جاره وهو ساكن قصاده ليستمتع بالتكييف فى صالات توديع المسافرين.. اليوم كل شئ غريب.. ازدحام أو زحام غير مسبوق فى أعداد المغادرين هربا من موجة حر أعلن عن قدومها من الأراضى السعودية و ارتفاع درجات الحرارة ما بين خمس درجات مئوية وسبع درجات مئوية عن معدلاتها المعتادة، وربما التماسا للراحة من أعباء العمل طوال العام، أو جمع شمل الأسرة بعد عام دراسى طويل ومرهق بالدروس الخصوصية بدءا من كى جى 1 وانتهاء بالثانوية العامة المبعجلة أو رحمة بأنفسهم من تداعيات الاعتصام فى رابعة العدوية حيث نصب الإخوان المسلمون وأعوانهم الخيام الواحدة تلو الأخرى بالميدان فى محاولة لتثييت رئيسهم فى مواجهة مهلة القوات المسلحة للخروج من الأزمة. وربما كان ترك الإخوان المسلمون وأعوانهم فى منطقتي رابعة والنهضة لمدة طويلة كان من أسباب ما نعانیه الآن من انفلات أمني.

كان الأستاذ عبدالرحيم قنديل وما زال يجد متعة ما بعدها متعة فى متابعة المغادرين فلم يكن واحدا منهم بعد أن تخطى عمره الستين بما يجاوز العشر سنوات - ليس لضيق سعة اليد وإنما لعشقه للقاهرة ولا سيما مصر الجديدة التى أمضي فيها ما يزيد عن نصف قرن من الزمان. هكذا أقنع نفسه بأنه سندباد متقاعد، أو سندباد نال منه الزمان، أو شيخ أكل عليه الدهر وشرب. واقتنعت نفسه بالأمر الواقع لأنه سافر فى شتى أنحاء

الدنيا.. فعشقه للقاهرة لا ينفك عنه وولعه وحبه لمصر الجديدة لا مهرب له منه.

هل كان يجد في حركة المسافرين ما يذكره بسالف الأيام .. وهي مديدة بما حفلت به من أحداث..ربما.. لكن من المؤكد كانت ذاكرته تشتعل توهجا عندما يتم النداء على رحلة إلى مدينة أو إلى بلد سافر إليه. فعندما ينادى على رحلة ميونيخ يبرز على المخيلة أكتوبر فست عيد البيرة حيث يلتقى ملايين من هواة شرب البيرة من جميع أنحاء العالم في ميونيخ العاصمة البافارية على مدى أسبوعين، كما يتجلى قصر نيفنبرج بما يحتويه من حدائق غناء خلاصة سار في ممراتها، وبحيرات ألقى فيها بفتات الخبز للأوز الذي يسبح في مياهها، ونافورات جميلة جداً التقط صورا إلى جوارها . وإذا نادى الميكروفون على رحلة إسطنبول تجلى البوسفور أمامه فهو .. القائل إذا لم تقم بجولة في البوسفور فلا تعتبر نفسك زرت إسطنبول . وهو لا يعرف كيف احتلت باريس كل هذه المساحة من ذاكرته.. وعندما تداهم الحياة بمشاكلها يهرب منها مؤقتا إلى ألبوم الصور ويستعرض صور باريس مدينة النور: متحف اللوفر... ويضم مجموعة قيمة و كبيرة من التحف و الآثار... ميدان الكونكورد من أكبر ميادين باريس وتتوسطه مسلة مصريه ضخمة أهدتها مصر لفرنسا لجهود علمائها في علم المصريات، وبرج إيفل.. وقصر فرساي بحدائقه الواسعة وقصر التريانون... يقرب الصور التي تُجَدِّد الذكريات وتنشط العقل وتنعش الخيال وتُرَوِّج عن النفس فتصفو ويصبح قادرا على المواجهة وحل ما يصادفه من مشكلات.

يعرف أن مصر وطن يعيش فينا وليس وطننا نعيش فيه. تعيش في وجدانه أحداثها بكى واكتأب وانعزل عن الناس عندما منيت مصر بكارثة الهزيمة

في يونيو 1967 ورفض الهزيمة.. وظل يراقب ما يجري على الجبهة مترقبا إشارة أو أمانة على أن الأمل مازال موجودا وأن ما حدث عارض مصيره الزوال .

وجاءت معركة رأس العش التي دارت أحداثها السبت أول يوليو 1967 بالقرب من ضاحية بور فؤاد عندما حاولت المدرعات الإسرائيلية احتلالها، لكن قوة من الصاعقة المصرية نجحت في صد الاعتداء الإسرائيلي. كانت الحادثة بمثابة الشرارة التي أدت لاندلاع حرب الاستنزاف على ضفتي قناة السويس لنحو ثلاث سنوات - حاملة بارقة الأمل. ورقص على قارعة الطريق عندما أغرقت القوات البحرية المصرية المدمرة الإسرائيلية إيلات في البحر المتوسط أمام مدينة بورسعيد في السبت 21 أكتوبر 1967 بعد أربعة أشهر من حرب 1967 حيث أيقن أن النصر قادم لا محالة. وعندما عبر الجيش المصري الباسل قناة السويس في حرب أكتوبر المجيدة 1973 وقضي على أسطورة الجيش الذي لا يهزم... لم تسعه الدنيا فرحة.. فتلك فرحة النصر.. عبور عبقرى لمانع مائى لا يجتازه إلا جند مصر خير أجناد الأرض.

وإذا كانت ثورة 25 يناير 2011 قد هزته فإن ثورة 30 يونيو 2013 لا تفارق خياله.. المقارنة بين المشهدين شئ لا يصدق عقل. فتورة 25 يناير 2011 أنت بحكم الإخوان المسلمين للحكم وثورة 30 يونيو 2013 أزاحتهم من الحكم إلى غير رجعة. وسبحان من له الدوام ... يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهو على كل شئ قدير. فمن كرسي الرئاسة الى سجن برج العرب.

والآن تشتعل ذاكرة الأستاذ عبدالرحيم بمشهد تولي الرئيس محمد مرسي رئاسة الجمهورية...

تصفيق وصيحات وأناشيد وأغاني وترحيب منقطع النظير.. مشهد هز مشاعره. فيه تندفق المتافات هديرا يهز أركان ميدان التحرير. زغاريد فرح وأعلام مصر وأعلام ملونة ويافطات تأييد يموج بها الميدان تلويحا يمينا ويسارا. هتافات مدوية لمئات الألوف من المصريين احتشدوا لبروا ويتيقنوا أن الحلم أصبح حقيقة. ليستمعوا إلى رئيسهم المنتخب محمد مرسي... اجتمعت الجماهير من كل حذب وصوب ومن مختلف أطراف المجتمع الدينية والسياسية والتفت حول الأمل.. كان حدثا تاريخيا بكل المعايير.. صرخة شعب اخترق حاجز الخوف... صرخة مدوية لقلوب تعيش لحظة ميلاد جمهورية جديدة... ميلاد فجر جديد... ميلاد مصر جديدة.. كلنا شركاء فيها. استهل الرئيس مرسي كلمته قائلا:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،.. "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" صدق الله العظيم.

أيها الشعب المصري العظيم.. أيها الأحباب الكرام، يا شعب مصر العظيم.. أيها الواقفون في ميدان الثورة في ميدان الحرية في ميدان التحرير

جئت إليكم لأنني مؤمن تماما أنكم مصدر السلطة والشرعية التي تعلقو علي الجميع، لا مكان لأحد ولا مؤسسة ولا هيئة ولا جهة فوق هذه الإرادة، الأمة هي مصدر السلطات جميعها، وهي التي تعقد وتعزل. من أجل ذلك أتيت اليوم إلى هنا، الكل يسمعي

الآن، الشعب كله يسمعي، والوزارة والحكومة والجيش والشرطة ورجال مصر ونسائها ورجالها في الداخل والخارج، أقولها وبكل قوة لا سلطة فوق هذه السلطة أنتم أصحاب السلطة.. أنتم أصحاب الإرادة.

أنتم مصدر هذه السلطة تمنحوها لمن تشاؤوا وتمنعوها عمن تشاؤوا....

صورة رائعة رسمها في خياله ونطق بها لسانه ولكنه لم ينفذها مطلقا على أرض الواقع وخرج على جميع مفرداتها على امتداد الفترة التي قضائها في الرئاسة.

وسبحان مغير الأحوال لم يكن الشخص المرشح للرئاسة هو الرئيس المنتخب. هل كانت الأحداث أكبر من احتماله ومن ثمة حدث انفصام في الشخصية... هل التغير المفاجئ مما كان فيه إلي ما أصبح عليه كان مهولا لم تتحمله شخصيته البسيطة ونشأته المتواضعة في محافظة الشرقية ومجتمع الجماعة المغلق. لكن المؤكد أنه نال درجة الدكتوراة ولم تتأثر لا لغته الإنحليزية ولا حياته الاجتماعية بما شاهده في الولايات المتحدة...

تتابع الأحداث وتتوالى أخطاء الرئيس مرسى الكارثية بداية بالغاء حكم المحكمة الدستورية العليا بحل مجلس الشعب والحيلولة دون تمكين المحكمة الدستورية العليا من إصدار حكمها في شأن مجلس الشوري. كان من المنتظر بعد الانتهاء من الدستور تشكيل حكومة قوية غير حكومة د. هشام قنديل، وتعيين نائب عام من خلال مجلس القضاء الأعلى، وهي طلبات منطقية، وألحت كثير من تصريحات الإخوان أنها سوف تتم تلقائيا.

ولكن كالعادة بقيت الحكومة الضعيفة حتى لا تغطي على مؤسسة الرئاسة ومكتب الإرشاد الهزيلين . وتم تعيين نائب عام ملاكي عموم الإخوان . كالعادة ومثلما توقع جميع المصريين خرج الرئيس محمد مرسي في الثالث من يوليو 2013 ليلقي خطاباً مكرراً ومملأً، استخدم فيه نبرة غاضبة وهدد بسفك الدماء و بالعنف وباشعال حرب أهلية وربما سقطت منه سهوا كلمة أنا أو الفوضى .

قال الرئيس محمد مرسي:

- أريد القول لكل أبناء مصر في كل العالم، أولاً: لا بديل عن الشرعية الدستورية والقانونية، والانتخابات التي أفرزت رئيساً منتخباً لمصر لأول مرة في تاريخها، وشعبها رضى بذلك والبعض معارض لا بأس ويؤيد ماشي، نعمل أیه مع بعض سأقول . لكن لا بديل عن الشرعية

وأوضح مرسي إنه لن يعلن الجهاد لأن الجهاد والاقتيال لا يكون إلا أمام العدو . مضيفاً :

- سأبذل دمي مقابل الشرعية ومن أجل استقرار دمي، والمعارضة على العين والرأس، والحوار كان ومازال سيقى موجوداً، ومبادرة الإصلاح الوطني ستظل في ظل الشرعية واحترام القانون والدستور و الإرادة الشعبية.

- أي شيء يخالف الشرعية يخالف إرادة الشعب لأنها لا يمكن أن تنتج إلا بالانتخابات التي ستتم وانتخابات أخرى ستتم بعد فترة يقررها الدستور والرئاسة، تتم لحسم الموقف."

طاف كل هذا بفكر الأستاذ عبدالرحيم قنديل وهو في صالة الرحلات الداخلية بمطار القاهرة. الصالة تعج بالمسافرين إلى شتى متجعات مصر المطلة إما على البحر المتوسط وإما على البحر الأحمر. يمضى معهم أشهر الصيف الحارة كأنه مقيم زاده الخيال. أحلامه تطوف حولهم وقلقه على تخلف أحدهم عن السفر يؤرقه رغم غياب أى تواصل بينهما. ومع ذلك، كثيرا ما كان هذا التواصل يتحقق فيتلقى إيماءة امتنان وشكر يردها باعتزاز وتمنن. ونشأت بينه وبينهم علاقات عابرة في معظم الأحوال ونادرا ما استمرت واستقرت على ما هو مألوف بين الأصدقاء... آه من الغردقة وجمال الغوص ومشاهدة الشعب المرجانية. يقع فندق هيلتون الغردقة بلازا على شاطئ خاص مطلاً على البحر الأحمر ويمنحك مناظر تجبس الأنفاس لروعيتها وجلالها وتفردا. إن تجربة الغوص مع السلاحف والدلافين في مياه البحر الأحمر تجربة رائعة لا تعوض. ولا بأس من رحلة إلى جزيرة جيفتون على ظهر القارب بصحبة بعض الزوار والأقارب والأصدقاء. وعندما يعلن الميكروفون عن رحلة إلى الجونة تقفز إلى الذاكرة رحلته مع مجموعة من محترفي رياضة الغوص. أجمل ما كان فيها أنهم لا يتحدثون سوى اللغة الألمانية وهو لا يتكلم سوى العربية وبعض الإنجليزية وبالتالي انقطع التواصل واقتصر على لغة الإشارات. استمتعوا بالغطس في الأعماق والرياضات المائية المختلفة، واستمتع بالتنقل بين شاطئي "زيتونة بيتش" و"شاطئ" مانجروفي بيتش". وعاد ببشرة سمراء كانت تروق للحسنات آنذاك. هذه ذكريات لا تفارقه ولا يفارقها.. يعيش بها ويعيش معها فهي ذكريات الأيام الخوالي... هي كل ما تبقى له من الماضي.

ولكنه يرى في صالة المغادرين مسرحا فيه من الكوميديا ما يحدد الحياة والحيوية بعد كآبة المشهد السياسى بعد الانتخابات الرئاسية وما تلاها من أخطاء كارثية من ناحية وفيه من التراجيديا ما يُطهر الروح ويغسل العيون بفيض من الدموع الطبيعية تغنينا عن شراء الدموع المعبأة في زجاجات من الصيدلية. وفيه من المفاجآت ما لا يصدق العقل. قابل رفاقا له من أيام الدراسة في المرحلة الابتدائية أي منذ أكثر من ستين عاما من الزمان، مرّوا أمامه فلم يعرفهم ولم يعرفوه. فالسنين حفرت على الوجوه جداول وأنهارا وأقامت على الصدور تلالا وعلى البطن جبالا فلا يتعرف عليهم إلا إذا ما نادى الميكروفون على أحدهم عندئذ بالذاكرة تنشط على غير العادة وتستعيد قواها - وكم من مرة خذلت هذه الذاكرة العجوز المتأكلة المهترئة في معلومة أو خبر. آه من السنين وما تفعله بنا وما نفعله فيها فتترك علينا ما فعلناه فيها.

وعندما تعلن الإذاعة الداخلية في المطار عن مغادرة إحدى الرحلات دعا لها بصوت خاشع ملؤه الرجاء كله؛ مع سلامة الله ورعايته. المشهد متكرر في صالة المسافرين ولكنه يتجدد في كل لحظة بتجدد المسافرين. المسافرون على امتداد طول طيف الانتظام والالتزام، واكتسب خبرة في تصنيفهم نادرا ما تخيب. رجل الأعمال يتقدم نحو الكاونتر في ثقة واعتزاز ومن وراءه حقبة صغيرة سوداء تجري على عجل أو يحمل اللاب توب داخل حقبة من الجلد الأسود اللون الفاخر أو يسير على مهل وربما في خيلاء حيث يهرول من أمامه وخلفه وربما من جميع الاتجاهات من ينهون عنه الإجراءات. الثقة مردها خبرة السفر المتكررة والمحافظة

الغنية بكروت الإئتمان. وهؤلاء لا تعينهم أمور الوزن الزائد ولا المواعيد. فهم يأتون في الوقت المحدد .

وهناك فئة منتظمة وملتزمة سواء في المواعيد أو وزن الأمتعة ثم هناك الفئة غير الملتزمة بوزن الأمتعة فترى حقائب منتفخة الأوداج تصرخ ما صُنِعْنَا لهذا الهوان. وقد سمعت شكوى حقيقية صنعت لتستر ما بها من محتويات وليس للإعلان عما بداخلها من أمتعة شخصية... والله شخصية جدا!

- يا سيدي بسيطة. أية معنى شنته زيادة... فيها أية؟ دا اللي فيها ثمنه أقل بكثير من مقابل الوزن الزائد.

- من فضلك يا سيد كرم سدد الفاتورة عشان متأخرش الركاب .

- يعني عاوزه تفهميني إن شنته زى ده حتأثر في حمولة طياره بوينج !

- لأ حتأثر في ميزانية الشركة. من فضلك يا سيد كرم عزيز ما

تعطلش الركاب.

- ما بين الخيرين حساب.

- فيه مساواة.

ويضيف ثالث:

- يا خلق .. يا هو ... هو ربنا مش خلق الدنيا في ستة أيام ... يعني

ما جبكتش قوي كده.

ورابع يقسم لو أن معه أى فلوس ما تردد في الدفع وكفاية بهدلة وكفاية

إحراج. طبعا معه كروت ائتمان بالهبل، وإلا ما اقترب من شرم الشيخ.

ويدندن راكب على هذا القسم :

- احلف لك ما تصدقش.

ويصرخ الراكب الواقف في آخر الطابور :

- يا أهل الله بقالنا حوالي تلت ساعة والطابور لم يتحرك قيد أنملة.

ويعلق راكب قريب من دائرة الحوار:

- بالله عليكى يا آنسه مشي الطابور علشان قيد أنملة. والله حلوة قيد

أنملة. يا أخونا كل واحد يخلى باله على قيد أنملته. مش برضه

واجب علينا كده يا عم الشيخ!

أجابه الشيخ عبد المقصود بعمته وكاكولته وقفطانه وصديره الحافل

بمجموعة من الزراير التي حاولت مرارا وتكرارا عدها ولكنى أخفقت

وما زلت أبحث عن سبب وجودها بهذا الكم.. أجابه متأفقا ومستنكرا:

- أنا لست عمك أولا وعندما تخاطبني خاطبني بفضيلة الشيخ، هذا

ثانيا .

وأضاف متسائلا في جدية:

- ماذا تقصد بقولك كل واحد يخلى باله من قيد أنملته. طرفه؟ ايه

نكتة؟ أيه فاكرك نفسك في مدرسة المشاغبين.. على وزن كل واحد

يخلى باله من لغلوجه.. حاجة لطيفة في زمانها .. خلاص وراحت

لخالها.

واسترسل بلهجة حاسمة :

- لا هيه نكتة ولا هيه طرفه كلام أجوف لا معنى ولا دلالة له في

سياق ما نحن فيه من تأخير لمصالح العباد.

أجهز قول فضيلة الشيخ على كل انفلات.

بدأت حالة من التذمر والغضب تسرى في الطابور تزداد حدة كلما اقتربت

من نهايته. واحترقت الأعصاب من هذا الحوار العبثى الأشبه بحواراتنا

الوطنية التي تنتهى إلى متاهة ضبابية أو إلى لا شئ. تساءل رب أسرة
فاضل مل الدائرة المفرغة :

- أليس فيكم عاقل يخرجنا مما نحن فيه؟

سارعت مجموعة من شباب الأسر المسافرة جمعهم تقارب الأعمار وربما
ما هو باد عليهم من إرهاب المذاكرة سارعوا بقولهم قوله رجل واحد
- هوه فين ده يا والدى... هوه فين يا والدى ماهيه دي مصيبة البلد.

قال فضيلة الشيخ عبد المقصود بتودة وروية :

- كلنا بعد الثورتين إما عقلاء وإما جهلاء وإما مجانين وإما

مستهبلين والحوار بين أى فريق منهم منفردا أو مجتمعا ينتهي
عادة إلى ما نحن فيه ! انفلات وتسبب، وانفراط واختلاف،
تخبط وادعاء

وأضاف فضيلته قائلا :

- عباد الله نحن لسنا على قلب رجل واحد. نجحت الثورة

عندما اجتمعت الأمة على وحدة الصف... وحدة الهدف.

تفرقنا عندما اختلف الهدف وتاه الأمل وتباينت المصالح... يا ناس

عودوا إلى رشدكم وقدموا حق الوطن على مصالحكم..الوطن في

حاجة لدعمكم..وسيعود الخير بإذن الله علينا جميعا .

- خطف الثورة من لا يستحقها وظن كثير ممن ساندوا وأيدوا

خاطفيها أن الدين يعصمهم من الخروج على أهدافها .

هكذا جاء تعليق أحد الشباب ويبدو أنه من الشباب الذى شارك في

أحداث ثورة 25 يناير 2011 . واستطرد متأقفا مستنكرا :

- قدم الشباب أرواحهم فداء للوطن وليس للإخوان. والإخوان
مش عاوزين يفهموا إن دورهم انتهى وإن مخططهم انكشف.
وتدخلت سيدة وقورة توحى أناقتها أنها ممن يعملن في قطاع البنوك أو
الفنادق وتومئ ملامحها أنها على وشك الاقتراب من منتصف
العقد الثالث من عمرها موجهة كلامها المحدد والمتأنى إلى أصحاب
المشكلة

- ليست معي أي أمتعة شخصية ويمكن للأسرة الفاضلة أن
تستخدم ما هو متاح لى من كيلوجرامات بعد موافقة السادة
المحترمين في شركة الطيران.

وأومات موظفة الكاونتر بالموافقة على مضض وشكرت السيدة نجية
عزمي علي مبادرتها بعد أن قرأت اسمها من الشاشة الموجودة أمامها.
سرت همهمة رضاء في الطابور استغرقت ثوان قليلة قبل أن ترجو السيدة
نجية عزمي المضيفة الأرضية المسئولة عن وزن الأمتعة أن تثبت بطاقة
التعرف على الحقيقية على حقيبة الأسرة وباسمهم.
انفجرت الأزمة وتحرك الطابور بسرعة وانتهت إجراءات السفر على
الرحلة 105 لشركة طيران موانى البحر الأحمر المتجهة إلى شرم
الشيخ. تلاشت دقائق من القلق والتوتر وعلت الوجوه ابتسامة الأمل
والرضى.

استغرقت الأستاذ عبد الرحيم قنديل الأحداث. ومن المؤكد أن ذاكرته
المبتلاة بالنسيان خذلت اليوم كما هى العادة دائماً. فقد اتصل به منذ يومين
الصدیق د. هاني عبدالفتاح ليذكره بأنه سيمر عليه في طريقه إلى شرم الشيخ
ويعطيه بعض الفيتامينات ومنشطات الذاكرة. لعله مر ووجده مستغرقاً

فيا يجري حوله. وربما طرأت ظروف صرفت نظره عن السفر أصلا. وكم من مرة أكد له أن الدقائق التي يقضيها سويا وهو في طريقه للسفر كل أسبوعين تقريبا هي فرصة لطمأنته على حالته الصحية. وربما مرق على عجل فلم يلحظه، وحدثته نفسه بالمرور عليه عند العودة. ولعله لم يسافر أصلا لسبب أو آخر. وتتم قائلا :

- أوه يا د. هاني ! كنت في حاجة ملحة إلى استشارتك في شأن الألم الذى يراودنى أحيانا في كتفي الأيمن ولم تجد المسكنات نفعا في درء هذا الألم.

ولعل الألم الذي داهمه منذ قليل في أعقاب لفتة مفاجئة دفعته لتحسس موضع الألم في أعلى كتفه الأيمن والضغط عليه ليخفف أو يوقف تدافع هذه الآلام المبرحة. ولعله هو الذي ذكره بموعد الدكتور هاني.

خلت المنطقة المواجهة لكاونتر خدمة الركاب مؤقتا . خشبة المسرح تستعد لعرض المشهد الأخير من مسرحية المسافرين. البطولة مطلقة بين المتأخرين عن الموعد المحدد الرحلة. تكرر النداء الأخير للرحلة 105 المتجهة إلى شرم الشيخ دون جدوى فيما عدا ثلاثة مسافرين لحقوا الرحلة قبل غلق كاونتر خدمة الركاب ببضع دقائق هي أسرة رجل الأعمال لطفي الجيار وزوجته الحسنة ميار المهدي وشقيقته الجميلة إنجي.

وما إن هدأت موجة الرحلة 105 إلا أنه هدوء أشبه بنسمة صيف باردة عارضة هربت من شمال أوروبا طمعا في الدفء . في البدء تسابقت أسرتان من أجل الوصول أولا إلى الكاونتر المخصص للرحلة 105 المتجهة إلى شرم الشيخ الذي نفّض الغبار لتوه عن إجراءات السفر. أخرجت إحدى المضيفات الأرضية زجاجة عطر فرنسي فانتشر شذاها في الدائرة المحيطة

بها ولا بأس أن نعمنا ببعض منه. تحدث الشابان المتسابقان في الوقت نفسه :

- أنا الأول ؟

تساءلت المضيفة الأرضية في تكاسل وهي تخفي بكف يدها الصغيرة مشروع مسلسل ثناؤب :

- الأول ؟ الأول على أيه ؟ وعلى مين ؟

وعاد الشاب يقول وهو يلهث:

- طبعا في أولوية الصعود إلى الطائرة.

- أى طائرة ؟

- الرحلة 105 ؟

- في الجو ؟

- في الجو ؟! يعني أيه في الجو ؟

- يعني طارت.

ورفعت ذراعيها واخذت تهزهما برفق وهي تقول ما كانش ينعرز. الطائرة

أقلعت منذ ربع ساعة ورشينا المطرح بالعطر كمان.

- أقلعت ؟

- أقلعت في موعدها التاسعة صباحا.

- ما احنا كنا هنا قدامك الساعة التاسعة تماما.

وتدخل الشاب الثاني وقد هدأت أنفاسه المتلاحقة قائلا:

- فعلا المفروض أن نكون هنا ساعة على الأقل قبل موعد الإقلاع..

وأقبلت شابة في مقتبل العمر في خطى واثقة وصلت لتوها ومن خلفها

سيدة في مطلع الخمسينات يبدو عليهما ثوب النعمة والشراء والعراقة،

يتقدمها أريج هادئ يكشف عن ذوق رفيع . قالت في صوت رقيق واضح النبرات وهى تمسك بيدها كلبها اللولو بفرائه الغزير الأبيض اللون وقد تم قصه بعناية ليتناسب مع حرارة شهور الصيف وازدانت رقبته بشرط حرير أسود :

- فعلا تأخرنا يا أمى... تأخرنا. نتدبر أمرنا على الرحلة التالية أعتقد الخامسة مساء- قبل حظر التجول بساعة. هيا بنا يا أمى . نظرت إلى كلبها الذي ظل يقفز من حولها في رشاقة ودلال معربا عن سعادة غامرة وحدثته بلغة انجليزية صحيحة:

Let us go , Lollo

وانسحبنا في هدوء تلاحقهما رائحة عطرهما الزكى. وفي يدها المقبض الذى تحكم به السيطرة على الكلب اللطيف. وترك غدوهما ورواحهما أثرا طيبا. انبهر الشابان من السلوك الراقى في التعامل مع الحدث. وتبادلا النظرات وانفجرا ضاحكين وكان لسان حالهما يقول " : ما كانتش محتاجة جرى ولا غيره". وعلق أحدهما على سبيل الفكاهة وهو يغنى:

- يا ريتنى الكلب اللولو وأنا أهواو هاو حواليكى

التفتت نحوهما وضحكت وعبرت بهز رأسها عن رفضها التشبيه. وقالت الأم وقد ابتسمت:

- تعرفى يا أشجان العيال دي دمها خفيف. من زمان ما ضحكتش.

مش ده برضه اللي بيقولوا عليه التحرش

- هوه بعينه يا أمى. بس ده التحرش المهذب.. اعتراضى بس كان

على يا ريتنى الكلب اللولو.

- يعنى كان عجبك فريد الأطرش وهو بيغنى: يا ريتنى طير وانا

أطير حواليك .

- أرحم يا ست الحبايب، بلاش الكلب اللولو .

لم يقتصر الأمر على هذه الثلاثية التي حاولت إدراك الطائفة قبل اقلاعها دون جدوى.

أقبل شابان هما على الأرجح أولاد عمومة متقاربان عمرا وشبها وطولا، لفحت الشمس وجهيهما فاكسبا سمرة المصايف أو العمل على منصات استخراج البترول داخل البحر أو العمل في قطاع البحرية. القامة ممشوقة والعضلات مفتولة في غير ابتذال أو مبالغة غير مستحبة. هيئة أبناء البيت الطيب العريق لا تخطؤها عين الخبير وتكشف عنها بساطة ملابسهما أطولهما والأكبر عمرا يرتدى بنطالون كحلي اللون وتي شيرت أبيض أعلى الصدر بادج نادى اليخت المصري. أما الشاب الثانى فالبنطالون أبيض والقميص أبيض وعلى جيبه حرفان باللغة الإنجليزية لنادى الصيد بينما يهتان دخول صالة المسافرين كانت الأم وابنتها على مسافة قصيرة من باب الخروج تسمر الأطول في مكانه وجذب يد رفيقه ليوقف اندفاعه قال همسا وبحزم:

- هى تانى يا أحمد .

- أيه ؟ في أيه يا عمر ؟ مين هى ؟ خلعت ذراعى

- بص قدامك واحترم الهدوء الجميل

- تقصد الجمال الهادى

التقى الجمعان وشهدت أشجان ارتباكهما واستعادتهما رباطة جأشهما بسرعة. كادت تتوقف عن السير تحت وقع المفاجأة ولكنها واصلت السير بتؤدة وهى تتفرس فيهما خلصة لكى تتأكد من أنها بلحمهما وشحمهما وعندما تيقنت من صدق ما ترى افتعلت تعثرها عند التقاء

الجمعين. وفي لمح البصر وقبل أن تتعثر فعلا وجدت نفسها بين أربعة سواعد فتية تلقفتها

- سلامتك ألف سلامة

وبخفة ورشاقة حررت نفسها من شبكة سواعدهم بعد أن تأملت في عيني عمر الذي مازال مأخوذاً من المفاجأة. وتساءلت الأم عما جرى:

- حصل أيه يا أشجان... خير يا بنتي؟

- ولا حاجه يا أمي خير... خير إن شاء الله

- الحمد لله على سلامتك يا أشجان هانم

تطلعت إليه وتلاقت أعينهما وقد اكتست وجنتاها بحمرة الخجل وقالت:
- شكرا يا استاذ..

قاطعها عمر:

- عمر. عمر يا هانم،،، مهندس معماري قوليلي عمر

- شكرا... شكرا

- إحنا دايم في الخدمة!

- تاني؟!

استفسرت مستنكرة، وعلق أحمد بقوله:

- حقيقى إحنا دايم في الخدمة.

قالت أشجان وقد أوشكت أن تتركب سيارتها BMW :

- طيارة شرم الشيخ فاتتنا..

تمتم عمر قائلاً:

- يعني الطيارة فاتتنا كمان.

أمّنت أشجان على كلامه وأضافت وكأنها تبلغ رسالة :

- السواق حيحجز لنا على رحلة الساعة الخامسة. أنت رحت فين يا لوللو. خالّيك قصاد عيني.

انطلقت السيارة وانتاب عمر شعور بأن الزمان توقف أو أن الخلق في صالة المسافرين انحبست أنفاسهم أو أن الكلمات والصياح تجمد داخل أفواههم.. هكذا توهم عمر أو هكذا أقنع نفسه.. رغم أن عجلة الزمان تدور منذ الأزل وسيظل هذا حالها إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا. غابت السيارة عن الأنظار وأخذت معها مشاعرا لم يتذوقها من قبل.. بل زرعت بداخله نغشة لا يدرك كنهها. التقاها مصادفة بحق وليس مصادفة مثل مصادفات القصص والأفلام.

عمر شاب وسيم من الطبقة الموسرة مالا والغنية علما وعملا. فهو الجيل الثالث الذي تلقى تعليما جامعا. الأسرة مولعة بالهندسة المعمارية بفروعها المختلفة. لها مكتب هندسي عريق عراقية الأسرة نفسها في شارع شريف بوسط القاهرة الخديوية. ورث الأب المهندس فتحي عبدالرحيم وشقيقه المهندس شكري عن والديهما المكتب بعد أن تلقيا أصول المهنة علما في كلية الهندسة وعملا في مكتب الوالد.

تخرج عمر في كلية الهندسة سنة 2005 تلقى فيها العلم ولم ترقه التيارات السياسية التي كانت تموج في الجامعة آنذاك. وأمضى سنة في الجيش صلبت عوده وتعلم خلالها الوطنية بحق. أحب هذه السنة من عمره فهي التي شكلته رجلا مسئولا. وهي نقطة فاصلة بين العبت أو الضياع الشبابي وبين جدية وفتوة الرجولة.

قال أحمد متسائلا:

- كافاتريا المطار؟

- كافاتريا أيه يا أبو حميد ! مش قالت رحلة الساعة الخامسة

واستطرد بسعادة كأنها واعدته :

- تبقى التعليمات صدرت يا جميل.الحجز فورا ودون تأخير على

طائرة الساعة الخامسة.

بدا كاوتر خدمة الركاب خاليا من المضيفين الأرضيين.بل إن اللافتة

الخاصة بالرحلة 105 رُفعت من مكانها تمهيداً للإعلان عن الرحلة التالية.

يصبح أحد الركاب بجدية:

- فيها أيه لو تأخر إقلاع الطائرة وأخذتنا جميعا.يعني هي بالكاف

والنون.

ويغني راكب آخر على مقام الصبا:

- هي الدنيا طارت..ما الإخوان في الباي باي ..والبلاوي بشويش

بشويش..في التأي السلامة وفي العجلة الندامة.. مش كده واللا

أيه ؟ المطلوب نرتاح من جماعة الإخوان ومش عاوزين تناحة

ترجع تاني أيام زمان.

ويعلق آخر مستكرا :

- ما هي كل حاجة متأخرة في البلد دى ... الناس نفسها متأخرة

متخلفة عن الزمن إلي إحنا عايشينه... يعني هي جت على مواعيد

إقلاع الطيارات وانتظّطت! حقيقي بلد العجايب يا مصر .

وأدلت بدلوها سيدة ربما جاوزت العقد الرابع من عمرها بقليل ولكنها

متمسكة ألا يغادرها العقد الرابع:

- معاك حق ليه الصربعة بلاش العمر يجري من حوالينا ... الناس
عايشه حياتها في أوروبا مرة ومرتين ... وكمان بالطول وبالعرض..
وساعات بطول وعرضين.

وبادرت سيدة من الواضح شدة معاناتها بسؤالها:

- الهانم على كده لازم قضت سنين عمرها في أوروبا وأمريك...
قاطعتها في حسرة:

- ماكانش بقى ده حالي. سييك من ده كله .. حتى الطائرة استكترت
علينا شرم الشيخ

وقال شاب ممن يعملون في كاوتر خدمة المسافرين بإيمان راسخ :

- يا هانم لو اسمك كان مكتوب على مقعد من مقاعد الطائرة.. كان
زمانك راكبة معاهم.

- يا أبني أنا مأكدة الحجز.

- انتي مأكدة الحجز على الأرض بس الحجز متأكدش فوق في
السماء..

مضى الشاب إلى حال سبيله وهو يشاور بإبهامه إلى السماء ويردد الحجز
متأكدش فوق في السماء..

دخلت أسرتان أخريان بينهما من التوافق مثل ما بين جبهة الإنقاذ
ومكوناتها من الأحزاب والتيارات السياسية المختلفة من توافق مضروب
لا يجمعهم فكر وأهداف موحدة بقدر ما تفرقهم الأطماع الفردية. أسرة من
خمسة أفراد يمكن ان تطلق عليها مبدئيا أسرة جزر هاواي. البشرة سمراء
داكنة عابشين دور التصيف في شرم الشيخ. توفي رب الأسرة يسير وراء
كرشه وربما يتعثر فيه ويجر خلفه أرداف لن يستوعبها مقعده في الطائرة.

شورت أبيض وقميص غنى بباليتة من كل الألوان. الزوجة فيكي نحيلة القوام جاوزت الأربعين من عمرها. ومن الواضح مما تضعه من ميكياج على وجهها حرصها ألا تبدو أنها تخطت الأربعين. يغلب على الظن أنها تطهو الطعام فيأكله الزوج والأولاد ولا يتركون لها شيئاً. ترتدى بنطلون جينز إستريتش أسود اللون ممن يلتصق بالجسد فترى تفاصيله المخفية والبلوزة حمراء دم الغزال تمشي الهوينى. سألت في هفة مخاطبة زوجها الهللي:

- فين عرايسنا الحلوين يا توفي ؟

- سلامة العيون يا فيفي.. قدامي يا حياتي .

- ما أنت ماشاء الله سادد عين الشمس .

- عيب يا فيكي . الكرش ده عز وأبهة بط ووز ..وجبري جامبو...

والباشاوات يقولوا عليه منحنى الرفاهية.. يا فيكي ماهي عن

يميني و بودى عن شمالي وميدو ولي العهد والحيلة قدامى .

قالت فيكي مذكرة بتتها :

- ماهي من فضلك خالّى بالك على فورمة شعرك، الكوافير واخذ

إشي وشويات في القصة دي.

- عاوزاني أعملو أیه يا مامي... أجيله بودى جارد

- مين ؟ فين ؟ وده عرفته فين ؟!

- يا مامي لا عرفته ولا عرفني إحنا في المطار.

- آه في المطار ... معاكي حق يا ماهي...أمال فين عمك وخالتك

وأولادهم

- الطيارة طارت من زمان يا مامي إحنا جينا متأخرين. عمي واعى ..
مجنون يضيع فرصة العزومة دي. تلاقيهم كانوا من الفجر لبدین
في المطار.

قال میدو:

- يا مامي عمي طاهر فاهم إحنا نستنى القطر... القطر ما
يستنيناش.
- أهي خالتك إللي هي أختي، أمي قالت لها لما تقدم لها عمك : ما
كفانا من القسط مغرفة .
- قامت أختك الى هي خالتي يامامي قالت إللي يجاور السعيد
ينسعد
- كملي يا ماهي سكتي ليه .. أكمل أنا : و إللي يجاور الحداد ينكوى
بناره. مش كده واللأيه؟!

أبدت بودي إعجابها بعبارة میدو قائلة :

- تعرف يا واد میدو كلامك ده ينفع مطلع لكاسيت يضرب السوق
كله، اسمع كده:

إحنا نستنى القطر... القطر ما يستنيناش
إحنا نستنى الجو... الجو ما يستناش
إحنا يا بتوع الحب... الحب ما باعناش
إحنا الى بعنا الفل... وعطره ما فارقناش
إحنا بتوع الفرح.. والنكد ما يلزمناش

أبدى میدو إعجابه بها رددته أخته قائلا :

- أیه ده يا بودي فرقة جامدة قوي.

استأنف ميدو الكلام بعد ان تجولت عيناه في قاعة المسافرين وأطلق ضحكة مدوية :

- هي العبارة رسيت على الإخوة الأفاضل . يا ما شاء الله . البركة حلت علينا والنور محوط حوالينا .
اقرب منه يوسف قدرى وقال وهو يلقي بنظرة خاطفة على بودي الأقرب إليه:

- مش بالظبط . راسيه عليكم وعلينا وعلى إللي حاجزين قبلينا .
وأوضح شقيقه سامي الموقف بشكل دقيق:

- بالاختصار إحنا كمالة على رحلة شرم الشيخ التالية .
قالت ماهي باندھاش:

- كمالة ؟!

- أيوه . كمالة يا آنسة ...

أجابت مترددة:

- م ا ه ي

أجاب دون تردد:

- سامى كلية الصيدلة

وبينا ماهى تتراجع لتنضم لأسرتها حدثتها نفسها قائلة : سامى ؟ مش بطل ... بداية ... مجرد بداية .

دخلت أسرة من فردين زوج وزوجة حديثي الزواج ممكن وربما عاشقان هاربان بحبهما بعيدا عن أعين الحاقدين ... ممكن . حرصا أن يكون ظهورهما مختصرا قدر الإمكان . وكما كان ظهورهما لم يتعد فترة قصيرة كان اختفاؤهما في لمح البصر .

ويبدو أن الفرصة أصبحت متاحة لأن يبكى لمن أراد البكاء على اللبن المسكوب. أقبلت أسرة الأستاذ قدري البحيري وزوجته عليّة وشقيقتها سميرة وولديه سامي ويوسف من منطقة تجمع الركاب المتخلفين عن رحلة شرم الشيخ. قدري كما يدل عليه اسمه من محافظة البحيرة من إحدى قراها التي لا تجد اسمها على الخريطة. تلقى تعليمه الجامعي في كلية التجارة بجامعة الإسكندرية. عمل سنوات قليلة بمأمور ضرائب. كانت سميرة شقيقة زوجته عليّة في البكالوريوس وهو في السنة الثانية. كثيرا ما كانت عليّة تتردد علي شقيقتها. ومن هنا بدأ الاهتمام والإعجاب ثم الزواج بعد التخرج. انتقلا إلى القاهرة ورافقتهم سميرة التي لم يكن لها نصيب من الزواج. فقد عاشت مع أبيها وأُمها في الإسكندرية إلى أن واتتهما المنية. عمل قدري البحيري في تجارة قطع الغيار وذاع صيته واشتهر باسم قدري جولف لتخصصه في قطع غيار السيارات الألمانية وبخاصة السيارة الجولف.

قالت سميرة هانم وهي سيدة تركت العقد السادس من عمرها وراءها وقد ازدان رأسها بتاج من الشعر الأبيض الفضي لانتخفيه وإنما تلفت النظر إليه بإشارب أسود منقوشة عليه أفرع من أزهار التيوليب الحمراء... قالت بصوت متهدج:

- آخرة المتامة ... حويشت على مدار السنوات العشرة الأخيرة لكي أؤدي فريضة الحج من حر مالي وقد أنعم الله علي بها والآن أطمع في رؤية شرم الشيخ إليّ يبحكوا عنها ونعيش يوم واللأ يومين ولو عن بعد من الصفوة المبسوطة تقرب من الكريمة حتى لو ما دقنهاش. ماهو إدراك بعض الشيء خير من تركه كلية. ما هو ده المكان المفضل للرئيس السابق حسنى مبارك.

ران صمت مهيب احتراماً للسيدة الجليلة ولإتاحة الفرصة لربط الكلمات
المتهدجة لكى تخرج إلينا متكاملة قدر الإمكان. وحينها فرغت من كلامها
علقت شقيقتها عليه:

- هل تقصدين بالصفوة المبسوطة يا سميرة شوية الحرامية إللي
واكلين خير البلد.

- يا عليّة .. ما همهمه زي الغمة بدّل البدلة السنييه حلت محلها
الذقن وقال الله وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ولا
بأس من عضوية جماعة أو تيار من التيارات إللي ما تتسمى. ما هو
ده حال حكم الإخوان.
وعقب قدري زوج عليّة قائلاً :

- بس الحق يقال من ساعة ما جاءت حكومة د. البيلوي والناس ده
مش عارفة ترفع راسها من مشاكل الجماعة إللي ما تتسمى.
ونظر قدري إلى وجه عليّة وقال بلا تردد :

- شوفي أحداث الحرس الجمهوري من حوالي أسبوعين وانتي
تشوفي العجب. أنا مش عارف يعني أيه التحلي بأقصى درجات
ضبط النفس مع "مجموعة إرهابية مسلحة" حاولت الساعة
الرابعة فجرأ اقتحام دار الحرس الجمهوري وأعتدوا على قوات
الجيش والشرطة، وراح في الليلة ده ضابط عليه رحمة الله، وأصيب
عدد من المجندين.

التقط أنفاسه وواصل حديثه بغيط :

- يعني المطلوب مني وأنا في بيتي وتدخل عليّ مجموعة مسلحة في
الفجر أن أرحب بهم لحد لما يخلصوا عليّ .

وضحكت سميرة وقالت بسخرية :

- لا.. لا.. وانت الصادق .. المفروض نفطّرمهم وآلا نسخرهم قبل ما
يخلصوا علينا عشان جمعيات حقوق الإنسان تبقى مبسوبة
ومتهنية. بس يا ريت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية ما تنساش
تنعينا وتثني على العدوان علينا باسم حقوق الإنسان.

وتساءلت عليه مستنكرة :

- كمان مش عاوزين ننسي وحياتكم السيدة كاثرين اشتون مبعوثة
الإتحاد الأوربي واهتمامها واهتمام الولايات المتحدة الأمريكية
بالمسار الديمقراطي في مصر .. الظاهر والله أعلم إحنا بقينا بقيت
أهاليهم .

واستدرك قدري قائلا وهو يخفي ابتسامة ساخرة :

- يا ريت تبلغوها قلقي الشديد على حقوق الإنسان على المسجونين
في سجن أو معتقل جوانتانامو . وسلموا لي على حقوق الإنسان !!
وأضاف معيدا مسار الكلام إلى سيرته الأولى :

- اختك عليه بتقول إحنا إللى قمنا بثورة 25 يناير وأنا بأقول أولادنا
هم إللى قاموا بيها ... بس همم إللى خطفوها. قدرنا كده أولادنا
تموت من أجل مصر، وغيرنا وغير أولادنا يخطفوها وياكلوا
الكحكة.

وعادت سميرة تقول بروية:

- يا قدري ما أنت عارف مرارك عليه ثورية من يومها. شايله العلم
الأحمر تحت باطها ... ثورة ... ثورة وتردد عمال على بطل : وما نيل
المطالب بالتمنى ... الله عليك يا شوقي ... يا أمير الشعراء.

وأضافت في هدوء وروية:

- بس مادامتلهمش. ليه ؟ لأنهم ما حافظوش على النعمة و الأمانة
إللي كانوا فيها، كذبوا وأخلفوا الوعد وهددوا وروعوا الشعب
تحت سمع وبصر الرئيس المخلوع مرسي .. وهو ولا هنا . وودن من
طين وودن من عجين.عجبي على رئيس لا له في الثور ولا في
الطحين.

وعقبت عليه مندهشة :

- يمكن كان بيعمل لنا بروفة من أعمال الشغب إللي شايفنها حاليا.
أكيد ! ما هو إلى إحنا شايفينه ما يعملوش إلا شيطان رجيم.
واستدركت قائلة :

- كل إللي بنشوفه وحنشوفه الآن وبكرة وبعد بكرة ده أعمال
مدفوعة الأجر لأولاد مغيين بمفاهيم مغلوطة لصحيح الدين .
عاوزه حد يبرر لي قتل وترويع المواطنين تحت أي دين واللاملة
واللا أي شريعة . ده ابليس يستحي يعمل إللي بيعملوه تحت أي
مسمى كان .

وأضافت سميرة هانم بإيمان شديد قائلة :

- "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم .يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " ألا
تظنون أنكم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين؟
إذا كنتم قد فقدتم الرشد وماتت ضمائرکم، فتذكروا أن الله حي لا
يموت لا يغفل عن بغيكم ولا عن ظلمكم فالشعب لن يستجيب

لطغيانكم واستبدادكم ولا لخداعكم وإرهابكم، بعد أن انكشفت
مؤامرتكم الخسيسة من أجل دولة الخلافة ووظ في مصر كما قال
المُرشد السابق.

وقال الأستاذ قدرى متعجبا:

- الرئيس المخلوع مرسي ما تعرفيش جاي إلى الرئاسة وفي دماغه
مخالفة القانون والدستور مذاكر كويس قوي مخالفة القانون .
أصدر قرارا جمهوريا عجبا بعودة مجلس الشعب مخالفا لحكم
المحكمة الدستورية. غريب أمر الرئيس المخلوع مرسي... ده كان
عضو مجلس شعب يعني عارف يعني أيه دستور وقانون ولازم
احترامهم.

وأضافت عليّة قائلة:

- والي زاد وغطى. لأ.. دي مش أول غلطة قال أيه أصدر
الرئيس إعلانا دستوريا مكملا تضمن ما وصفه بالقرارات
الثورية. حزمة من القرارات العجب... قال أيه.. جعل القرارات
الرئاسية نهائية غير قابلة للطعن من أي جهة أخرى منذ توليه
الرئاسة حتى انتخاب مجلس شعب جديد. عجب العجايب يا
مرسي جيت للكرسي علي غير ميعاد وده فرصة بعتها لك رب العباد
بس ماصونتش الأمانة وكفرت العباد.

واسترسلت قائلة بحق و غضب :

- عجبي على فرعون من الفراعنة يظهر في القرن الواحد و
العشرين.. ومنين ؟ من ناس بتدعي الدين. والغريب كان في شوية

رجال قانون جاهزين بجهل وغباء لتبرير الجهل بالقانون والمبادئ الدستورية .

ثم أردفت عليه قائلة:

- عجبني على عجبك يا شعب مصر من إعلان دستوري
فرعوني. الحقيقة هي واحدة من ثلاثة إما يفضّلوا القوانين في
رئاسة الجمهورية على مقاس رغبات الرئيس وده تبقى مصيبة واما
المستشارين ليسوا على قدر المسؤولية وده تبقى مصيبة أكبر و اما
يكون إللي بيستشيرهم بيغرقوه وده تبقى بلوة مسيحة .
وعقب قدري ساخرا :

- الغريب إللي ما في قضية كسبتها الجماعة إللي ما تتسمى: ضجيج
ولا طحن. جمعجة على الفاضي. الظاهر والله أعلم النية كانت
مبيتة لتعيين قضاة ملاكى عموم الإخوان بحجة تطهير القضاء.
وهنا وجد قدري نفسه أمام شخص يقدم نفسه:

- عبد الرحيم قنديل
وما لو.. يا أهلا وسهلا ..الطيارة طارت وزى ما أنت شايف
مستنيين فرج الله في إحدى الرحلات التالية.
واستطرد متغافلا ما قاله إلاستاذ قدري على اعتبار أن ما قاله تحصيل
حاصل:

- على المعاش منذ أكثر من عشرة أعوام. أجاور المطار في السكن
منذ سبعينات القرن الماضي.
ترامى إلى سمعه من يقول مستظرفا" يا بختك " وآخر يهمس " : أكثر من
أربعين سنة، يا ما شاء الله " وتابع كلامه متغافلا تلك التعليقات قائلا:

- أمضي معظم فترة الصيف هنا بينكم في التكييف لأن الكهرباء
يركبها ألف عفريت. كان زمان فار السبتية هو العفريت... إلآن
فيه ألف فار وفار ومعاهم عفريت كمان. الغريب... الفار واللا
العفريت ده شغال زى الفل وقت الامتحانات أصلها عفاريت
بتحد من منافسة البني آدمين لهم. دستور يا أخوانا .

واستفسر الأستاذ قدري :

- أخوانا مين ؟ إخوانا المسلمين .. ربنا يجعل كلامنا عليهم خفيف.
بعدين لا نلاقي سولار ولا بنزين ولا حتى بني آدمين.

وأردف الأستاذ عبدالرحيم قائلا:

- لا ده كان زمان لما كان مرسى يبصدر الكهرباء والسولار لأهله
وعشيرته في غزة. كنا مستنيين الفرج بعد سنين مبارك. لا حصلنا
الخير عند مبارك ولا عند مرسى. والأمل بقى معقود على إلی
حيشغل الكرسي

واسترسل متفائلا :

- الأمل أن تدور عجلة الإنتاج. وتتوقف الاعتصامات العمالية
والفتوية. أنا عارف الكيل فاض بينا . تعبنا كثير واتحملنا ما هو
الصبر كان دايبا طابعنا. بلاش صربعة .. وكله جاي بميعاد .

ورغم حالة التفاؤل التي كست وجوه المصريين بعد سقوط نظام
الرئيس الأسبق حسني مبارك إلا أن الأحوال المعيشية والاجتماعية
لم يطرأ عليها التحسن المأمول. للأسف العكس هو إلی حصل:
تراجع احتياطي النقد إلاجنبي، وزاد العجز بميزان المدفوعات،
وانكمشت تعاملات البورصة، وارتفعت الأسعار بشكل

ملحوظ، وتزايدت المطالبة بالعدالة الاجتماعية وزيادة المرتبات.
وأصبحت لبانة على كل لسان.

- يعني سعادتك مش متخلف زينا ؟
- بالتأكيد.
- كنت فاكر همك زى همنا
- حضرتك بتقول إحنا إللي قمنا بالثورة وهمه إللي خطفوها
- أكيد
- تقصد بمين" إحنا" ومين" همه" ؟ تقصد إحنا حزب الكنبه وتقصد همه المجموعة اللى قابضة على السلطة .
- تمام، الله ينور .
- حضرتك نزلت الميدان ؟
- لأ... أولادي وأبناء الجيران وجيران الجيران .
- تقصد تقول إن أولادنا قاموا بالثورة بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عننا ..
- أيه الفرق ... أنا وإبنى شئ واحد
- جازي. بس أكيد، مش شئ واحد عند اشتعال الثورات. شئ واحد في البيت مع التحفظ. أنا من حزب الكنبه لأنني لا أصلح إلا لهذا الدور.

وتساءلت عليه في دهشة:

- عاوز تقول أيه ؟
 - أنا أبحث عن إجابة مقنعة عن سؤال أو سؤالين وربما أكثر.
- الشباب ملء عيني بطموحاتهم وقوة دفعهم وذهنهم المتفتح علي

العالم بأسره..شباب الكمبيوتر والإنترنت... يطلون على شتى
دوائر المعرفة ومراكز العلم بلمسة على الكيبورد ثم أمامى شباب
الشيوخ وعندهم العلم والمعرفة والخبرة التقليدية في الغالب. أزاى
ده يكون حالنا ؟ إحنا فين والعالم فين ؟

أجابت عليه هانم بحماس :

- ما هو شباب الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي همه إللي
حرّكوا المية الراكدة وأشعلوا الثورة . سؤالك الثاني سؤال صعب
عاوز رحلة ثانية عشان نجابو عليه .

شارك " عمر " لأول مرة في الحوار وقد استهواه لاسيما أن أحمد ابن عمه
نجح في الحجز على رحلة الخامسة مساء . ففي الوقت متسع :

- فيما تسأل يا عمنا الفاضل ؟

- أسأل يا بني فلم يبق لي سوى السؤال حتى أفهم ما يدور. لم أعد
قادرا على نزول ميدان التحرير ..أخشى أن يدفعني شابا مندفعاً
بحماسة الشباب فأهوي على الأرض فتكون النهاية تحت الأقدام لا
قدر الله وما لحقش أفهم .

سكت الأستاذ عبدالرحيم للحظة ليرتب أفكاره ويعد أسئلته التي
سيطرحها ثم استرسل متسائلا :

- هل سرفت الثورة فعلا ؟ هل تخلى الشباب أصحاب الثورة
عنها؟ بمعنى تركوها طوعية أو كرها .هل ضاعت آمالهم لأنهم
فقدوا القدرة على الكفاح أو زهدوا الرغبة في مواصلة النضال ضد
تيار متغول يلبس عباءة الدين ؟

قال المهندس عمر بحسرة :

- أصل الكلام لما يتبدئ بعبارة قال الله وقال الرسول .. الناس بتخاف وتتعطل لغة الحوار. ماتنساش يا عمنا نسبة الأمية في مصر بلغت 27 في المائة من مجمل عدد السكان البالغ عددهم 85 مليون نسمة. وده الناس إللي التيارات الدينية المتشددة بتلعب عليها. بتلعب على جهلهم وفقرهم واحتياجاتهم .
وأضاف قائلا بصوت لا يخلو من الحزن والأسى :

- الإخوان لم يختاروا الوقوف مع الشعب ولا مرة في تاريخهم ولم يتخلوا أبدا عن ممالة السلطات في كل العصور الملك.. ثورة 23 يوليو.. استفادوا من شباب ثورة 25 يناير 2011 أصحاب أكبر فضل عاشه الإخوان في تاريخهم بعد ان تمحكوا بهم في 28 يناير ووضعوا قدما في التحرير وقدموا أخرى أمام مسجد مصطفى محمود. خيار الديمقراطية والحرية مش خيارهم وعشق الاستبداد طابعهم.

وأضاف أحمد ابن عمه قائلا :

- لا تنسى أن خيار الوطن مصر ده خيار ترانزيت يتخذونه منطلقا لدولة الخلافة . إقامة نموذج ديموقراطي حقيقي يتعارض مع مفهوم السمع والطاعة . الديموقراطية فيها أخذ ورد . فيها الرأي والرأي الآخر . السمع والطاعة .. هي مسار الرأي الواحد . عند هذا الحد ربما وصل الأمر ببعض الشباب إلى حد اتخاذ موقف أشبه بموقف مش لاعين ولكل شأن يعنيه ... يليهيه... قل موقف المراقبين .

انبرت عليه الثورية بالإجابة:

- يا سيدى الفاضل، إحنا عايشين أيام من الإنفلات الديموقراطي
ربما لم تشهده دولة في العالم. نشأ عنه أجواء سياسية واقتصادية
 واجتماعية مضطربة للغاية.

والمحت بنبرة ضيق واستهجان :

- إذا ما اعترضت على سياسات غير مدروسة لمؤسسة الرئاسة قالوا
لك على الفور انه الرئيس المنتخب الذي أتى به صندوق
الانتخابات، وكأنها الحق والصواب لا يملكها سوى الرئيس
وحزبه وصندوق الانتخابات. فبن الشورى يا جماعة واللا الشورى
معطلة لما حد يخالف مكتب الإرشاد. واللا يمكن الوحى بقى
بينزل على مجلس شورى الإخوان.

وتعجب الأستاذ قدرى وقال وهو يكظم غيظه:

- كلمة صندوق لإنتخابات تثيرنى. كأنها عجة. إللى بيّفهم واللى ما
بيّفهمش بيستخدمها. تمام زى الشرعية والديموقراطية. والثورة و
الإنتقال العسكرى .

واستطرد مؤيدا زوجته :

- ربما الحق معك يا عليه ولكن ألا يقلق الشباب على مسار الثورة؟

وتساءلت سميرة شقيقة عليه بعفوية :

- أي ثورة 25 يناير 2011 واللا ثورة 30 يونيو 2013 ؟

تدخل أحمد بحمية الشباب الواصل وقال:

- أعتليت ثورة 25 يناير 2011 تحت عباءة ادعاء الذئب الإيمان

والتبتل، وعدم الخروج على الحاكم. أين كان أسد اليوم من قطة
الأمس وهى تمرر دعوة التوريث. الشباب يغتالون ولكنهم لن

يستسلموا. الأمل دائما في الشباب إحنا عارفين، إحنا النهارده
معاكم وبيكم بس بكره بتاعنا لوحدنا فإن ضاع بكرة أيه اللي ح
يفضل لنا.

بلغ أحمد ريقه واستطرد قائلا :

- شباب مصر.. شباب مصر الحضارة.. مصر التاريخ. وكما بهروا
العالم بثورة يناير العظيمة. بهروا العالم بيوم الخروج العظيم 30
يونيو 2013.. خروج أكثر من 30 مليون مواطن في مظاهرة سلمية
مطالبة برحيل الرئيس مرسى والإخوان. يعني الأمل
موجود.الموجددين على الأرض حاليا شوية شياطين بيتم حاليا
صرفهم بإذن الله.

وأكد أحمد قائلا بجدية وحماس:

- الأمل موجود وموجود وموجود، لو ضاع الأمل مش حيفضل
للسباب إلا الضياع.الشعب كسر حاجز الخوف ومستعد للخروج
ألف مرة في وجه أي حاكم لا يعمل لصالح الشعب أولا.ما
تنساش ... عندنا النهارده..مبارك ومرسي رهن المحاكمة.

وما كان لعمر إلا أن يدلي بدلوه وهو من زينة الشباب قال:

- يا عمنا يا اللي شاييل همنا وهم مصر كلها،لا توجد ثورة في
التاريخ قام بها الشعب كله عن بكرة أبيه. على الأقل الشيوخ
والعواجيز من النساء والأولاد الصغار لا يشاركون ... هناك ثوار
إذا كانوا يعبرون بحق عن طموحات الشعب أيدتهم جموع
الشعب ولا يقدر أي نظام حكم مهما بلغ طغيانه أو بطش
حاشيته وأعوانه أن يقهروا الثوار...بس ثورة 30 يونيو 2013

خرج الشعب كله الشباب والشيوخ والعواجيز...حزب الكنبه
وسيدات مصر.. كانت كلمتهم ماضية وغضبهم هديرا أزاح
حكم الإخوان.

تمهل قليلا ليجمع أفكاره. قال فيما قال:

- تنجح دولة الطغيان في صد الهجوم عليها وينجح الطغاة في وأد
الثورة أحيانا. يا عمنا يا اللي شايلى همنا وهم مصر كلها خالك
فاكر ولا تنسى أن الشاعر التونسي العظيم أبا القاسم الشابي قال
قوله حق : إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب
القدر...ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر. آه يا مصر آن
للقيد أن ينكسر.بس نفوق من غمة العميان. غمة الإخوان
وزمانهم واللي مساندينهم.

ألهب الحوار السيدة سميرة فأشعلت أتونه حمية كأنها أرادت إذكاء ناره
لهيا قالت وقد أخذها الحماس:

- آه وكم من آه لتشفي غليلي وأنا أسمع الست أم كلثوم وهي
تشدو بقصيدة" مصر تتحدث عن نفسها"لشاعر النيل حافظ

إبراهيم

وتساءل شاب من الواقفين كأننا في محراب السياسة نحاسب أنفسنا أو أننا
وقوف نذكر بعضنا بما انتهت إليه ماجرايات الأمور. هل هذه هى النهاية
السعيدة المأمول فيها بعد ثورتي 25 يناير 2011 و 30 يونيو 2013 وهل ما
نحن فيه من إنفلتات أمني هو ضعف من الحكومة أم رغبة من الحكومة ألا
تبطش بشباب مغرر بهم وهم في النهاية حفنة لا يشكلون أي خطر أمني .
وتساءل سامي بماذا أجيب حافظ إبراهيم الآن يا أمى وهو يفاخر الدنيا :

وقف الخلق ينظرون جميعا
 كيف أبني قواعد المجد وحدي
 وبناء الأهرام في سالف الدهر
 كفوني الكلام عند التحدي
 أنا إن قدر الاله مماتي
 لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي
 استحلفك بالله.. يا أمي وبكل عزيز ونفيس كيف ترين استجداء القروض
 في جولات رئيس الوزراء حول العالم... ماذا تقولين ؟
 جاءتة الإجابة مدوية من أمه من الصفوف الخلفية:
 - قول يا سامي قول يا يوسف قولوا يا ولادى قولوا لكل إللي
 ببسعى من أجل بناء دولة الخلافة الإسلامية وبعدين " طظ في
 مصر ..وأبو مصر ... واللي في مصر " عفارم عليك وعلى إللي
 حواليك ... بس خالليكو فاكرين يا حباينا ان مصر مهما عصف
 بها الدهر على أيد غادرة، ليست أبدا ... أبدا ملكا لأحد أو لفريق
 أو لتيار أو لجماعة لعبت نتيجة صندوق الانتخابات بصوابها.
 والنتيجة ها هي ثورة 30 يونيو 2013 تعصف بشرعية صندوق
 الانتخابات.

مضت لحظات مراجعة وتدبر وتأمل لما تداولته وناقشته الشخصيات
 المشاركة في الحوار وهو حوار الساعة وكل ساعة .. النفاق والفساد والظلم
 والطغيان صورة جليلة تفضح كل حكم ديموقراطي عقيم لم تُفعل مؤسساته
 لتؤدي دورها على النحو الصحيح. ودارت برأس عبدالرحيم الذي دنا
 عمره من ثلاثة أرباع قرن من الزمان خبرات أنجبته الدراسة القانونية

والمراقبة للأحداث عن قرب مشاركا فيها وعن بعد متأملا دلائلها. وانتهى فيما انتهى اليه أن كل حكومة تولت حكم البلاد هي تعبير بليغ عن حال الشعب. وامتد حوار عبدالرحيم على امتداد عمره مع رفاقه وأصدقائه ليثبت صواب ما انتهى إليه. كثيرا ما كان يسمع صوت الهزيمة ممن يقولون ليس لنا حيلة في مقاومة قوى الطغيان فلديهم السطوة والأدوات ولدينا الصراخ والعيول وتلقي الضربات الموجعة والصبر عليها. واتخذ الحوار منحى آخر عندما تأكد صواب الرأي القائل إن قوى الطغيان تهزم بإرادة أفراد الشعب فرادى أما إذا تجمعت واحتشدت مثلما ما شهدته موسكو في 1992 فإن إرادة جموع الشعب هي الغالبة. و تكرر المشهد في ثورة 25 يناير 2011 و ثورة 30 يونيو 2013. الديمقراطية تكفل لك الحق في التعبير عن رأيك ولا تكفل لك الحق في تدمير بلدك. الديمقراطية طريق للبناء وعزة الانسان لو فهمناها على نحو صحيح. الديمقراطية مش بس مظاهرات واعتصامات وصندوق انتخابات. هز رأسه يمينا ويسارا عدة مرات تعبيرا عن رفضه عم يجري على الأرض. وعقب الأستاذ عبدالرحيم قائلا :

- قلبي على الرئيس القادم كيف يُرضي هذا الشعب الذي ظلمه
حكامه وتفاقت مشكلاته وانفلتت عنده معايير الديمقراطية
وأمام ناظره مبارك ومرسي في القفص. والقفص ينادي هل من
مزيد.

سادت لحظات من الصمت لم ينبس أحد بكلمة. تجمدت الكلمات في
حلقهم وظنوا أن الرجل من زمن الفلول جاء ليقضي على أحلامهم المرتقة

العاجلة ولم يفظنوا أن الرجل مشفق على أي رئيس مقبل. تساءل وهو يحاول إخفاء قلقه وجزعه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة بليدة باهتة :

- من أين يبدأ الرئيس القادم ؟ وكيف يبدأ ؟

قال المهندس عمر بلهجة واضحة لا لبس فيها :

- خرجت جماهير الشعب تطالب بـ "عيش، حرية، عدالة

اجتماعية".

وبادرت عليه قائلة بإسلوب ثوري :

- لا تنسى من فضلك منصب رئيس الجمهورية ليس تشريفا بل

تكليف. من يشغله جاء يخدم الشعب مش يسرقه . خلاص إللي

فات مات و الشعب انتصر على الخوف .

أكد الأستاذ عبدالرحيم علي أنه يتفهم كلامهم جيدا وقال بإيقاع ينم عن

الرجاء والتمني :

- تتغير الدنيا ولا تتغير هموم المصريين.. يتغير الحكام ومشاكل

الناس زي ما هي وبتزيد. الناس بتكثر والموارد محدودة وبتتآكل.

الناس بتكثر والدعم في تزايد .

نظر حوله وقال وهو يسترجع بذاكرته أيام ما كان يشتري رغيف العيش

بتعريفة في الخمسينات من القرن العشرين كان بيأكله بالهناء والشفاء بدون

غموس .. قال وعلى وجهه مسحة المتباكي على زمانه :

- قصة رغيف العيش هي قصة الدعم إللي مدوخ الحكومات منذ

النصف الثاني من أغسطس سنة 1952 حتى الآن . وما ننشاش

الكلمة الماثورة إللي قالها الرئيس الراحل محمد نجيب في ذلك

الوقت «دى لقمة للقطعة». ومن يومها القطعة بتاكل اللقمة والناس
مش لاقية اللقمة!!

وتسأل قدرى باستغراب واستهجان :

- والحرية كمان مدوخة الحكام والحكومات ؟
- أكيد في ظل الاستبداد . ما تنساش الحرية لها ثمن أعلى من رغيف
العيش إللى الناس بتدوخ تدور عليه .

واستدرك قائلا :

- بس الحرية الشعب دفع تمنها غاليا بدماء الشهداء .

وتسأل المهندس أحمد مستفسرا:

- أوعى تقول إن الحرية محتاجة ترشيد زى الدعم ؟

أجابه الأستاذ عبدالرحيم بلا أدنى تردد :

- معلوم . كل شئ في الدنيا محتاج ترشيد . الصحة محتاجة ترشيد إذا
أسرفت فيها في شبابك ما تلاقىهاش في شيخوختك .

واستفسر الأستاذ توفيق عم يعنيه عبدالرحيم بترشيد الحرية قائلا ببلادة:

- فهمنا ترشيد الصحة وفهمنا ترشيد الطعام زي حالاتي أكلت في
شبابي أكلتي وأكل غيري والنتيجة زي ما أنتم شايفين لا تسر عدو
ولا حبيب. بس أنت بتقصد أيه بترشيد استخدام الحريات .

حذجه عمر بنظرة عتاب قائلا :

- يعني لا إفراط ولا تفريط في استخدام الحريات عشان البلد تستقر
وبلاش توهان.

وأضاف عبدالرحيم قائلا :

- عفارم عليك يا بني. في وقفة احتجاجية نبتدي بيها بلاش الاعتصام. عشان عجلة الإنتاج تدور والاستثمار يرجع تاني . ما هي المطالب بزيادة الأجور وسائر الخدمات لا تتحقق بالاعتصامات أولا.

وعاد توفيق يسأل بفطرية لايحسد عليها. شخصية عركها السوق فلم ينل من التعليم إلا قسطا يسيرا يمكنه من مسامرة الحياة. وربما لو استوعب وهضم عقله من موائد المعرفة من إشراقات وكنوز مقدار ما يستوعبه كرشه من موائد الطعام من أطايب وملذات لأصبح شخصية من شخصيات المجتمع المرموقة. فهو ابن البلد الطيب المحظوظ :

- يعني بتكلمنا عن فزورة البيضة واللا الفرخة ؟

ضحك الحضور واستشعر توفيق حرجا زاد من حدته زوجته فيكي المتصنعة المتسلطة السليطة اللسان حيث جذبته من يده كما تجذب الأم طفلها من مكان لا مكان له فيه. قالت غير آبهة بأي أصول لكرامة الزوج ضاربة بعرض الحائط رجولته المهذرة لضعفه وتسلطها. انسحب أفراد الأسرة مؤقتا من المشهد. وانزعجت البتتان بودي وما هي من إهدار أمهما لكرامة أبيهم على مشهد من الناس. وحدثت بودي نفسها قائلة بعتاب : ليه كده يا مامي تفرجي علينا الناس ؟ قالت فيكي بغباء يحسدها عليه من نالوا منه حظا موفورا.

- تعالى معايا .. بيضة أية واللا فرخة ما ضحكش الناس علينا. مالك أنت ومال السياسة .. خليك في السباكة.

سار معها منقادا لا حول له ولا قوة وقال متمتا ربما لم تسمع تتمته سوى
أذنيه : السياسة تسليك احتياجات الشعب المعطلة والسباكة تسليك
مواسير الشعب المعطلة.. المسألة تسليك في تسليك. قالت تنهره:

- بتبرطم بتقول إيه ؟
- بأقول يا فيكي : السياسة تسليك احتياجات الشعب المعطلة
والسباكة تسليك مواسير الشعب المعطلة.. المسألة تسليك في
تسليك.

واستدار في اتجاه عبدالرحيم وقال وقد أوشك أن يتعد عن حلقة النقاش
الدائر:

- مش المسألة تسليك في تسليك. مش كده واللاً إيه ؟
- عقب عبدالرحيم على المشهد قائلا :
- الحقيقة أن الأخ توفيق عبر عن الموقف مهنيا.. السياسة الحكيمة
هي تسليك احتياجات الشعب المعطلة.
- قالت عليّة بعد فترة قصيرة من التأمل فيما قاله توفيق :
- الواقع إن مشكلة تحقيق العدالة الاجتماعية هي مشكلة البيضة
واللا الفرخة في صورتها المبسطة إلّٰي اتكلم عنها بن البلد بذكائه
الفطري. لا لف و لا دوران رجال السياسة ودخل في الموضوع على
طول.



رباعي الجلباب الأبيض

أقبل على جمعنا شاب يلبس جلبابا أبيض على نسق ما يرتديه الإخوة في المملكة العربية السعودية، لحيته خليط من الشعر الأسود والأبيض الكثيف وشعر رأسه طويل يصل إلى حد كتفيه، يغطيه غرة من نسيج قطني رقيق برفقته جوقة من ثلاثة أفراد أو لعلهم من الأتباع أو المريدين، يرتدون زيا موحدا وان اختلفوا في طول القامة وطول الجلباب. ألقوا السلام وتلقوا بالمثل تحية الجميع. الوجوه مريحة. الملامح مألوفة كأنك تعرفهم.

رباعي من الأصقاء بينهم من التناغم ما بين أعظم الرباعيات الموسيقية من تناغم. بينهم تألف حول حب الله والرسول وبينهم تواصل الفكر الديني المعتدل. ينفرون من التعر ويلتفون حول البساطة واليسر وينبذون التشدد وينجذبون نحو التيسير. التقوا مصادفة عند معلمهم و شيخهم عبدالكريم علم الدين أو هكذا بدت لهم الأمور. وجد فيهم فرادى ما ينبغي جمعهم في صحبة واحدة. اجتمعوا عنده في بيته على درس وسطية الإسلام وخرجوا من عنده على قلب رجل واحد. فلا تنافس بينهم فهم أقرب ما يكونوا إلي صحبة من زهور عطرية متجانسة ليس فيها ما يفرض عطره الزكي الفواح على غيره.

عبدالرحمن نظرته إلى كل أمور الحياة من تصورات ومناهج ومواقف نظرة الاعتدال ويردد قوله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ". يعيش في حي الحسين ويؤدي الفروض في الصفوف الأولى في جامع سيدنا الحسين . البيت عتيق والأسرة جذورها تمتد إلى أيام الفتح الإسلامي لمصر

وهو ما تشهد به شهادة شجرة العائلة المعلقة في الصالون. العائلة متخصصة في تجارة العطور والبخور. لم تتخلي العائلة عن البيت القديم. وكلما ضاق بهم التفوا حوله بأبنية حديثة في تاريخها قديمة في طرازها مما تحققة تجارة العطور من أرباح طائلة. متزوج من ابنة خاله التي ملكت عليه شغاف قلبه منذ أن عرف الحب طريقه إلى قلبه.

يمضي الوقت بعد صلاة الفجر وحتى آذان الظهر في محل العطور في خان الخليلي ويمضي وقته ما بين الظهر والعصر في بيته مع زوجته وصغيريه مصطفى وفاطمة.

حسن يرى في الوسطية: الاعتدال والبعد عن الغلو والتقصير والاهتداء إلى صراط الله المستقيم. وتحقيق التوازن في الحياة. ويؤسره قوله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين".

حسن حديث العهد بحي الحسين مقارنة برفيق دربه عبدالرحمن. الوالد درس في الأزهر الشريف وكان يعمل مدرسا للغة العربية في المدرسة الخديوية. ورث عن والديه عشرة فدادين في كوم حمادة بالبحيرة. ماتت أمه وهو في الإعدادية. أبى والده أن يدخل عليه امرأة أخرى غير أمه.. وساعده على ذلك قرب بيت عائلة زوجته من بيته. فعاش في كنف أخواله وخالاته. اقتسم عائد المشاركة في زراعة أرضه مع أعمامه وأولادهم. رضي بما قسم الله له على أياديهم. ولم يفلح أولاد الحرام في زرع الشك في نفسه حيالهم. كان يردهم خائبين بقوله: لو أن أعمامي سرقوني فما بال الآخرون.

يرى محمود ان الوسطية في الإسلام تمثل الفطرة الإنسانية في بساطتها وبدايتها وعمقها وصدق تعبيرها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إنها صبغة الله . قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا."

إنها الحق بين باطلين؛ والعدل بين ظلمين؛ والاعتدال بين تطرفين؛ والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلو إفراطاً وتفريطاً.

محمود سليل أسرة من أثرياء الصعيد. كان أبوه يتردد على القاهرة من حين لآخر لتسويق منتجاتهم الزراعية في سوق روض الفرج. وقع في غرام بنت أحد كبار التجار. حاول جد محمود أن يثنيه عن عزمه ليتزوج بنت عمه الصعيدية الرائعة الجمال ولكن القلب وما يهوي وتزوج بنت التاجر.. ومنع عنه الأب كل شيء.

واشتغل والد محمود في سوق الخضار والفاكهة بروض الفرج وزهزت معه التجارة. واشتري فيلا في حدائق شبرا ليجاور السوق وأهل زوجته. واشتعل الحقد في قلوب الحاسدين فقتلوه غدرا قرب منفوط بعد فوزه في ممارسة لشراء انتاج بساتين للerman. لم تتحمل أم محمود فراق زوجها أكثر من سنتين ولحقت بزوجها.

عكف محمود بعد وفاة والديه في مسجد سيدنا الحسين فترة تعرف خلالها على الشيخ عبدالكريم وأصبح من مريديه. وترك الدراسة في الجامعة واشتغل بالتجارة مع أخواله.

ويميل رابعهم الفاتح الي الرأي القائل بأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عن المطلوب فيه تقصير وتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الصراط المستقيم، فهو شر ومذموم . ويرى هذا بوضوح في الأحكام والعبادات، فالتكاليف في حدود الاستطاعة، لم يكلفنا الله عز

وجلَّ إلا في حدود قدرتنا لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا في الصلوات، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في سائر الفروض.. لا يكلف أحد فوق طاقته وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه اليهم.

قصته قصة الشاب الذي اختصر الإقتال حقنا للدماء. أثر السلامة وهجر الدنيا للطامعين فيها وقد كفاه الله من فضله ما يعينه على الحياة فيها كريها معززا . فهو الابن الأصغر لتاجر مجوهرات ذائع الصيت في الصاغة. رأي تقلبات الدهر في عالم الذهب والمجوهرات صعدت بهم أحيانا وهوت بهم أحيانا أخرى.. والده متزوج من امرأتين. الأولى انجبت بنتين وولد والزوجة الثانية تكبر ابنته البكرية بستين وانجبت له الفاتح. ولقيت ربها بعد مولده بأيام قليلة وأوصته وهي على فراش الموت ان يكتب الشقة التي تقيم فيها لإبنتها الفاتح وألا يترك أمر تدبير حياته من بعده لأخوته الكبار وأن يترك له نصيبه من ميراثها عن أبيها له وألا يخلطه بثروته.. حتى يشتد عوده فيستطيع أن يواجه الحياة.

عاش الفاتح مع جدته التي أحبته حبا جما وعوضته فقداه لأمه بحنان مضاعف. كان والده يؤثّر به بجانب موفور من محبته مما ترك في قلوب أخوته ضغينة. توفي الوالد وهو في التاسعة من عمره. وعندما بلغ سن الرشد خاطبه البنك للحضور لتسلم وديعة خصصها له والده منذ تاريخ ميلاده.

قال كبيرهم عبدالرحمن بعد البسملة بصوت هادئ واضح الحروف والنبرات يشدك إليه:

- رحلات شركات الطيران المختلفة أقلعت في مواعيدها. يبدو لم يلحق سوى نفر قليل الرحلة 105 المتجهة إلى شرم الشيخ.

أوشكت القاعة تقتصر على جمعنا المبارك. علمنا أنهم يعدون طائرة أكبر للرحلة المقبلة بمشيئة الله لكي تستوعبنا.

ظل الجميع صامتين. ربما ترقبا لمزيد من المعلومات، وربما ليجدوا وقتا يفرسون فيه وجوه الرباعي الوافد إليهم. وربما وقع المفاجأة. من أين جاءوا وإلى أين يذهبون ؟ كل الحضور يطرح أسئلة وصلت عند البعض إلى حد الشك. قال أصغر هذه الجوقة الرباعية سنا :

- يبدو أننا قطعنا عليهم الحديث. ربما. وربما لا موقع لنا في حوارهم. رغم أننا سنكون بمشيئة الرحمن في جوف طائرة واحدة تحلق بنا فوق السحاب. تجمعنا على طريق الخير إن شاء الله. جاءهم أول تواصل من المهندس أحمد، قال في وضوح لا لبس فيه ولا مجاملة :

- لا أخفي عليكم أيها الرفاق الكرام قلقي. ويكفيني مبدئيا الشكل الخارجي. فأنتم تلبسون ملابس مختلفة عما نلبس. واتخذتم زيا موحدا مخالفا لزي الأزهرين ... زى مؤسستنا الدينية العريقة. كأنكم تعلنون صراحة نحن وأنتم قبل أن نتواصل. وهذا بالطبع شأنكم... يا

رد عبد الرحمن بقوله :

- لم يسعفتنا القول لتقديم أنفسنا : أصغرنا الفاتح وأشار إليه وهو يكاد يبرح الثانية العشرين من عمره شاب وهب حياته للدعوة. أما محمود فهو على أبواب العقد الثالث انصرف إلى صفوف الدعوة وهو في الصف الثالث في كلية الهندسة في جامعة القاهرة. اتجه قلبا وعقلا إلى التفقه في علوم الدين وعن يميني حسن

صاحبي ورفيقي وزميلي أيام الدراسة. كنا ندرس الرياضة البحتة.
أنا عبد الرحمن رفيق درهم.

بعد نظرة تأمل أقرب إلى التعجب لم يجد "عمر" ما يقوله وهو في حيرة من
أمرهم:

- تركتم علوم الدنيا وانصرفتم إلى علوم الآخرة ... ما شاء الله. ما
جمع إلا ما وفق.

أكد الرباعي عبد الرحمن وحسن ومحمود والفتاح على تعقيب عمر بآباءة
موافقة. كانوا فرحين بموقفهم من الدنيا وزهدهم فيها. لم تكن تبدو عليهم
أمارات فقر ولا غنى. قسامات وجوههم جميعا تنطق بالحمد والشكر
والرضا. تحدث حسن كما لو كان يقرأ ما تفضحه العيون:

- باسم الله والحمد لله وما كان جمعنا ليكون لولا أن قدره الله لنا
جميعا، فلا حول ولا قوة إلا بالله نحن في طريقنا إلى شرم الشيخ
تلبية لدعوة كريمة من أحد كبار رجال الأعمال. لا نعرف مدتها
ولا الهدف منها وليست لنا به أي صلة من قبل.

واستفسرت عليه هانم في دهشة:

- كده هو؟! من غير إحم ولا دستور .. حقيقي أنا مندهشة ...

مندهشة جدا ... بهذه البساطة؟؟

خرج حسن عن صمته وقال بعد البسملة:

- يا أختاه لا تندھشي من كان يقصد الله بحق فحسبه الله. ومن هدا
الله فلا ضال له. المهم أن يكون قلبك عامرا بالإيمان. فالهدى هدى
الله. ماذا يبتغي عبد من عباد الله كائنا ما كانت منزلته من السطوة
أو السلطة أو ما يظن انه مالك له من مال- من عباد جل قصدهم

الله تعالى. يبتغون رضاه وعفوه يطمعون في رحمته والجنة. أيتها
الأخت الفاضلة سئل الإمام الزاهد الحسن البصري عن سبب
زهده في الدنيا .

جال ببصره فيمن حوله وتمهل قليلا كأنه يترك لهم متسعا من الوقت لكي
يتدبروا سبب زهد الإمام:

- قال الإمام : زهدي في الحياة يرجع إلى أشياء أربعة :

- علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي
- علمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي
- علمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي
- علمت أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني في معصية

فلم التكالب والتناحر علي الرزق والله خير الرازقين
التفت إليه الأستاذ قدرى متأملا وقال:

- أصبحت أخاف القوم الذين يقولون قال الله وقال الرسول. كثير
منهم يقولون مالا يفعلون ولاسيما إذا ما بدأ يعزف على مقام
الصبا وهو يروى ما ناله وجماعته من عذاب وعنت وتنكيل لأنه
كان يقول لا اله إلا الله.

ونظر إليه مليا واسترسل بدهشة ملؤها التعجب :

- كأننا لم نكن نؤمن بوحدانية الله فنحنونا من بطش أمن الدولة..
صدقني أخاف الكذاب مهما علا قدره وأخشى المتلون كالحرباء
وأكره جوقة المنافقين أينما كانت مواقعهم. هذه فئة ضالة مضللة
مضللة.

وأمنت سميرة علي قول قدرى زوج شقيقتها عليّة. وهي سيدة جليلة لها في وزارتها مكانتها المرموقة وقدرها الموقر لتمييزها وشجاعتها في كشف النقاب عن أي فساد أيا كان موقعه. وهي من الشخصيات التي لا تخشى في قول الحق لومة لائم. ولهذا كان يحسب لها في الاجتماعات ألف حساب . وقالت كما لو كانت تقرأ من كتاب مفتوح:

- الغريب أن القادة أيا كانت مواقعهم في معظم البلاد ... رؤساء دول كانوا واللا محافظين أو وزراء يقربونهم منهم في غالب الأحيان ويصدقون أكاذيبهم ومآلاتهم وعنهم ينقلون ما يعرفون أنه كذب أو تلوين زائف للحقائق وتلقاهم فرحين بما يكذبون. واستطردت وهي تتميز غيظا وحنقا :

- معالي الوزير الجديد وهو من الجماعة الحاكمة سرعان ما شكل مجموعة مستشارين من الأهل والعشيرة يزيفون له الحقائق ويقربون منه من يمكنه من السيطرة على مفاصل الوزارة تماما زى زمان. والله زمان.. زمان يا مصر. بس بعد ثورة 30 يونيو عمالين نتخلص من الأفاقين الذين يَحُلُّوا لهم الأكل على كل الموائد. ويا مسهل

ابتسم قدرى ابتسامة لا لون لها وقال:

- يعني الفلول الجدد.
- يا قدرى يا أخويا الظاهر والله أعلم إننا طول ما بناكل فول لازم يطلعلنا فلول. حتى الدول اللي حبت الفول زينا من أهلنا وجيراننا جالها فيروس الفلول بس يمكن يكون في مرحلة الكمون.

- يا سميرة، فيروس الفلول الجديد فيروس متحور أخشى على مشروع النهضة منه. يقال أنه سيضرب دول المشروع الشرق أوسطى ما لم تأخذ حذرهما منه.
- كان هلاوس وراح لحاله .. لا لقينا مشروع ولا شفنا نهضة. وعود انتخابية تطلع عليها نتيجة الانتخابات تبخر. طق حنك في الطراوة.
- ابتسم الفاتح ابتسامة المطمئن فهو يدرك أن الجميع في حلقة غصة وصدورهم تنوء بما حملته من مأخذ على نظام الحكم الذي وعد فأخلف ولم تعد وعودهم ذات معنى أو تحمل رجاء أو أملا. قال بعد البسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد:
- الكلام الأخير اتخذ مسارين المسار الأول وهو الحديث ما يمكن أن يقال عنه دولة الكذب والكذابين. وهذه آفة لا يقرها الإسلام إلا في حالات ثلاث...
- لم تصبر عليّة علي الفاتح لكي يتم كلامه وتساءلت:
- ليه هوه الكذب مش من خصال المنافق
- بلى ... الكذب من خصال المنافق ... إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا واعد أخلف وإذا خاصم فجر. ولكن هناك حالات ثلاث يجوز فيها الكذب... الكذب للاصلاح بين المتخاصمين والكذب على الأعداء في الحروب وأخيرا الكذب لارضاء الزوجة.
- تمهل الفاتح برهة ثم تساءل:

- الإخوان يكذبون أو يبيحون الكذب لأنفسهم على مظنة إما الإصلاح بين المتخاصمين وإما للكذب على الأعداء في الحروب فربما يصورون لأنفسهم أنهم في حرب مع من هو غير اخواني. والله أعلم.

قال قدرى بعد فترة من المراجعة والتذكر :

- آه أعتقد كلامك ده له علاقة بموضوع التقية عند الإخوان ؟

أجاب عبدالرحمن على الفور مندهشا بعض الشيء أن يكون من بين الحاضرين من سمع أو قرأ عن التقية عند الإخوان :

- فى سبيل الحفاظ على الكيان السرى للإخوان يشرع الكذب، وبما أن هذا كيان دينى، فلا بد أن يبحث قاداته عن المسوغات الشرعية لتبرير ذلك. فهم يعيشون هاجس المؤامرة عليهم سواء من الأنظمة المحلية أو من الدول الأجنبية الغربية. مقتنعون أو يقنعون أنفسهم بأنهم ضحايا مؤامرة كونية.

وأكد حسن على أن تقية الإخوان لا تختلف عن تقية الشيعة فى شىء، فهم يعتبرونها وسيلة من وسائل التمكين. وأوضح أن المقصود بالتقية هو التحفظ والتحرز عن ضرر من هو قادر على الاضرار باظهار موافقته فى قول او فعل يخالف ما يعتقد المتقى بقصد دفع ضرره عنه . التقية تجوز للمستضعفين بخافة ألا يثبتوا على الحق، وهؤلاء يجوز أن يأخذوا بالرخصة ولا تكون لمن يتبؤون مواقع قدوة الناس وهم ألو العزم من الأئمة الهداة فإنهم يأخذون بالعزيمة ويتحملون الأذى ويثبتون. وتساءل حسن قائلاً :

- فهل أجاز النبى ﷺ الكذب فى حالات ثلاث فقط أم كان ذلك من منهجه؟!

توقف قليلا ليتبين وقع السؤال على الحضور. رأى أمارات استهجان على الوجوه. وشاهد استفسارات على بعض الوجوه. قال :

- لو كان منهج الرسول ﷺ الكذب لفعله وهو في أمس الحاجة إليه عندما كان مستضعفاً وكان وقع العذاب عليه شديداً وعلي أصحابه، فاشترط المشركون شرطاً لكي يهونوا عليهم ما هم فيه، قالوا له: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً، فأنزل الله تعالى: "قل يأيها الكافرون".

وأضاف موضحاً :

- فالفرق واضح بين دعوة النبي ﷺ المبنية على الصدق، وبين دعوة الإخوان المسلمين المبنية على الكذب والغش والخداع.

واستطرد مؤكداً :

- وأما عن استعمالهم التقي فحدث ولا حرج ! فلم يعد خافياً على أحد أنهم تتلوا الخازندار والنقراشي باشا وأحمد ماهر وحاولوا اغتيال عبد الناصر. وعندما خرجت المظاهرات الشعبية من كل الأحزاب والتوجهات السياسية تهتف «الشعب مع النحاس»، فإذا بالمظاهرات الإخوانية لم تنضم إلى مظاهرات الوطن وأخذت تهتف «الله مع الملك»! وكأن البنا بهذه المظاهرات يتقرب بها من الملك فاروق صاحب السلطة العليا في البلاد.

واستعادت ذاكرة سميرة هانم واقعة ما زالت محل استهجان بين زعماء الطلاب في الجامعات المصرية. قالت بسخرية :

- وهل ينسى التاريخ مصطفى مؤمن، زعيم طلاب الإخوان بالجامعة، عندما وقف يخطب أمام الديكتاتور إسماعيل صدقي

مستشهدا بالآية الكريمة "واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا"!

وأردفت قائلة بمرارة :

- مين بقى إسماعيل صدقى .. إسماعيل صدقى ده إالى شن حملة اعتقالات واسعة عام 1946، ثم قام بإغلاق عديد من الصحف التى تعارضه .

وأكد المهندس عمر على ميكيفيلية الإخوان المسلمين من خلال استقطاب عدد من الحركات الشعبية في محاولة منها إضفاء المزيد من الشرعية على تحركاتهم ثم إقصاء هذه الحركات عندما يتحقق لهم مبتغاهم. وقال موجهها كلامه لسميرة هانم وعليه هانم :

- الأدلة على كلامي كثيرة وأقربها إالى تعرض له شباب ثورة 25 يناير. فالثورة المصرية إالى اشعلها شباب الفيسبوك وقدموا أرواحهم لإسقاط نظام مبارك وجدوا أنفسهم أخيرا بحاجة إلى ثورة جديدة على ثورتهم التى سرقها الإخوان المسلمون ونهبها أهلهم وعشيرتهم. فالإخوان ركبوا موجة الثورة 25 يناير وسرقوها وجنوا ثمارها وحدهم وكل ما حصل عليه شباب الثورة هو شهادات التقدير والاستقبال الرئاسي لذويهم . هدف هذه الجماعة إالى بيتاجوروا كذبا به هو الإصلاح والباطن هو دولة الخلافة.

كانت عليّة تستعرض الحالات الثلاث التى يجوز فيها الكذب ثم قالت متعجبة :

- معقولة انتخبنا الإخوان ليبارسوا الكذب علينا باعتبار انهم وحدهم المسلمون وبقية المجتمع من الأعداء. يا ما شاء الله

انتخبنا أعداءنا... مش معقول.. لأ... مش معقول. حقيقي الشعب المصري طيب.

ثم أردفت قائلة :

- على أي حال خدوا جزاءهم من اللي يمهل ولا يهمل. تأييين بعد ما كانوا طايحين. مش قادرين يصدقوا أن الشعب الطيب استرد إرادته. ما هو الشعب المصري مش عيبط.

وأضاف الفاتح موضحا:

- يا حاجة الصدمة كبيرة وعملة زي المصيبة لما تنزل مفاجئة على الغافل.

وعلق عمر :

- الحقيقة الصدمة مش كبيرة بس.. كمان النهاية كانت أكبر من كرشهم !!

وعقبت عليه:

- يا ابني صدقني مصر ما حدش يقدر ييلعها.. ما حدش يقدر ييلعها

وأكد المهندس أحمد بثقة:

- هناك أسباب حقيقية متراكمة تدفع المواطنين للانفجار ولا توجد أي محاولة من الحكومة لاحتواء مشاكلهم والبحث عن حلها. الأوضاع في مصر أثناء حكم مرسي اصبحت أسوأ مما كانت عليه في عهد مبارك . الحكومة تجاهلت معظم المشكلات اليومية الملحة زي مشاكل انقطاع الكهرباء والبوتاجاز ورغيف العيش مثلا.

بدت تحركات غير مريحة في صالة المسافرين . أفراد من طاقم المضيفات والمضيفين الأرضيين يندفعون جريا في شتى الاتجاهات. بدأ القلق يتتاب الجميع. ألوجوه حائرة. الكلمات متجمدة على أطراف الألسنة. المضيفات والمضيفون واقفون انتباه خلف الكاونتر. سكون .. هدوء مريب ينذر بما لا يحمد عقباه. صرخت عالية وقد احترقت أعصابها في الوقت الذي كان المذيع الداخلي يعلن عن فقدان أثر الرحلة 105 المتجهة إلى شرم الشيخ وأكد على أنه سيوافينا بالمستجدات أولا بأول. تنهد قدرى تنهيدة عميقة وقال في حسرة ملؤها أحزان الدنيا كلها:

- ما هى المستجدات التي ستوافينا بها يا أفندينا ؟

قالت سميرة وهى ترتعش :

- في مثل هذه الكوارث تستبعد عائلات بأكملها من صفحة

الأحياء وتخرج من الدنيا. هو ده إللي خرج ولم يعد بجد ... لا اله إلا

الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وضربت سميرة كفا بكف وهى تقول:

- لا اله إلا الله ... محمد رسول الله

وغالبت عليه دموعها وقالت وهى تصرخ من داخلها بألم دفين:

- آه وكم من آه يمكن أن نحتمل يا قلبي من آلام على ما سوف

يكشف عنه هذا الحدث. ناس كنت فاكرهم ملايكة إمبارح فإذا

بهم شياطين جهنم عايشين معنا. فيكي أيه يا دنيا نخبياه وآن الأوان

تكشفي عن إللي خَفِئَتْهُ الأيام في طي الكتمان.

وأخذت تجهش بالبكاء والدموع أفسدت الميكياج وتدعو فهذه لحظات
توسل ورجاء يكون العبد فيها أقرب ما يكون إلى خالقه يسأل العبد وباب
الاستجابة مفتوح على مصراعيه:

- اللهم أسترني واستر آل بيتي والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات في الدنيا والآخرة ويوم العرض عليك يا أرحم
الرحمين.

ثم مسحت بكفيها على وجهها. اختلط الأمل مع اليأس والممكن مع
المستحيل والدعاء مع الرجاء والدموع مع الدموع. فالمشهد كله تطهره
دموع الحضور. الكل له شأن يكيه. كنا نخطط للقاءات ومباهج للغد بل
لليوم ولكن الله خالق الكون له التدبير كل التدبير.. سبحانه وتعالى له الأمر
من قبل وعن بعد...

خرج توفي من المشهد وأخرج الهاتف وطلب نمره أخيه الرقم يرن ومعها
يزداد عدد نبضات قلبه ثم يأتيه الرد بأن الهاتف المطلوب مغلق أو عطلان
يرجى إعادة المحاولة فيما بعد. يحاول ويحاول وبدأ العرق يتصبب من جبينه
ويضغط بصبيبة على مفتاح إعادة المحاولة. يبكي كما يبكي الأطفال
ويحدث الهاتف ويرجوه ويلح عليه أن يأتيه برد ولكن دون جدوى. لم
تحاول فيكي أن تتصل باختها صفية لأنها علي يقين من أنها لن تضيع
الفرصة. ورغم أن فيكي مقتنعة تماما من أن أختها تحاول دائما أن تفرض
نفسها وأفراد أسرتها على بيتها لتعرف الجديد الذي حل بهم غير أن صافية لم
تفرض نفسها على هذه السفيرة وأنها ألحت عليها لكي يخرج الأولاد مع
بعض وينزلوا البحر يغيروا الهم إللي هم فيه... أيام الإرهاب الأسود ..
تذكرت وهى تجهش بالبكاء اعتذار أختها بدعوى منين يا أختي

المصاريف، العيشة مرار وما قدرش أذل أولادي أكثر من كده. انخرطت فيكى في نوبة من البكاء المستيري وهي تقول مؤنبة نفسها: "نا اللي وعدتها بتحمل مصاريف الرحلة من الباب للباب. ما أنت أختي و الأخوات لبعضيهم. أنا السبب .. أنا السبب. ربنا مش قابل مني العمل الطيب. أصاب بودى القلق الذى انتقلت عدواه من الشباب واقتربت من أمها ووجدتها تبكى بحرارة وأخذت تربت على كتفها لتواسيها قالت بحزن :
- مامي، كفاية كده .. الدموع مش ح تغير حاجة ... الدموع

أفسدت الميكياج

- أختي يا بودي ... خالتك إللي ياما سهرت وتعبت .. زبي ويمكن أكثر .. هى ده صافي إللي فقدناها. حظها مال من يوم ما اتجوزت عمك.. كانت جوازة مثيلة بنيلة من يومها ماكسبتش. كانت شورة الشوم. ما شافتش يوم هنا ولا حتى عندي أنا.

تعجبت بودي وهي تسمع أمها تشكو حظ أختها صافي. حقيقي عجبت لك يا زمن. أمي التي كانت تضيق على خالتي وعمي وأولادهم بدعوي ما طمعهمش دول جيش يا توفي. وتكرر عبارة مقبلة كنا نعرف أنها عبارة ملتوية غير صادقة كانت تقول لدادي : أختي قبل أخوك أنا قاطعة رجليهم. يا خويا داري على شمعتك تقيد. ده عيالهم زى التتار لا بيخلوا صحيح ولا مكسر. ألاحق عليهم منين. لما بياكلوا زي إللي بياكلوا آخر زادهم. العجيب ما يبانس عليهم. البيوت أسرار. همه يعني بيودونا عشان نودهم. كان دادي غلبان، مامي ملبساه توب مش توبه. يسكت ولسان حاله بيقول : قاطعة رجل مين ؟ أخويا إللي طافح الكوتة في الشغل معايا ولا اختك إللي حاطاها تحت رجلكي ... شايلكي وشايلة عيالك كبير

كان واللا صغير.. وخرجت بودي من تأملاتها ومراجعاتها السريعة وقالت تلوم أمها:

- مامي إحنا مالناش حد غير عمي طاهر وخالتي صافي وأولادهم. تعبت يا مامي من كتر ما كنت بأقول وأعيد بس مين يقرأ ومين يسمع.

هجمت فيكي على بنتها بودي وكأنها وجدت طوق نجاه مما هي فيه. قالت وهي تتفرس في ابتها كأنها دب جريح وافته فرصة معاودة الهجوم لتبرئ ساحتها أمام الجميع:

- أهى دى شورتك المنيلة. سمعت كلامك ضيعت أختي وأولادها - وعمي طاهر يا مامي؟!

- سبيني في حالي، أنا مالي ومال عمك طاهر ما هو السبب في إللي إحنا فيه. أنا العفاريت بتنطط حواليه

تساءلت بودي في استهتار لأنها متأكدة من الفيلم الهندي إللي أمها بتأدي فيه دور البطولة:

- عفاريت ؟ عفاريت ! آه عفاريت ضحايا الطائرة إللي ماتوا.. يا ولداه مقتولين ... يا حرام!!

وعادت بودى تداعب أمها برزالة:

-هي العفاريت لحقت تيجي لحد هنا؟؟؟!!

وعندما فرغت من كلامها انصرفت بودي من أمام وجه أمها. صاحت فيكي تنادي على زوجها توفي الذي جاء مهرولا وكل شئ فيه يهتز بما في ذلك أعصابه بل شخصيته.

- خير يا فيكي، طاهر رد عليكى. طول عمره كان يبحبك ...
- عمرک يا حبيبي ما جبت سيرتها إلا بالخير.
- علقت على ما قاله زوجها بغطرسة مجافية للحقيقة والواقع وغير متناغمة مع الذوق وماجريات الأمور :
- طبعا يجيب سيرتي بالخير. وما يجبهاش ليه بالخير؟
- يؤمن توفى بالموافقة على كل كلمة تقولها فيكي. ليست لديه إمكانيات معارضتها. كل ما عنده هو هز رأسه بالموافقة :
- ما حدش يقدر يمس سيرتك إلا بالخير.
- قالت فيكي في عنطرة لا تناسب المكان ولا الزمان :
- أيه الجديد في ده يا توفى ؟ طول عمري سبّاقة بالخير
- طبعا
- أوه نَسْتَنِي أنا ناديت عليك ليه ؟
- على أقل من مهلك ... وحياتك على مهلك وأنا عندي أيه أهم منك
- أيوه افكرت
- الحمد لله إنك افكرتي ... شوفى قد أيه كنت ح أفضل مستني.
- برضه أدوية تنشيط الذاكرة جاية نتيجة. الحمد والشكر لك يا رب ..
- أنت واقف هنا ليه ؟ افكرت أيوه افكرت فين البنت ماهى والولد ميدو ؟
- ما شأن ميدو فيا حدث سوى تأثيره في إمكانية السفر من عدمه. كان واقفا مع سامي ويوسف. العمر متقارب وهو أصغرهم. تداولوا فيا بينهم مدى

صعوبة امتحانات الثانوية العامة .لم يكن المهندس أحمد وعمر بعيدين عنهم، وانضموا إليهم وتم التعارف بينهم.
قال المهندس أحمد:

- قصة معادة سخيفة من مسلسل ردئ السمعة يراد به في الظاهر تحقيق تكافؤ الفرص.دروس خصوصية لا يقوى علي أعبائها إلا الأثرياء أو يتحملها أبناء الطبقة المتوسطة ربما بالدين أحيانا أو بيع الأسرة مدخراتها من مصاغ أو خلافة من أجل إتاحة الفرصة أمام أبنائهم للالتحاق بما يسمى كليات القمة .
واستطرد المهندس أحمد قائلا باستهجان :

- تكافؤ فرص أیه بين أفراد ظروفهم مختلفة في كل شئ ...حتى المدرس إلّی بیشرح للطلبة قدراته على توصيل المعلومة تختلف عن قدرات أقرانه.

بادر عمر معقبا بثقة مردها انشغاله منذ فترة بقضايا التعليم والتدريب وسوق العمل :

- يا أحمد هذا حق في الظاهر يراد به باطل. فأبناء ميسوري الحال لهم فرص أكثر من غيرهم بما لديهم من ثروات. فإذا لم يحقق المجموع المطلوب أرسلته الأسرة إلى الخارج للتعلم في الكلية المطلوبة .وعادة تظل الأسر رهن الاعتقال في البيوت إلّی بتحول الي ما يشبه المعسكر المكرس لخدمة أفندينا طالب الثانوية.

قال سامی وقد إنزاح عبء الثانوية العامة عن كاهله ومعبرا عن مشاعره من تجربة عاشها بتفاصيلها كلها :

- معاك حق يا باشمهندس عمر . من ستين لما كنت في الثانوية العامة كنت عامل فيها سي السيد.كنت شايل عيب الدروس الخصوصية إللي كان بابا بيكعها أسبوعيا.كنت عامل ألف حساب ليوم النتيجة.. إللي شاغلني فرحتهم. لما كنت أزهد من المذاكرة ألاقى ماما داخله بعصير الليمون المتلج ففتحول الحكاية من زهقان إلى روقان. كان قلقي مش على تعبي ... كان قلقي على خوف بابا وماما على.كنت عاوز أفرحهم. فرحتهم معايا بتعبهم وسهر ماما. كفاه طلتها علي في نص الليل كانت الجرعة المنعشة المجددة للقدره على مواصلة المذاكرة. هي دي الثانوية العامة إللي معششة في كل البيوت.

روى يوسف قصته مع الثانوية العامة بظرف لأنه ببساطة لم يكن راغبا أن يحمل نفسه أعباء مثل التي حملها شقيقه سامي إلى جانب عبء الثانوية العامة ذاتها.

- تعبي لسه فاكره يا سي سامي. كان حلم دخول الطب هوه إللي كنت بأهزم بيه كل لحظة ضعف أو قلق. علقت سماعه الأطباء أمامي على الحيلة. خاليت الحلم قدام عنيه ما فارقنيش لحظة. أفراد البيت كانوا بيضحكوا علي لما أخرج عليهم من المحراب معلقا سماعه الطبيب في رقبتي. طبعا كانت فيه لحظات يأس وألم وضعف ودموع... عندها كنت أقف معتدلا وأشد قامتي شدا وأنطلع إلى المرأة وأحدث نفسي مداعبا " : يا ورد هون عليك" .

توقف هذا الرجل مقاما الصغير عمرا يتفحصهم وهو ابن الثامنة عشر واستطرد :

- لا فكرت في بابا ولا ماما، الهدف أمامي وحوالين رقبتي. ما أنا عشت معاهم أيام سامي. الخوف ... القلق ... الحيرة. خلاص التجربة عيشتها. وكانت النتيجة الطب.. ودخلت الطب بمشيئة الرحمن. سادت لحظات من الصمت غلفتها نظرات إعجاب بطبيب المستقبل.

خرج عمر عن دائرتي الصمت والانبهار. تواترت علي ذهنه حالات لم يكن خريجو كليات القمة المزعومة أوفر من كليات القاع. قال بروية:

- يا يوسف مش مهم طب ولا صيدلة... المهم التفوق.. خريج الحقوق بدرجة جيد قد يكون أوفر حظا من خريج الطب أو الهندسة بنفس التقدير. المهم أن تلتحق بالكلية التي تحب موادها وتحب المهنة أو المهن التي تتمكنك قدراتك أن تزاوها. لابد أن تكون لديك الرغبة في النجاح وان تكون متسلحا بالأدوات التي تتمكنك من إدراك ما تريد...

اما يبدو فقد تبين له أن المشهد لا يعنيه. أخرتها امسك شركة بابي لا ثانوية ولا مجموع ولا دوشة دماغ ولا جامعة ولا دياولو واحصل على 1500 جنيه آخر الشهر على الأقل .

رن هاتف من الهواتف التي يحملها الجميع. رنة مميزة ليست كسائر الرنات التقليدية. تبادل الكل النظرات ... نظرات استغراب ودهشة. قال عمر بلهجة أمرة:

- رد على الموبايل يا أحمد... الموبايل. موبايلك.

ألقي أحمد بنظرة سريعة لمعرفة هوية المتحدث وأجاب مرحبا :

- أهلا يا ثريا إحنا بخير .. عمر بخير

- الحمد لله... الحمد لله

كررت ثريا الحمد والشكر لله مرات كثيرة وأجهشت بالبكاء قالت
بصوت نبراته متقطعة:

- إنتوفين ؟

- في المطار

- مطار ؟ مطار أيه يا أحمد ؟

- مطار القاهرة

- الدنيا مقلوبة عليكم. الرحلة 105 مفقودة

- ما إحنا عارفين. الرحلة فاتتنا. "عمر" معايا ح يكلمك

- أيوه يا حبيتي إحنا بخير. الحمد لله. بابا .. ماما بخير ... بوسيههم.

طمّنيهم.

انهالت رنات الهواتف. الدنيا مقلوبة بجد ... رنات أدعية ... ورنات أغاني
هابطه ورنات موسيقى عالمية. المهم الكل يرد على الهاتف. رباعى رجال
الدين يميزون بملابسهم البيضاء صلوا الضحى فرادى. تلقى عبدالرحمن
مكالمة موجزة للاطمئنان عليه وعلى زملائه من رجل الأعمال صاحب
الدعوة.

ماهى تلقت مكالمة أخذتها إلى مكان قصي حتى لا يسمعها أحد استهلتها
مستفسرة:

- أنت فين يا مجنون ؟

- أنا هنا يا بنت الحلال

- هنا فين يا مصطفى ؟

- في المطار

- مطار أيه ؟
- والله مطار إلّا عقلي ... هو في ايه ؟
- انت مش داريان ؟
- ما إنتي عارفه انا مش داريان من زمان. هو في أيه ؟
- ر علة شرم الصباحية مفقودة
- استفسره بجديه واهتمام:
- طيب إنتو فين ؟
- في المطار يا ظريف
- مطار شرم الشيخ ؟
- لأ طبعاً يا نبيه. مطار القاهرة ... يا ويلي من لعبك
- ما إحنا في مطار القاهرة. المطار مليون. الناس دى كلها رايحين فين ؟
- رايحين يعملوا عمرة ؟
- رايحين كل بلاد الدنيا
- يعني زينا
- لأ، يا حلو. شرم الشيخ على قدنا. بالمناسبة .. أوعى تقول لحد انك كلمتني. تعالى واتفرج على مامى واللي هي عاملها.
- مكانت نيكي تبحت عن ماهى وتردد تحدة نفسها : ماهي هي إيلي صربها نيا. فينك يا ماهي ؟
- اقل بقى يا صفصف مامى جايه .
- أغلقته ماهى الهاتف ورحبت بأمها وقالت قبل أن تطرح عليها أي سؤال :

- نسمة صحتني الأنتيم كلت ودني رغي في رغي يا مامي.
ماعرفتش اسكتها . بس ماعرفتش تاخذ مني أبيض ولا أسود.
بتتك يا فيكى.

ربت على كتفي ماهي وقالت:

- شاطره يا ماهي الكلمة لازم تطلع بحساب . لسانك حصانك إن
صنته صانك .

- أبه المثل البلدي ده يا مامي ياي

- لأ، المثل البلدي بيقول لسانك حمارك اما أولاد الذوات بيقولوا
لسانك حصانك

سكتت هنيهة وتابعت كلامها :

- ولاد الذوات بيركبوا خيل مش كده. والناس البلدي بيركبوا حمر
واللأ عربية كارو. إنتي كنت غايه عن عيني فين ؟

- أوه يا مامي تاني نسمة الأنتيم

- افكرت انت قولتي لي حاجة زي كده.

- روعي يا مامي استريحي. النهارده يوم طويل

- توفي مشغول على طاهر وناسي صافي وأولادها كما لو ما كانش
على الطيارة المنكوبة غيره

لم تفصح ماهي بما لديها من معلومات وإن هي إلا لحظات قليلة ويهمن
ظهور طاهر وأسرتة على المشهد بأسره. اختلطت الدموع بالأحضان،
والبأس مع الأمل. وابتلعت الابتسامة الأحزان وأشرقت العيون بالحب،
وتحينت ماهي الفرصة وحضنت مصطفى وأسرت إليه مرة ثانية ألا يروي

شيئا عن المكالمة وأن القبلة التي حصل عليها ثمن سكوته مقدما. وتقدم توفي المشهد وقال في عنترية ابن البلد:

- دعوة للجميع على الغداء بمناسبة نجاة أخي وأخت مراتي من الموت

لم تمهل فيكي الحضور فرصة التفكير في الدعوة وقالت :

- ما إحنا كمان نجينا من الموت، وما حدش عزمنا على الغداء.

واستطردت تسأل طاهر:

- قدها والآ لأ يا طاهريا أخو جوزى وجوز أختي؟

لم يستغرق من الوقت كثيرا قبل أن يجيب طاهر على فيكي:

- الجيب واحد وأخويا دايا شايلى كل الجمايل عني وعن أختك

وأضاف متأنيا:

- كلنا نجونا من الموت المحقق بفضل من الله تبقى كده متساوية..

يعني قد بعضها. يكون الغداء على الطريقة الإنجليزية كل واحد

يدفع لنفسه.

بدأ توافد المستفسرين عن ضحايا الطائرة المفقودة. وكما كانت هناك فرحة

غامرة بسلامة أسرة طاهر كان يقابلها قلق وتوتر وتيار جارف من النقد

والتنديد بما حدث. لا توجد إجابة شافية عن الأسباب التي أدت إلى

الكارثة سوى نحن في انتظار العثور أولا على موقع الطائرة وعلى

الصندوق الأسود. أهالى المفقودين ينهالون سبابا على طاقم الخدمات

الأرضية الذين يبذلون قصارى جهدهم للتخفيف من حدة الهجوم عليهم

واستيعاب غضبهم برسم ابتسامة فاترة لا معنى لها، فليست لديهم أى

معلومات أكثر مما يعرفه الحاضرون.

اقتربت الساعة من الثالثة عصرا موعد النداء على الرحلة 107 المتجهة إلى شرم الشيخ. الإقبال ضعيف.

أنهى الركاب المتخلفون من الرحلة السابقة إجراءات سفرهم ببسر وتفاهم مع طاقم المضيفين. بدت في البداية الرغبة في الإحجام عن السفر وفتور الهممة في الترويح عن النفس بعد ما استجد من أحداث. عاملان أسهما في مواصلة المتخلفين إجراءات سفرهم.

روى أحد الركاب أن المطرب الراحل محمد رشدي روى للموسيقار عمار الشريعي أنه ذهب لاحياء حفلة غنائية في بور سعيد وكانت قد تعرضت لزلزال قبل الحفلة بفترة وجيزة. واختلف الحضور حول ما يسمعون فريق يطلب أغنية كعب الغزال يا متحنى بدم الغزال وفريق آخر يطلب أغنية أخرى لا أذكر اسمها فإذا بمواطن من وسط الصلاة يهتف بأعلى صوته كعب الغزال يا رشدي والأعمار بيد الله..ياالله يا اخوانا علي الطيارة والأعمار بيد الله.

بعد البسملة والصلاة على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين قال الأخ عبدالرحمن:

- قال الله تعالى في سورة النساء ردا على المنافقين من أهل أحد عندما قالوا " لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا " قال عز وجل " : أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" ... نحن صائرون إلى الموت فلا محالة في الأجل المكتوب، ولا نجاة لأحد من الموت، فلكل أمد مقسوم. ولماذا نجزع من المقدر غير المعلوم وقد اقترب منا ولم يصبنا لأن سهامه أصابت هدفها ولم تخطئنا. هذه تذكرة لمن أراد أن يفهم.

وجل الحضور ووعوا الدرس تماما فهو تذكرة لمن يريد أن يفهم. وعندما جاءت أشجان وأمها ومعها الكلب اللولو في الساعة الثالثة عصرا اتجهت مباشرة إلى الكاونتر لإنهاء إجراءات السفر. وأشارت إلى الركاب أن يفضلوا لمواصلة الاجراءات وقد استضاء وجهها بابتسامة. تقدم أحمد وعمر دون أي تردد وفي أعقابهما الإخوة الأفاضل عبدالرحمن ومحمود وحسن والفتاح ثم بقية الركاب المتخلفين عن الرحلة الصباحية وعدد غير كبير من الركاب الأصليين لرحلة الخامسة مساء. انتظم الركاب في مقاعدهم وربطوا أحزمة المقاعد وحلقت الطائرة في رعاية الله ترافقها أدعية الركاب وتمنياتهم بسلامة الوصول.

طلبت الأنسة أشجان من المضيفة استدعاء الشابين أحمد وعمر وأشارت لها عليهما. قالت لهما أنتما تعرفان بقية ركاب رحلة الصباح وأنا أشجان تدعوهم جميعا علي العشاء في فندق مرمره الساعة السادسة مساء الغد. يعتبروه غداء متأخر ماشي .. يعتبروه عشاء مبكر برضه ماشي .. إللي حاكمنا يا باشمهندس مواعيد حظر التجول. وسألها عمر همسا : أشجان ؟ فأكدت المعلومة وأعاد تعريف نفسه وقالت مهندس معماري عمر ... وأكمل وابن عمي المهندس أحمد. عادا إلي مكانهما وأبلغا الرسالة وتبادلت أشجان التحية مع زملائها.

هبطت الطائرة بسلامة الله أرض المطار. أخذ الركاب أمتعتهم ولم يكن مع أحمد وعمر سوى هاندباج واحدة ووجدوا أشجان وأمها داخل سيارة فارمة. استوقفهما سائق السيارة وأشارت إليهما أشجان وسألتهما عن وجهتهما فقالا في نفس واحد : "فندق مرمره" ، خليج نعمه..

- طريقنا واحد

وأمن عمر على قولها:

- إن شاء الله

أسرت أشجان في نفسها ابتسامة لاتعرف كنهها ولكنها كانت سعيدة بها.
سألتهما من باب الاستطلاع:

- انتو بتنزلو في فندق مرمرة ؟

ترك أحمد الفرصة كاملة لعمر لينفرد بالحديث معها:

- دايما.. المكان هادئ وكل سويت أو شاليه له خصوصيته.

حنلاقي أربعة من زملائنا في انتظارنا.

هزت أشجان رأسها بإيلاء خفيفة وقالت باهتمام:

- أيوه

استطرد عمر قائلا:

- إحنا فريق صيد سمك بنشترك في المسابقات وينكسب أحيانا

- جميل. بكرة إن شاء الله. ح نسمع صوت المهندس أحمد. لا تنسوا

دعوة بقية فريق الصيد

وصلت السيارة إلى الفندق وهمّ كلاهما للنزول وشرعت والدّة أشجان في النزول فوجدت يد أحمد تساعدّها وهمت أشجان بالنزول فمد عمر يده ليرافقها في النزول. وما أن نزلت أشجان والدتها من السيارة إلّا وعدد غير قليل من العاملين في قسم الاستقبال يجرون حولهما لتلبية أي أوامر. شعر أحمد وعمر بأن ثمة شيء غريب غير مفهوم يحيط حول هذه السيدة الجلييلة وابتتها. ما هذا الهيلمان كله. وما هذه الدعوة الكريمة.

التقى أحمد وعمر مع زملائهما الأربعة ودارت بينهم أحاديث مقتضبة عن الرحلة المفقودة. وسرعان ما أبديا رغبتها في الاستعداد للنوم. ألقى أحمد بنفسه على السرير وهو بملابس السفر. وانخرط في نوم عميق. استلقى عمر على ظهره على السرير، وظل يحلق في السقف بلا هدف. رأى

تشققات خفيفة بدت في خياله المرهق كأنها خطوط كف اليد وشرع يفسرها على هواه إلى أن غلبه النعاس. نام عمر وهو لا يعرف ما إذا كان في عالم الأوهام أم كان في عالم الحقيقة يفسر ما يراه على هواه. رأى فيها يرى النائم قبة السماء وقد رصعتها النجوم والكواكب وإذا بكوكبة من النجوم المتألثة تندفع نحوه بقوة هائلة وحين دنت منه خرجت من قلب كوكبة النجوم نجمة لها شأنها وهيبتها وجلالها وقالت: " هو ضيفي فاتركوه، لاتمسوه بأى مكروه. انثروا الورد عليه ولا تزعجوه." وعندما أوشك الخيط الأبيض يتبين من الخيط الأسود من الفجر نهض عمر من فراشه وهو يقول أنا ضيفها فاتركوني وشرع ينفض عن ملابسه ما شاهده من ورود. دخل الحمام للوضوء وتنبهت كل حواسه وخرج من العالم غير الملموس إلى عالم الواقع المحسوس. أدي صلاة الفجر والصبح منفردا في خشوع وبقلب مطمئن ونفس راضية.

خرج إلى شرفة الشاليه وتمدد على الكرسي الشيزلونج بعد أن ارتدى ملابس الرياضة شورت وتي شيرت وحذاء للمشي. وأخذ يتأمل في ملكوت الله وهو يسبح ويحمد ويشكر الله على ما أنعم ب عليه من نعم لا تحصى.

خرج الأخوة عبد الرحمن ومحمود وحسن والفتاح من صالة الوصول فوجدوا شخصا يمسك بلافتة عليها اسماءهم. تم التعارف بينهم وأخبرهم أن الباشا سيكون في انتظارهم الساعة التاسعة من صباح الغد وأنه سيمر عليهم في الفندق ليتشرفوا بلقاء الباشا. لم يستبشر الفاتح خيرا من هذا الحديث عن اللقاء المرتقب بين المدعو " الباشا " وبينهم. وساءلته نفسه أليس لهذا الباشا اسم ينادى به ؟

ربما.. ولكنه بالتأكيد إنسان من شحم ولحم. وغدا لناظره قريب. يكره
الألقاب والمنظرة والمظاهر والفشخرة. البساطة والتواضع يقربان النفوس.
فلا تمش في الأرض مرحا فإنيك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا.



باليه راقص

شرم الشيخ واحدة من أجمل مدن العالم. تقع في جنوب سيناء. من أهم معالمها هضبة أم السيد وخليج نعمة الذي يعتبر منطقة سياحية متكاملة .. مراكز للتسويق ومطاعم ونوادي ليلية. وإذا قمت بتمشية بعد العشاء حيث يتحرك معظم الوافدين اليها ليتمتعوا بدفء شتائها عشت مع رفاق لك من شتى انحاء العالم. تسمع لغات العالم كلها وأنت على الطريق بما فيها أهم لغات العالم ... لغة الإشارات. تشاهد أجناس العالم جميعا الأبيض والأسود والأصفر وقد تلاقت على أرض شرم الشيخ ليتعارفوا، كأنما الصحاري والجبال والبحار والمحيطات والبراري والغابات والسهول والوديان التي فصلتهم عن بعضهم مهدت ليلتقوا في هذه البقعة الجميلة. الليل عالم شرم الشيخ ورحلات السفاري وأكل المشاوي في الهواء الطلق والجلوس على الوسائد أو التمديد عليها في جو موسيقى ورقصات عربية وسماء مفتوحة تسبح فيها الروح بحمد ربها الخالق ويخلق الخيال إلى آخر مدى.

بدأت نسائم باردة حنونة تداعب أوراق الشجر وتنعش الطيور في أعشاشها فبدات تناجي بعضها بشقشة أقرب إلى التسبيح وأخذت الشمس تخلع عباءتها في تكاسل لتضفي جوا رومانسيا إضاءته خافته على الزهور والورود ثم مجموعة من فراشات أبودقيق المتراقصة تنتقل في خفة ورشاقة مذهلة كأننا في عرض رائع لمشهد من باليه بحيرة البجع على موسيقى تشايكوفسكى حيث تسمو النفوس عن غرائزها وترقى لتستمتع بالتناغم والتوافق بين الموسيقى المجردة والأداء الحركي المعبر.

قال عمر وهو يستمتع بروعة الأداء الكونى على لسان إيليا أبو ماضي :

- والذي نفسه بغير جمال

- لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

ترامي إلى سمعه وهو بين الغفوة المليحة وبين اليقظة المريحة بناح كلب وما هو بنجاح. وعندما انتبه سمع صوتاً لا يخطؤه ينادي على الكلب باللغة الإنجليزية :

- Where are you

قفز من فوق الشيزلونج وكاد أن يقع لولا لياقة الرياضي وأجاب على الفور:

- أنا هنا، صباح الخير. ما شاء الله. صحيان بدري وملابس رياضية. منتهى النشاط واللياقة والبساطة والجمال.

- كل ده شوفته في أقل من ثانية

- ما همه يقولوا إليّ مايشوفش من الغربال يبقى أعمى وأنا بفضل من الله بشوف بعيني وأحس بيها.

أومأت براسها موافقة واستطرد عمر قائلاً:

- إحنا واقفين ليه. الكلب اللولو جري سبقنا. واضح إنك خارجة تمشي.

- بينا نمشي.

- واستدركت متساءلة :

- دايا بتمشى

- لأ دايا أصحى بدري وأعمل الرياضة ممكن تكون رياضة مشي وممكن تكون تمرينات لياقة وممكن تكون الاتنين.

سكت وتأملها عن قرب وأضاف:

- أحيانا أصحى بدري وأودى بعض الأعمال الهامة قبل صخب اليوم. عادة قديمة من أيام التلمذة والامتحانات .
- توقف عن الكلام بينما كانت تسير إلى جواره باغته وهو ينظر إليها :
- لماذا توقفت عن الكلام
- لقيت نفسي أرغى وأرغى قلت
- قاطعته وقالت بهدوء وثقة :
- قلت أتأملها مرة ثانية
- ولما لا وهى أمامى؟ لوحة تفيض حياة وحيوية تنبض رقة وقوة.
- بساطة تأخذك بسحرها وشخصيتها النافذة بغير تكلف. نظرة واحدة كفيلة لأن تضع الأمور في المسار الذي تريده .
- أشارت بيدها على فمها بما يفيد رغبتها ألا يسترسل. سبقها بأربع أو خمس خطوات ثم استدار ليواجهها فإذا بوجنتيها اكتسبا بحمرة الخجل أراد أن يسترسل ولكنه غير مجرى الحديث احتراماً لرغبتها. قال :
- التقينا من قبل وما كان ليدور بخلدى أننا سنلتقي مرة أخرى
- أتذكر؟
- أذكر بالطبع
- اعتقد أنني نسيت
- من حقا أن تنسى ومن حقا ألا أنسى
- هذا شأنك
- ولما لا تقولين : هذا شأننا
- لا، هذا شأنك وحدك
- نحن بالتأكيد شركاء فيه.

قالت أشجان بهدوء :

- التقينا صدفة غريبة. في هذا الفندق عند الباب الدوار كنت مندفعاً وأنت تدخل الفندق وكنت أسير على مهل وأنا في طريقي إلى الخارج. دفعت الباب الدوار بعنف فاختل توازني. ولكنني أمسكت المقبض بسرعة فاستعدت توازني.

- ولكنني اعتذرت .

- أبداً وقلت على ما أذكر دي ناس الوقت مالهوش عندهم ثمن .

- أنا قلت كده ؟! أكيد مدين لك بالاعتذار أمام الكلب اللولو .

ضحكت إنجي.

- كمان الضحك

أشارت بيدها ألا يواصل الكلام فسكت. اقتربا من منطقة الرمال المتاخمة للشاطئ والتي تفصل بين الحدائق والشاليهات وحمامات السباحة وبين شاطئ البحر. جلس على الرمل فوجده رطباً. سأها

- هل تتمشين يومياً

- عادة

- إجابة لا تعطي معلومة قاطعة.

- إلا تخشين على نفسك من التمشية في هذا الوقت المبكر من

الصباح؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- لما غيرت سؤالك ؟

- أي سؤال؟

- سؤالك قرأته في عينيك. كان سؤالك هل كنت ستتمشين وحدك لو لم تصادفيني ؟
 - فعلا ده كان سؤالي
 - قرأته بوضوح على جبينك. وأنا أتأملك كما تأملتني
- أضافت:

- حرس الفندق المنتشرين في الحديقة ولا تراهم رهن إشارتي وربما قبل ذلك .
- يعني أخاف؟
- بالتأكيد لأ
- ده يفسر الهايلمان بتاع الاستقبال ؟
- بلاش تسأل.. أحسن لك تبني قصر على الرمل.
- لينا؟!

قبل أن تجيب سمعا وقع أقدام مقبلة نحوهما وقد كان الكلب اللولو ينبج ليحذرهما. قالت وهي تبسم وقد تلقت رسالة على الهاتف:

- المهندس أحمد جاي ورائي. ده يؤكد لك ما كوتأش لوحدنا.
- أكيد

وأضاف همساً:

- والحب نالتنا.
- وتساءلت أشجان :
- قلت أيه ؟
- ولا حاجة . أبدا كنت باكلم نفسي !!



فنجان قهوة في رحاب الفن

استدارت أشجان ورحبت بأحمد ومنحته ابتسامة الصباح وبادها التحية. قال أحمد معاتبا عمر
- أختك

أرادت أن تنسحب ليتحدثا على راحتها، ولكن عمر لم يدعها تمشي في الوقت الذي كان أحمد ينظر إليه نظرة استنكار واستغراب. تساءل عمر
بسخرية

- اשמعنى؟

- جرى أية يا عمر. هي قافية؟

ابتعدت أشجان عن منطقة الحوار قليلا ولكن على مسمع منه. اعتدل عمر في جلسته وقال:

- رمال وبحار و أشجان وثريا وأحمد وضوء الشمس يكاد يغمرنا...

أخفت أشجان ابتسامتها وراء منديل في يدها. قال عمر غير مندهش:

- مادمت بدأت الكلام بـ "أختك" إذا هات ما عندك. وانتبه يا ابن

العم الحبيب هناك شهود على شكواك.

- صاحيه من النوم...

توقف عن الكلام ونظر إلى أشجان ولكن أعطاه الأمان. تابع أحمد كلامه

- ومعاها نوبة شك

- وما الجديد؟

سألته مباغته عنك فأجبتها أنك مش في السرير. لحظتها انهالت علي نيران الشك والغيرة .

- المطلوب؟
- طمأننتها .
- والشمّن؟
- لم تسطع أشجان أن تخفي ابتسامتها بل إن الكلب اللولو أخذ ينبع ساخرا
- هات الموبايل
- طلب رقم موبايل ثريا وبدا المكالمة مداعبا
- يا ثريا الشرق والغرب
- انت فين يا أبيه
- على الشاطئ. وتركت ابن عمك في حراسة ملائكة الحب وأنا
- مطمئن
- ماكانش ده اتفاقنا
- إنتي عاوزه حرس على حبيبك أحسن من ملائكة الحب.
- لم تستطع أشجان أن تخفي ضحكتها التي سمعتها ثريا
- ملايكة أيه يا أبيه ؟
- هي الملايكة بتكذب ؟
- بشأن كده سبتهم يحرسوه ولما ح ارجع يحكولي حتى على أحلامه
- ضحكت أشجان بصوت عالي ربما لتفصح عن وجودها. سألت ثريا عن
- مصدر الضحكة وصاحبته. أجابها دونما أى تردد:
- من حسن حظك وأنت حبيبتني أسألتك قبل ان يدركنى
- الصباح فاجبتك عن المباح وغير المباح أما وقد ادركني الصباح لم
- يعد أمامي إلا أن أودع الصبايا الملاح
- وحياتي عندك ضحكة مين إللي سمعتها

- ضحكة شهرزاد باي.
- أغلق عمر الموبایل بسرعة البرق وتساءلت أشجان متى يتناول عمر وأحمد طعام الفطور. أجاب أحمد :
- الفطور على حساب السويت
- سالتها إذا لم يكن لديهم مانع أن يشاركوها طعام الفطور قالت:
- منذ وفاة والدي رحمة الله عليه وأنا لا أتناول طعام الفطور. كنا والدي وأمي وأنا نجتمع على مائدة الفطور يوميا ويقول الفطور شحنة الطاقة الي تمدنا بالقوة والحياة.
- مسحت الدموع التي أصرت أن تتساقط من عينيها رغما عنها وأضافت بمسحة من الأسى :
- كنت وأمي نهرب من وجبة الفطور بأسباب ملفقة. لتتخاشى ألم الفراق والحنان وهو لم يفارقنا ولم نفارقه.
- وقال عمر مستفسرا :
- وماذا عن الغداء والعشاء
- نادرا ما كنا نجتمع على مائتي الغداء والعشاء.
- والدي كان يعشق العمل والنجاح. ثلاثة محاور كانت تدور حولها حياة والدي : أمي ثم أمي وأنا والعمل من أجلنا
- قال أحمد مستفسرا :
- لو قبلنا الدعوة ح نلاقي فطور جيد يعوضنا عن العشاء الى ما طلبنهنوش ؟
- طلبت أشجان على عجل خدمة النزلاء إللي كان من الواضح معرفتهم بالمتحدث اليهم وقالت بحسم:

- فورا فطور لأربعة أشخاص في السويت رويال ولا تنسوا فطور الكلب اللولو .

تبادل أحمد وعمر نظرات استفسار . قالت معذرة باعتزاز :

- أخذتكم في جولة من حياتي لا شأن لكم بها؟

أكد عمر على اعتزازه بما سمع وقال إن ذلك مما يؤكد مشاعرك الطيبة نحونا. وهو أمر تقديره يسمو فوق كل وأى تقدير. وأنا مدين لك بتوضيحين:

- خير

- الأول إجابة لسؤال لم تطرحيه و كان على طرف لسانك: ليه ما نولتكيش الموبايل لتكلمي ثريا إلا قبل موافقتك . الإجابة : ده أمر يخصك.

- التوضيح الثاني؟

- التوضيح الثاني لا مانع عندما يجوع أحمد أن يوقف سيارته ويأكل من عربة فول مما نراها على الطرق السريعة.

قالت أشجان ممتنة :

- فعلا كنت راغبة في التعرف على خطيبة أحمد. أما تأخير الفطور فإننا سنعوضه عنه تماما وله أن يطلب ما يشاء.

واستطردت أشجان قائلة :

- على فكرة كتير قوي نفسي آكل من عربية الفول إللي بتتكلم عنها. اللمة، والبصل الأخضر، والفول، والزيت الحار. بس ما أقدرش. ولما أبعت حد يشتريه ويحيلي في البيت واللّا في المكتب ... طعمه بيبقى مش زي الطعم إللي أنا كنت حساه وشايفاه وأنا ماره جنبه .

- عندي سؤال، ممكن يا آنسة أشجان؟
- بالتأكيد يا باشمهندس عمر
- كنت عاوزة تتعرفي علي خطيبة أحمد والّا كنت عاوزة تتعرفي علي أخت عمر؟
- أجابت أشجان بدلال:
- وصلنا إلى السويت رويال وعنده لا تفصح أشجان عما كان، وترحب بكم على وجبة الفطور... يا شباب الرجال.
- استدركت قائلة :
- يا ريت يلاقي الباشمهندس أحمد على مائدة الفطورما تشتهي نفسه.
- جلست الأم سوسن هانم على رأس المائدة وعن يمينها عمر وعن يسارها أحمد وعلى رأس المائدة المقابل جلست أشجان.
- استهلّت الأم الكلام بالحمد والشكر على ما أفاء الله به عليهم من فضل ونعمة لا تحصى ودعتهم لتناول الطعام. نادى على أحد السفراجية وطلبت منه إعداد طعام الكلب اللولو. قالت الأم بينما أحد السفراجية يصب الشاي لها :
- من يوم ما توفى والدك الباشمهندس صفوت رحمة الله عليه لم نمد مائدة طعام لنا للفطور. ياريت يا بنتي نحبي أيام زمان .
- حقيقي لقيت النهارده فرصة طيبة ييجي معايا شاين (شابان) زى الفل ... ولاد ناس ... ولاد أصول. واحد عن يمينك و الآخر عن يسارك. وهذا هو حالي تماما في عدالة.
- والله يا بنتي سياهم على وجوههم.

شكرها عمر على حسن ظنها بهما واستأذنها أن يناديهما: أمي.

رحبت سوسن هانم بالطلب وقالت :

- هو حد في الدنيا يلاقي ابن جاهز من كله : أدب وعلم وبيت وأصل.

وضع أحمد الشوكة والسكين في وسط الطبق وقال متحمسا :

- أنا منضم لعمر في الطلبات يا أمي

ابتسمت سوسن هانم وقالت مرحبة :

- ما أنت منضم بالفعل بنائك لي يا أمي.

ساد صمت يغلفه شعور بالاطمئنان كأن كيمياء النفوس الطيبة تفاعلت
فهيأت لهم نعمة الألفة. ولو لم تكن النفوس طيبة ما تألفت وما اجتمعت.

فلا يأتلف الطيب مع الخبيث. قطع أحمد الصمت:

- الحقيقة فطور يعوض على الأقل 50 ألف فطور

- القهوة يا باشمهندس ؟

- هيه فيها كمان قهوة يا آنسة أشجان ؟!

- بالتأكيد فيها فنجان قهوة يا باشمهندس عمر.

- وحنشرها مع ست الكل يا آنسة أشجان ؟

- وحنشرب القهوة مع أمي ست الكل

أشارت لهما بدخول السويت رويال خلف أمها. دخلوا ردهة واسعة

يشغلها صالونات ثلاثة وثيرة مضاءة إضاءة هادئة غير مباشرة سألت

سوسن هانم ببتها وقد دخلوا الردهة :

- نقعد فين يا أشجان؟

- الصالون الروز يا أمي

يتوسط الصالون الروز صالونين احدهما أزرق، والآخر أخضر والسجاد بلون كل صالون. الجدران مغطاة بمجموعة منتقاة بعناية من الأعمال الفنية لكبار الفنانين المصريين بورترية رائع للفنان احمد صبري ولوحات متنوعة لفنانين من مدارس فنية مختلفة احمد نوار ويوسف رافت ويوسف كامل وراغب عياد وصلاح طاهر ومحمد ناجي وحامد ندا وحامد عويس وعباس شهدي وغيرهم. واضح وجود لمسة فنية يتمتع بها أصحاب هذا السويت رويال. لم يستطع أحمد وعمر الجلوس دون أن يعبرا عن إعجابهم بروعة المكان وما يتضمنه من أعمال فنية. قال عمر منبها قبل أن يجلس وهو يدور ببصره على جدران الردهة :

- ما شاء الله ... ما شاء الله. لأ، ده شرب فنجان قهوة في رحاب الفن الجميل. قول حاجة يا أحمد. واللآ هي عبارة فنون جميلة وخلص!!؟

- إحنا في حلم واللآ في علم. فطور ولا أحلى فطور في حديقة وارفة الظلال والزهور فرحانة بترقص على إيقاع النسيم والصحبة مع أم حنون وابنتها الراقية وبعدين فنجان قهوه مع عمالة الفن التشكيلي المصري .

استوقفت أشجان الباشمهندس أحمد وأشارت بيدها حتى يتوقف عن الكلام، وقالت بهدوء وثقة:

- إحنا في علم. ربما المفاجآت المتلاحقة ولدت لديك هذا الشعور المتناقض. إحنا عايشين مع هذه اللوحات وفي المكان ده وجايز تكون هي كمان عايشه معانا. بتوحشنا لما نبعد عنها وهي كمان بتوحشها لما نغيب عنها.

تأملت أشجان اللوحات وسألتها بصوت منخفض:

- مش كده؟

أجابها عمر مأخوذاً بما قالتة أشجان:

- أكيد هناك تفاعل متبادل بين مقتني اللوحة واللوحة ذاتها وإلا ما

تكبد ثمن اقتنائها.

وأضاف أحمد قائلاً:

- اللوحة تفقد قيمتها إذا ظلت مخفية عند الفنان ولكنها تصبح

جزءاً من التراث حالما تخرج إلى النور. المشاهدة تكسبها الشهرة.

تماماً مثل أي عمل فني... رواية أو قطعة موسيقية بل الممثل إذا

ظل في محرابه ولم يشاهده النقاد والجمهور لن يسمع عنه أحد.

وأضافت أشجان قائلة:

- الفن ليس ترفاً وممارسته شيء عظيم ولولا عظمة الفنان المصري

القديم وقدرته الفذة على الإبداع لضاع جانب عظيم من تاريخ

البشرية. الكلام على أنها أصنام كلام مضحك. كلام ناس لسه

عايشه في الجاهلية.

وأضاف عمر مؤكداً على قولها:

- رغم زياراتي المتكررة لمعبد الكرنك والأقصر لم أشاهد لا من

المصريين ولا من غيرهم من يسجد أو يعبد تمثالاً. لكل إنسان

عقيدته بعيداً عن التقدير الفني للتماثيل الفرعونية.

وأبدت أشجان تعجبها من السلفيين المتشددین قائلة:

- هذه التماثيل لم تظهر فجأة... موجودة من قبل الفتح الإسلامي

لمصر ومع ذلك لم يمسه الفاتحون الأوائل... أيه إسلام السلفيين

أفضل من إسلام الصحابة رضوان الله عليهم ؟! شئ عجيب.
والله شئ عجيب.

تم تناول القهوة وطلب أحمد وعمر الاستئذان، وعقبت أشجان على
حديث أحمد قائلة:

- سعدنا بساعك يا باشمهندس وسعدنا بصحبتكم.
نراكم باذن الله قبل السادسة مساء. صباح الخير.



أيحسب أن ماله أخلده

في تمام التاسعة صباحا كانت السيارة الفاخرة التي أقلت بالأمس عبدالرحمن ومحمود وحسن والفاتح تقف أمام قصر " الأمير : " بوابة ضخمة من الحديد المشغول بالكريتاو ومن خلفه زجاج مسلح تؤدي إلى ممر لا يقل طوله عن عشرين مترا. فتح الباب إلكترونيا وانسابت السيارة بخفة وسط اشجار نخيل محملة بالبلح الذي أوشك على تمام النضج. الخضرة والزهور في كل مكان. هدوء ... هدوء مطبق فيما عدا نفر قليل من العمال يتحركون هنا وهناك في خفة ونشاط. تبادل الرباعي نظرات الاستغراب وربما الدهشة. سأل عبدالرحمن السائق ما إذا كان القصر مهجورا. أجابه باقتضاب:

- لماذا إذا كانت دعوتكم ؟

قال الفاتح ببساطة:

- الإجابة عندكم!

- تقصد يا سيدي أن الإجابة عند الباشا.

قال الفاتح مستكرا:

- تانى الباشا ؟!

عند هذا الحد من الحوار المقتضب بلغت السيارة مدخل القصر. ثلاث درجات من الرخام الأبيض الفاخر يفصلها متران من الرخام الأبيض عن باب القصر الداخلي. باب من خشب الجوز الفاخر من أربع ضلف واحدة منها من كل جانب مثبتة بها خمس فتحات من الزجاج المعشق الملون. أما

الضلفتان اللتان تحتلان وسط الباب فهما غير مثبتتين للدخول والخروج من القصر . وتشغل نصف دائرة من الزجاج الأبيض المسلح ثلثي عرض الضلفة المصنوعة من خشب الجوز. شراعة الباب على هيئة طاووس من الزجاج الملون المعشق. فتحت الباب سيدة تضع مريلة على خصرها ورحبت بهم وقادتهم إلى صالون فاخر وثير في وسط ردهة رحبة تحتضن سلمين من الرخام الأخضر. وتوجد جلسة عربية من الوسائد القرمزية اللون تتوسطها منضدة أرجلها قصيرة عليها صنية من النحاس الأصفر اللامع وأربع شيشات. وعلى الجانب الآخر صالون آخر فاخر فرش من الأوبيسون الكحلي الأرضية والمزدان بالورود الحمراء والصفراء والبيضاء في تناسق وتناغم لوني بديع. جلسوا وسألتهم عما يشربون فأجابوا:

- ينسون

- دقائق معدودة والباشا حـ يقابلكم

وعلق الفاتح مستنكرا كما لو كانت كلمة الباشا تثير لديه حساسية:

- الباشا ثاني؟!

ليس هناك صوت صريخ ابن يومين اللهم صوت تدفق الهواء..الهواء البارد من فتحات التكييف. سكن كل واحد منهم مع نفسه. أطرق عبدالرحمن وأخذ يتأمل ما يرى من ملك ونعيم من حوله : ثريا تتدلى من السقف من الكريستال البوهيمي تشدك إليها فلا تنصرف عنها ببساطة. مدخل القصر جنات من نخيل وعنب وفاكهة كثيرة وأشجار وارفة الظلال وجداول من المياه تنساب في سلاسة. أیظن مالك هذا النعيم أنه ملك الدنيا. أم أنه عبد في اختبار من الله ليتبين ما إذا كان يحسن عمله.

وحدثته نفسه قائلة :الحمد لله على نعمة الرضاء التي أفاء الله علينا بها ومسح بباطن كفيه على وجهه.انفتح باب اسانسير وخرج منه رجل متوسط القامة فلا هو بالقصير ولا بالطويل ربما غادر العقد السابع من عمره ببضع سنوات قليلة.حياهم بفتحية الإسلام، واستهل كلامه قائلاً:

- الشيخ عبد الكريم شيخكم يا مشايخ هو إليّ رشحكم للمهمة التي ستقومون بها .

أبدى الفاتح اعتراضه قائلاً:

- الشيخ عبدالكريم شيخنا وهذا شرف لنا أما أننا مشايخ فما

نحن بمشايخ. إحنا آخرا طريق الدعوة. فلا مشايخ ولا غيره.

قال عبدالرحمن ولم يمهل صاحب القصر أن يطرح أي سؤال:

- الشيخ عبدالكريم أعطانا تذاكر السفر وقال كل شيء باذن الله

سيكون على خير ما يرام

وأضاف محمود عندما سألنا شيخنا إلى أين سيكون العزم قال: طريق

الدعوة كله خير باذن الله. وعندما سألته عن تكون أجاب " : لا تهم

الأسماء فالناس أسرار".

ضحك صاحب القصر ملء شذقيه وقال في غطرسة:

- نفذ شيخكم التعليقات بدقة. وأراكم تسألون عن أشياء لا

تهمكم. أيه إليّ يفيدكم أكون حمدي أو محمدين.

خرج الفاتح عن صمته وقال :

- عرفنا أنك الباشا. بعض الناس يسمون ابنائهم برنس تفاؤلا أن

يتحول الاسم إلى لقب.وأنت؟

ضحك صاحب القصر وقال:

- أظنك الفاتح وأراك لا فاتح ولا غامق .
وأخذ يقهقه ظنا منه أنه ألقى قفشة ظريفة، وأراد الفاتح أن يرد عليه إلا أن
عبد الرحمن قطع عليه الطريق وقال متسائلا:

- ما هو المطلوب منا حتى نؤديه ونصرف إلى حال سبيلنا ؟
- ليس الأمر بهذه السهولة. أنتم ما شربتوش اليانسون. إشربوا ...
إشربوا... ده يانسون بلاده. على مهلك. اليوم طويل يا عبد الرحمن.

قال حسن وقد نفذ صبره:

- يا مولانا .. الوقت كالسيف أن لم تقطعه قطعك. عن معاذ ابن
جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن
تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمر فيما
أفناه، وعن شباب فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه،
وعن علمه ماذا عمل به ؟

وأضاف الفاتح:

- يا مولانا، الخاذق من بادر بأداء العمل قبل أن تحاصره
العوائق... هكذا قال مشايخنا الأفاضل.

اعتدل صاحب القصر في جلسته وتمطع وقال:

- لا يسمح للهواء أن يتسلل ولا لأي كائن أن يدخل مملكتي ده إلا
بأمر مني. في ما بين عشرين وتلاتين عامل يعملون هنا... أعطيهم
ما يقتاتون به.

قاطعته حسن مندهشا :

- وما شأننا بهذا ؟!

واستطرد في خيلاء وكبرياء كأنه لم يسمع شيئا:

- من سنة 1970 وأنا في سينا ووسط سينا حوالي 40 سنة، دهستها وخابر خوانقها وأسرارها. عملت مع الشيطان والشيطان كان يعمل معايا .. هربت سلاح وسرقته وبعته.. بنيت وشلت على أكتافي المونة والطابوق وأسياخ الحديد المطلوبة لبناء المواقع الإسرائيلية الحصينة. وابلغت عن مواقعها للقوات المصرية. اختلط الرمل الناعم الملتهب مع العرق المالح في عز الصيف...الرمل يلسع والعرق يكوي والموت يطاردك ساعة بساعة..بل ثانية بثانية...كنت أحمل كفني على كفي. هربت مخدرات وزرعت بانجو.

توقف عن الكلام وأخرج منديلا من جيبه ومسح على جبينه وطلب أكواب من الليمونادة الثلجة للجميع. رشف الليمونادة المشبعة رشفة رشفة. تنهد تنهيدة عميقة. قال بعدها كأنها استحضرت من الماضي ألما دينا:
- عندما حل السلام بين مصر واسرائيل هبط نشاطي وأخذت شوية راحة وادليت في بلدي في الصعيد لقيت أبوي مات ولقيت أماي بتسأل عليه طوب الأرض كان فاضل تسأل عني كل حبة رمل في سيناء. وقالت أماي والخلق أهل البلد عرفوها بعودتي قبل ما أوصل حداها قالت أنا قلبي دليلي ما وائيت في السؤال عنه."أهو ولدني بين دراعاتي. أحمدك يا رب وأشكرك..أحمدك يا رب وأشكرك."

حملق في السقف وبدت عليه مسحة من الأسى وواصل حديثه:
- قالت أماي: "أبوك ضل مستنيك لحدا ما مات. مات وخذ حزنه عليك معاه".

بكى صاحب القصر كما يبكى الأطفال الصغار وأخذ يمسح دموعه. تبادل
عبدالرحمن ومحمود وحسن والفتاح نظرات استفهام حول ما يرويه ولسان
حالمهم ينطق ما شأنا بكل هذا ونظرات حيرة فيما ينبغي عمله وعيني
الرجل مغرورة بالدموع. أنهى عبدالرحمن جولات النظرات المتبادلة وقال
مواسيا:

- يا مولانا إلهي خلف ما مات
- كان مستنيني وأنا إلهي ما دألتش يا عبد الرحمن.
- يا مولانا لكل أجل كتاب. قال تعالى : " فإذا جاء أجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون". يا رجل اثبت، فلا هوه كان
مستنيك ولا أنت اتأخرت عليه.
- والله كلامك زين .. والله كلامك زين. رايحتني يا عبد الرحمن.
- وجه حسن سؤال عالقا بذهن كل واحد منهم قبل ان يسترسل صاحب
القصر:

- يا ماولانا أنت تسرد علينا قصة حياتك ولا نعرف لك اسما
نناديك به. مالکش اسم؟ مش ممكن !!
- طبعا لي اسم. مادام مصرين اسمي ظلط اسمي ظلط والناس
بتناديني الباشا وفي الرسميات ظلط باشا. خلاص استريحوا. في أي
سؤال ثاني؟
- أيوه فيه يا مولانا ظلط والسؤال مش غلط
- اتفضل يا فاتح
- يا ظلط باشا أيه المطلوب مننا ؟ وأييه علاقة المطلوب مننا بقصة
حياتك، أرجوك لا تؤاخذني ؟

- فيه طبعاً علاقة جامدة قوي . قوي بين قصة حياتي وبين المطلوب منكم. أنتم أربعة .. كل واحد منكم له رأي. بس المطلوب الصبر والروية والحكمة. نقعد يوم... يومين.. والّا ثلاثة. وكله على حسابي. يعني عندكم زي ما بيقولوا الأجانب " : معاكم كارت بلانش ."

قطع حسن الكلام على ظلط وقال غاضباً:

- حقيقي كلامك زي اسمك ظلط في ظلط. يا رجل اتقي الله فينا.

قصدناك ولا نريد منك أجرا ولا شكورا

- على مهلك يا حسن يا ولدي مش قصدي. القصد إني قاعد

أفتحلكوا قلبي .. بدي روجي تهدي .. النوم مجافيني ... كل عين لما

يهل الليل تبقي مفنجلة. الخواطر .. الهواجس ... الكوابيس بشوفها

في كل ليله تطير النوم من عيني .

تمهل قليلا وهدأت ثورة حسن رافة بما عليه حال ظلط الذي واصل

حديثه بعد أن طلب فنجان قهوة محوجة للجميع:

- قعدت في البلد ستة شهور بالتهام. أخذت عزاء بوي وأمي أصرت

تجوزني وتفرح بيه .

واستطرد قائلاً بأسى :

- قوم أيه اتجوزت بنت عمى. وبعد شهرين من جوازنا ماتت

ومبقاش ليه في البلد عوزه. أمي رحمة الله عليها ماتت وهي مطمئة

علي. عرفت إني دبّرت قرشين كويسين ماعرفش كام، ولاهي ...

فلوس ياما شايلها في شوال كنت شايله علي ضهري لما أدليت.

فجأة صرخ ظلط في السفرجي:

- فين القهوة يا زفت

جاء السفرجي مهرولا وقال بصوت منخفض ذليل:

- ما أنت يا باشا أمرتنا نسوي القهوة على مهل وسط الرمل

الساخن عشان تستوي.

- خلصني يا زفت

انصرف السفرجي في أدب جم يضطره اليه قسوة ظلط باشا وغلظته
ومرارة المعيشة. تألم حسن من المشهد ولم يستطع أن يمنع نفسه من طرح
سؤال استنكاري على ظلط باشا:

- هوه زفت ده مالوش اسم زي خلق الله ؟

- طبعا له اسم. اسمه مأمون زفت يا مولاي.

أجاب ظلط على السؤال دون أن يرفع رأسه. كان مهموما بهممه ولم يكن
للحظة مهموما بمشاعر غيره. سواء أكانوا من أهله أم من غيرهم بطبيعة
الأحوال قال:

- كنت بأقول شايل فلوس كتير قوي. عدت إلى وسط سينا ومعايا

زوجتي إحسان.. الناس كلها عارفاني. الناس هنا زي الطبيعة فيها

الناس القاسية والوعرة زي جبل الحلال وفيها البدو بعبادات

العرب الأصيلة الكرم والشهامة والحماية والوفاء. عشنا معاهم في

الخيام بعيدا عن سفح الجبل. كنا نزرع الجرجير والطماطم وكافة

الخضروات ونجمع الزيتون والتين والبلح والخوخ. كنا في

غاية السعادة.

اتكأ على ساعده الأيمن وقال وهو يحملق فيهم:

- إحسان جابت خير كثير قوي ... قوي. جات وجابت الخير
معها. ابتديت شغل المعمار من أوله. صحيح كنت شغال فيه من
أيام احتلال سينا، بس كنت عتال.. فاعل ..
واستطرد بمرارة تنطق بها قسماات الألم على وجهه :
- نفر زي عمال التراحيل إللي يسوى وما يسواش يبيع ويشترى
فيهم ... زيهم زي الظلط واللا الرمل إللي بيثيلوه على أكتافهم،
تقدر تحركه وتنقله زي ما أنت عاوز.. زي حجارة السيجة
تحركها تضحي بها زي ما تحب، لا الحجر بيشتكي ولا النفر مننا
بيشتكي. كله حجر صوان دوار.
- توقف ظلط عن الكلام وأخذ يتطلع إلى السقف ربما ليحمله بعضا مما
تحمله من مشقات ليريح نفسه. أتكأ برأسه على ساعديه.
تحين محمود فرصة استرخاء ظلط وسأله سؤالاً صريحا:
- الحمد والشكر لله يمكننا أن نرى ما أنت فيه من ثراء ونعيم.
التعب جاء بفائدة .. ما شاء الله.
- قاطعته ظلط بحدة:
- لا .. لا. دول جرشين جمعتها بالتعب .. بالشطارة .. بالفهلوة.
باللعب بالبيضة والحجر. وإلا كان كل الفواعلية بقم زي. أيه
يا مولانا حيلك حيلك؟!
- انقض حسن علي ظلط وقال له معاتبا عتابا رقيقا:
- نحن نسمعك منذ ساعتين ولا نعرف لك مقصدا وأنت لا تصبر
على سماع محمود ليتم جملة واحدة.
- قال ظلط وقد نفذ صبره:

- سمّعنا ما عندك يا مولانا .

طرح محمود سؤاله مباشرة :

- ماذا فعلت لإخوانك الفواعلية؟

أجاب ظلط مستنكرا:

- مين؟؟! ليس لي أخوة فواعلية. لهم دينهم ولي دين .

- ماذا تقصد؟

- همه فين وأنا فين... إحنا افترقنا من زمان . سكتنا مش واحدة ...

همه يشيلوا ويحطوا.. وأنا ءأمر واتأمر وهو ما عندوش فرصة

يتذمر. هي كده الدنيا إللي معاها قرش ابنه يزمر.

قال وقد بدا الإعياء على وجهه:

- خالينا نخلص من فضلکوا. الباقي مش كثير.

استطرد قائلا:

- لما حلت إحسان انتقلت إلى مهنة مقاول أنفار وريس عمال ثم

إلى ملاحظ الموقع. بنينا سوا أول عشة تلمنا تحت سقفها.

خشب مستعمل من الموقع عملنا بيه العشة. فرحنا قوي يمكن

عشان وفرنا إيجار الغرفة إللي ساكنين فيها. كانت عفشة قوي.

الفلوس كانت معانا كثير في الشوال، لا أنا عارف عددها ولا أنا

أعرف أعدها، ولا هي تعرف تعدها. ولما كنت أحاول أفتح

الشوال كانت تقول لي " :سيههم ببركتهم"

مأمون السفرجي أحضر القهوة وبردت. أدرك ظلط أن القهوة لم يعد

مستحبا شربها. وتبين له أن ضيوفه لم يتناولوا الليموناده ولم يشربوا

القهوة. جدد نداءه على مأمون بطريقته الاستعلائية:

- شايف يا زفت لا الليمونادة ولا القهوة اتشربت لو كانت كويسة كانوا شربوها. ما هي زفت زي وشك العكر إللي يقطع الحميرة من البيت. هات لنا حاجة بارده زي دمك البارد. غور لسه واقف قدامي.

انصرف مأمون عاجزا ومهزوما نفسيا. وتجلت على وجهه أمارات اليأس ودلائل الغضب المكبوت. كاد يبكي كمدا ولكن الفقر والحاجة ولقمة العيش كبّنت بداخله كل انفعال. وحدث عبد الرحمن نفسه قائلا... يا رجل ألا تنور لكرامتك. قيل إن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب قال لو كان الفقر رجلا لقتلته. وهو قول لا سند له مؤكّد إلا أن دلالته تدعونا دائما إلى هزيمة الطاغية المسمى الفقر. اعمل... واعمِل. ولا تقبل الإهانة واعلم يا رجل أن سهام رزقك لن تصيب غيرك. استشعر ظلّط أن عبد الرحمن أخرجه من دائرة اهتمامه وأنه يفكر في شيء آخر. سأله ظلّط مباغتاً :

- هيه. رحت لحدّ فين

- أعود بالله من الشيطان الرجيم

- في أية

- كنت شايف الشيطان قدامي بلحمه وشحمه تمثّل أمامي .

تأمل ظلّط عبد الرحمن ملياً ثم ضحك ضحكة مدوية ذكرت عبد الرحمن بضحكة الشيطان وصورته في الأفلام. قال ظلّط دونها أي استغراب أو دهشة:

- الشيطان تراه في بيتي شيء مش غريب. أنا قلت لكم من قبل ان

بيني وبين الشيطان تعاون مشترك.. بجد في بينا مصالح

مشتركة. بيسهلي حاجات كتيرة قوي.. ما تعاملش معاه ليه ؟

أبدي الرفاق الأربعة استهجانهم واستعاذوا بالله من الشيطان الرجيم. وواصل ظلط كلامه كأن موضوع الشيطان لا يعنيه بل اعترف صراحة بأن هناك تعاوناً مشتركاً بينهما وأنه فخور بهذا التعاون :

- بدأنا نتحرك وسط رجال الأعمال والمقاولين الكبار نستلقط منهم الأخبار والأسعار. كنا بنعرّف زيد على عبيد وناخذ البقشيش من الاثنين. عملت حساب في البنك. شئ لزوم الشئ. كانت العمولة تتجاوز عشرة آلاف جنيه أحياناً ناخذها بشيك.

وأضاف مزهوا :

- وشويه بشيك وشويه من الشوال الحساب كبر وبقيت زبون مهم للبنك. الدنيا زهزت. مدير البنك ناداني في يوم وقال لي حسابك بالجنه عدى المليون جنيه وأنا أهز له دماغى زي إليلي بقول له ما أنا عارف. وأنا ماعرفش المليون قد آيه.

استاذن عبدالرحمن في طلب تجديد الوضوء لأداء صلاة الضحى. جدد عبدالرحمن ورفاقه الوضوء وصلوا الضحى فرادى. وتعجب الرفاق من حال ظلط الذي توضأ وصلى الضحى. كيف يصلي الرجل وهو القائل بأن بينه وبين الشيطان معاهدة تعاون مشترك. عند ظلط هذه نقرة وتلك نقرة أخرى. وعند الفاتح المسلم من سلم الناس من لسانه ويده. وعند حسن لا بد أن يكون للدين أثر ملموس في سلوك الناس وتعاملاتهم.

انتظم عقد عبدالرحمن ورفاقه مع ظلط بعد صلاة الضحى. وقبل أن يستأنف ظلط كلامه قال حسن :

- فهما من شيخنا الجليل أنك لا تعيش بمفردك و إحننا لم نشاهد سواك.

- حتى الآن لم ولن تشاهد غيري

واستفسر الفاتح عن جدوى سرده لسيرة حياته وما شأنهم بها وهل هو المعني بالأمر الذي كلفهم به الشيخ عبدالكريم. يكاد النهار أن ينتصف و ما زالوا في مكانهم لم يعرفوا شيئا عن المطلوب منهم. واستدرك حسن متسائلا:

- ماذا تعني بقولك إننا لم ولن نشاهد غيرك. هل تعني بهذا أن الحكاية والرواية حكايتك.

أجاب ظلط مراوفا:

- مش كده قوي. إللي جاي حـ يوضح الكثير. أنت مستعجل ليه؟ كادت الساعة تجاوز العاشرة والنصف صباحا. طلب عبدالرحمن ورفاقه العودة إلى الفندق التماسا للراحة. عرض عليهم ظلط البقاء فهناك جلسة عربية للاسترخاء. شكروه وهما بالوقوف. قال عبدالرحمن:

- يمكنك أن ترسل لنا السيارة بعد آذان العصر بنصف ساعة. سنقضي معك ساعتين من الزمان ننتهي باذن الله تعالى من الموضوع المطلوب مننا.

عادوا إلى الفندق وعلى شفاههم عددا من الأسئلة التي في حاجة للإجابة عليها. طرح الفاتح سؤالا على طرف ألسنتهم جميعا بعد أن أمسك كل منهم بزجاجة من الماء البارد:

- ماذا فهمتم من محاضرة قوامها الساعة ونصف الساعة تقريبا ؟
استهل حسن الإجابات قائلا بعد البسمة:

- سرد ظلط شطرا من حياته كله قسوة ومرارة ولم يتبين لى ما هو المطلوب منا. هل ينشد طريق الصلاح والتوبة أم يأمل فيمن يسوغ له أعماله في التعامل مع الشيطان الرجيم على حد قوله؟ نسال الله يوفقنا ويوفقه طريق الهداية.

أجاب عبدالرحمن بعد أن أرتوي من الماء البارد:

- لا أظنه يسأل عن طريق الهداية والله أعلم . فمن يسأل عن طريق الهداية لا يعقد تحالفا مع الشيطان الرجيم !!

أما محمود فقال:

- هذه مقدمة والله أعلم لاستفسار عن شئ جلل . الرجل يعري نفسه وهو لا يعرفنا . من أجل أي شئ ؟ سنعرف في حينه . ولكن فيه غلظة وقسوة في التعامل . أظنه ولا حول ولا قوة إلا بالله يحسب أنه ملك الدنيا والملك لله وحده سبحانه وتعالى .

وعلق عبدالرحمن على رأي محمود قائلا:

- واضح لي ولكم أنه ينحدر من أسرة فقيرة معدمة . وهذا لا عيب فيه ولكن العيب في تركيبة ظلط نفسه . فهو لا يريد الماضي ... يلفظه ، يتنكر له ، يتنصل منه بكل ما فيه . للأسف كثير ممن يسرون على دربه يرسمون لأنفسهم عالما اقتلعوا جذورهم منه حتى لا يطفو الماضي على السطح فيؤرقهم ويقض مضجعهم .

وأضاف حسن وقد استوعب تعليق عبدالرحمن جيدا:

- يظلم ظلط نفسه وأقرب المقربين له لأنه يعيش في عالم مظلم لا بصيص نور فيه . يهرب إلى الظلام على مظنة أنه تدثر بغياهب منه

فلا يراه أحد. وهو حريص ألا ينظر أي من العاملين في عينيه مخافة أن تتعري نفسه، وهنا تجدد كل من في القصر رؤسا منكسة ذليلة خوفا من بطشه وإرهابه واستعلائه إخفاء لضعفه. استحسّن محمود التوضيح الإضافي لما قاله عبدالرحمن قائلا:
- أحسنت

تجولت نظرات عبدالرحمن بين رفاقه الثلاثة متفرسا ومتأملا وقال وهو ينظر إلى الفاتح:

- فجرت سؤالاً ولعل لك إجابة عليه. أرجو ألا يكون الصواب جانبي. أشعر أنك لا ترتاح إليه. ومشاعرك تستند على المظاهر.
- يا أخي الأكبر أصبت في تقييمك لمشاعري تجاه ظلط فأنا منذ اللحظة الأولى رسمت له صورة في خيالي بداية من لقائنا مع شيخنا عبد الكريم الذي حرص على إخفاء كل شيء عن المهمة التي كلفنا بها. حتى السائق إجاباته مقتضبة لا تعطى معلومة، ولا تلقي ضوءاً. أشك- وليسأخني الله- في كل ما قال بما في ذلك اسمه.

أكمل الفاتح الصورة وقال وهو يتأني في انتقاء الكلمات:

- الرجل والله أعلم ظالم لنفسه. تصرفات فيها تكبر واستعلاء لا يملك هو ولا غيره من العباد أدنى حق فيه. أشفق عليه وهو يعامل مأمون في صلف. ظلط يحاول أن يخطف مشاعرنا بتصوير محكم يستدرّ العطف نحوه. أنه حليف للشيطان.

وأضاف عبد الرحمن في إيجاز وهو يتشاءب:

- ستظهر ملامح شخصيته الحقيقية عند أول تعامل معه.

انقضت فترة الظهيرة بسرعة ما بين الصلاة والاستحمام لترطيب الأجسام من حر الصيف وما دار من مناقشات. تم استبدال الملابس استعدادا للجولة الثانية مع حليف الشيطان. وعلى صعيد آخر ظلّ ألقى بنفسه على إحدى الوسائد في المجلس العربي وراح في غفوة تخللتها كوابيس مزعجة. روح رافقها الشيطان والأعبيّه.. يعصف بها أنى يشاء. رأى نفسه يعلق المقصلة حول رقبة ابنه أنور. صحنى من غفوته منزعجا واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم فوجد الشيطان أمامه يسأله :

- ماذا تريد من الله العلى القدير. أنسيت أن بيننا تحالفا.
- لم أنس ولكن .
- ولكن ماذا ؟
- إلّا ابني .
- لم يكن في تحالفنا استثناءات .
- إلّا ابني .
- ولكنك قتلت .
- لم اقتل .
- ألم تكن تهرب الهيروين والمخدرات ؟
- أنا ما بنكرش .
- بسببك انتحر شباب زي الورد وماتت أمهات حسرة على إبنائها.
- أنت إللى شجعنتني .
- وكنت تسمع كلامي .
- إلّا ابني .
- ألم تقتل الجنود الإسرائيليين في حرب الاستنزاف ؟

- أبدا .
- ألم أيسر لك التعاون معهم في بناء المواقع الحصينة ؟
- حصل .
- ألم أحضر لك صورة من الخرائط التفصيلية ؟
- حصل .
- ألم تسلمها للجيش المصري ؟
- حصل . ده عمل وطني .
- ده خيانة .
- ده حرب كل شئ فيها جايز .
- كنت بتسمع كلامي وبتفرح بالدولارات . خاين خاين لصاحب العمل .
- لا أنا وطني .. ولائي لبلادي .
- هو ده إللي انا أقنعتك بيه ساعتها .
- أيه إللي تقدر تعمله ؟
- إللي يقدر يعمل الشيطان .
- هاتف أسود أقدر أطرده من خواطري ... أحرقه .
- كان غيرك أخطر
- عاوز أيه ؟؟ خلصني
- جت ساعة تسوية الحسابات . يا ظلط قتلت وسمعت كلامي ونفذت أوامري . وده الوقت إللي حتشلق ابنك بايدك تنفيذا لأوامري .
- إلّا ابني... إلّا ابني ... إلّا ابني

قفز من فوق الوسادة ونهض واقفا وهو يفرك عينيه على أمل أن تنمحي الصورة من مخيلته. ظلت الصورة تلاحقه والشيطان لا ينفك عنه. يقفز على الذاكرة بين الحين والحين. ترك المجلس العربي والصداع يطارده. تمدد على كنبه الصالون الأبيض. غفا مرة ثانية من شدة الإرهاق . بدأ العرق يتصبب بغزارة من جبينه. سمع صراخا لا يعرف مصدره وسمع أنينا مكبوتا لعله نحيب إحسان وربما صراخ ابنه يأتي له من بعيد. استرق السمع. لاشئ جديد. راح في أعماق الحب. رأي القصر يتراقص كأنه بندول الساعة. ورأى ابنه يهوى وأمه تحاول اللحاق به دون جدوى. أمسك به وقد استيقظ من الكابوس اللعين فوجد نفسه يقبض الهوى.

أحضر السائق الرفاق الأربعة من الفندق في الوقت المحدد. وصلوا القصر ووجدوا ظلط قد فرغ لتوه من الغداء. طلب الشاي لنفسه وللرفاق الأربعة على أن تضاف إليه أوراق النعناع الأخضر من الحديقة. قال عبدالرحمن:

- لا مانع لنا من شرب الشاي بالنعناع إن كان من إعداد الأخ مأمون

- تقصد مأمون زفت

وأخذ يضحك وأضاف وهو يقهقه :

- لو ناديت على مأمون باسمه فقط لا يرد عليك . صدقني . ح يروح يدور على مأمون ومش ح يلاقيه .

قال عبد الرحمن بحزم:

- إحنا نشرب الشاي من أيد الأخ مأمون مش من أيد مأمون زفت.

نادي ظلط على مأمون جاءه مهرولا مبتسما كاشفا عن أسنانه البيضاء
ووجه الأسمر الذي تنطق ملامحه بأنه عريق عراقية نهر النيل. ملامحه تراها
جلية في النقوش الفرعونية على جدران المعابد. اندهش ظلط من سعادة
مأمون باسمه الجديد .

أقبل إليه فرحا قائلا :

- أوامر سعادة الباشا ؟

- شاي بالنعناع .

- فورا سعادة الباشا .

قال ظلط موجهها كلامه للرفاق الأربعة وهو يقهقه:

- الولد فرحان باسمه الجديد .

- تقصد باسمه الحقيقي .

هكذا جاء تعقيب الفاتح معبرا عن رأيه ورأي المجموعة. أحضر مأمون
الشاي وهو سعيد. لم يكن أبدا مأمون المقهور.

واصل ظلط حديثه قائلا:

- افكر وقفنا عند حكاية المليون جنيه. تمام لما حكيت الحكاية ده

لإحسان سألتني سؤال صعب قوي. المليون قد أيه. أكبر من

الألف؟

- ما خابرش.

ردت بطيئة قائلة :

- أهم ببركتهم في البنك.

لم يكن أي منهما تعنيه دلالة الأرقام. فليست لهما أي تطلعات. ومن أين تأتيهما التطلعات. تراكمت المبالغ في البنك من العملات التي كان يحصل عليها. تابع كلامه قائلا:

- الدنيا واخذانه لحد ما جات إحسان وقالت لي : فيه ضيف ح يشرفنا. الفرحة ملأت الدنيا علينا. كان لازم الضيف إللي جاي ما يعرفش أي شئ عن إللي كنا فيه. ومرت أشهر الحمل بسرعة وقبل ما تولد اشترينا البيت ده. كان دور واحد بس الأساسات تقدر تشيل خمسة أدوار.

فرغ ظلط من كوب الشاي بالنعناع ولاحظ أن الرباعي قد شربوا الشاي أيضا. التقط أنفاسه وبلغ ريقه وقال:

- المالك كان امريكاني بيعحب شرم الشيخ بس اضطر يرجع بلده على ملا وشه. خليت البنك وكيلى فى عملية الشراء وسددنا الثمن من الدولارات إللي كانت عندي.

تنهد تنهيدة عميقة ونادى على مأمون باسمه الجديد إرضا لعبدالرحمن وطلب منه إحضار مجموعة متنوعة من العصائر حتى يدب فيهم النشاط . مسح بيديه على وجهه أكثر من مرة. كان يحاول محو الماضي من تاريخ حياته. لا يريد للضيف الجديد أن يسمع شيئا عن سيرة حياة أبيه. وهل إذا مسح بيديه - أو حتى برجليه - على وجهه يمكنه انتزاع جذوره. ربما مؤقتا ! قال مرحبا بضيفه :

- عصير الكريز و الأناناس ده مستورد زى إللي موجود فى الفنادق. بر نفسك يا مولانا.

أخذ يضحك ببلاهة وهو يصب لنفسه عصير الكريز:

- أصلي أوريچينال

باغته الفاتح بالسؤال عما إذا يوجد لديه عصير قصب أوريچينال. من عود القصب إلى الشوب مباشرة. قال ظلط بغطرسة وقد فاجأه السؤال:

- عصير القصب ماتلاقيهوش عندنا في قصر عظيم زي ده ما تلاقيش .. عصير قصب

رد عليه الفاتح بهدوء وهو يجول ببصره في أرجاء القصر:

- بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قصر فخم بس صاحبه صعيدي خلع ملابسه. لا كان يعرف ولا سمع عن الكريز و الأناناس كل إللي كان يعرفه عود القصب... خد الجميل يا قصب سكر.

تجاهل ظلط تعليق الفاتح وتابع قصته:

- في الأشهر الأخيرة من الحمل كانت عمليات التجديد في القصر شغالة ليل نهار، وأنا واقف على راسهم. بدأت حركتها تقل.. والواد يرفص. عاوز يطلع للدنيا. كان بيقول لنا أنا هو. الجنينة توضبت تحت إشرافي مباشرة. الممرات وأحواض الزرع والزهور وأشجار الفاكهة. أقمنا في الأول في الدور إللي كان مبني. تغيير كبير جرى لنا. كنا فين وبقينا فين. تعبي وجري جري الوحوش. عملت كل إللي انتو شايفينوا بشطارتى وفهلوتى واللعب على كل الحبال. ماحدث له فضل عليه.

وتساءل محمود عن نهاية هذا الموال. وبدأ الملل يتسرب إلى عبدالرحمن. الفاتح أسند رأسه بين راحتيه متفرسا في ظلط. أخذ حسن يفرك كفيه انتظارا للنهائية. كانوا أشبه ما يكونون بمن فرض عليهم مشاهدة فيلم غير

مفهوم ولا يعرفون لماذا يشاهدونه. أو أسرى في معتقل مضطرون لياكلوا ما يقدم لهم من ألوان طعام ما أنزل الله بها من سلطان. تأملهم في قلقهم وقال متعجرفا وقد نفد صبره من ضيق صدرهم:

- في أيه؟؟ ما لكم؟ أنا إليّ دافع لكم كافة شئ تذاكر سفر وإقامة كاملة فول بورد.

طلب منه عبد الرحمن ألا يستطرد، وأخرج من جيبه تذكرة السفر وقدمها له مع بقية تذاكر زملائه وقال له بحزم:

- هذه بضاعتكم ردت إليكم. أما إقامة الفندق سنقوم بسدادها. والسلام عليكم.

- على مهلك يا مولانا. روّق يا أخ عبد الرحمن.

ورد عليه عبد الرحمن غاضبا :

- أنا لست حليفا للشيطان.

- هذا شأنك. أما أنا فأحالف من أشاء وقتها أشاء.

- حالف إذن ما شئت.

- جلسنا معك كثيرا وتحملنا صلفا وعجرفة وتكبرا لا نهاية ولا

مسوخ له. في أيه عندك يعطيك كل هذه العجرفة. المال مال الله وأنت قيم عليه. ستحاسب من أين كسبته وفيما أنفقتة.

دخل الحوار في طريق مسدود. فقد ظل كل شئ. لم يتفعه كل ما لديه من أدوات الإغراء والمظاهر ليسيطر على هذا الرباعي الغريب. لا تذاكر رجال الأعمال نفعت ولا إقامة في فندق 5 نجوم جابية نتيجة .. ولا الفشخرة الكذابة عامله أي تأثير. قال بايقاع تمثيلي مبتذل:

- لا ... لا. إحنا صعايده نعرف الأصول. إكرام الضيف واجب علينا. أقول أيه للشيخ عبدالكريم، ده ياكل وشي. لو كنت غلط حقكم علي. سماح يا مولاي.

وما إن هم الرباعي بالنهوض استئذانا للخروج حتي سمعوا صوتا قادمًا من أعلى السلم ... صوت امرأة ترجوهم الانتظار. رفعوا رؤوسهم في اتجاه مصدر الصوت. رأوا عن بعد سيدة تهبط درجات السلم بصعوبة. وكلما اقتربت ازدادت ملامحها وضوحا. امرأة سمراء تضع شالا ربما كحلي اللون يغطي شعرها الذي تطل منه بعض خصلات من الشعر الفضي اللون. الملامح وإن بدت هادئة إلا أن خطوطها تعطي الانطباع إما بالحزم وإما بقسوة الأيام وإما بكليهما.. جاوزت الخمسين ستة من عمرها ولكنها تبعد عن الستين بعدة سنوات. القوام نحيل ترتدي جلبابا أسود منسدل، حشمة لا يكشف عن تفاصيل القوام وإنما يضيف عليها المزيد من الهيبة والوقار. وحالما وطأت قدمها نهاية الدرج خرج ظلط من دهشته واندهاشه واستغرابه متسائلا:

- رايحه فين؟ أيه إللي نزلك؟ صحتك؟

لم يمهلها الإجابة وعاد يسألها:

- ليه مانزلتيش في الأسانسير؟ السلم خطر عليك

سألته في هدوء وبصوت منخفض مرتعش قليلا:

- خلصت الأسئلة المتكررة. هي هي الأسئلة زي ما تقول ما

عندكش حاجة تانيه تقولها لما تشوف خلقتي. لسانك نشف وبقى

زي الظلظ يا صدقة.

حولت نظرها في اتجاه عبد الرحمن ورفاقه وألقت عليهم السلام وردوا عليها التحية بمودة. قالت:

- من فضلكم اجلسوا. ولا تستغربوا مما سأقوله.

جلسوا دون أن ينطق أي منهم بكلمة واحدة كأنها نومتهم مغناطيسيا أو أن ظهورها المفاجئ أخرس ألسنتهم وربما حالتها الصحية أوجبت عليهم السمع والطاعة. جلست على كرسي في مواجهة عبد الرحمن ورفاقه. قالت :

- كنت متابعة حديث صدقة معكم...

قاطعها الفاتح مبتسما ووجه كلامه إلى رفاقه:

- ألم أقل لكم لا يمكن أن يكون اسمه الحقيقي ظلطه

رده صدقة مصححا:

- ظلط ... ظلط. وهي إحسان أم أنور.

أمسكت إحسان بطرف الحديث وتابعت كلامها:

- لدينا أجهزة تسجيل لكل ما يجري في القصر. كبرنا وبقينا بننسى.

التسجيل للتكرار. لا لأي شيء آخر. أنا عارفه كان صدقة يبحكي

تفاصيل كثيرة. عاوز يريح روحه. العذاب محوط عليه. يفضل يلف

ويدور وما يقدرش يروي حكاية ابنتا أنور. الحكاية ده هي مربوط

الفرس في القصر ده.

سكتت هنيهة وأعقبتها بتنهيدة عميقة كأنها تبحث بدقة في أعماق نفسها

عما يدور بخلدها. قالت:

- هذا القصر الكبير ... الكبير قوي بنيانه علشان نخفي فيه كل

الهموم إللي عشناها. كنا عاوزين إننا أنور يطل على الدنيا باشا ...

تربية ولاد القصور. عملنا كل إللي ممكن واللي ما يخطر على بال

أي حد. جينا المرية، بقى عندنا الطباخ والسفرجي ومديرة القصر
والجناينية... ما هي الجنية كبيرة. تخيلوا... صعيدي قح وصعيدية
من الصعيد الجواني من عوائل معدمة تماما عملوا الهلمة إللي
قدامكوا. حاولنا وضحك إللي ضحك على جهلنا. بس كان في
حلم عندى. بنيت من الأفلام القديمة الأبيض و الإسود كنت
بشوف قصور الباشاوات.

تمهلت إحسان قليلا وتنهدت بعمق. وأصيب عبدالرحمن بدهشة من
طموح هذه الصعيدية ومصادره. الأم وما أدراك ما الأم . وشبه الفاتح
طموح إحسان بطموح الدول المستعمرة الغنية بالموارد الطبيعية محاكاة
الدول المتقدمة بعد حصولها على الاستقلال. لم يرفض طموحها، ولم ينكره
عليها. استطردت قائلة :

- الطباخ جاب مرته قلنا ومالو. صدقة بني لهم جناح في الجنية ...
فيه كافة شئ .. التكييف والتلاجة والغسالة الفول أوتوماتيك
وتلاجة الميه الباردة، وسخان الميه السخنة وعليها قارورة الميه
المعدنية

توقفت عن الكلام قليلا ونادت على مأمون وطلبت منه أن يحضر لها كوبا
من عصير الجواقة وأكدت على مأمون أن تكون الجواقة من شجرة أنور.
وأمرته أن يسألنا عما نشرب. وقبل أن يتحرك أمرته أن يسأل صدقة عما
يحب أن يشربه صدقة. كان في عالم آخر. كان مندهشا مما يجري حوله. كيف
استطاعت إحسان أن تشني عبدالرحمن ورفاقه عن مغادرة القصر. نسى أنها
أم... والأم لا يرفض لها طلب. أعادت إحسان سؤال صدقة عما يشرب
الذي اكتفى بهز رأسه معبرا عن عدم رغبته في شئ. انصرف مأمون يلبي

طلبات الحضور مبتهجا. ولم يضع الفاتح الفرصة وسأل صدقة سؤالا استنكاريا:

- يعني مأمون لا تاه ولا دور على نفسه يا مولانا؟ جاء بابتسامة مشرقة تضيء على مشروب الضيافة معنى أكثر بكثير من كونه كركديه واللاً عصير جوافة أو منجاة أو حتى فنجان قهوة بل مشروب يجري تقديمه مشفوعا بالهناء والشفاء.

لم يكن صدقة مهتما بتعليق الفاتح واكتفى بابتسامة فاترة بلهاء. وضجحت إحسان لأول مرة وربما منذ مدة طويلة. ربما كانت ضحكة غير المتمرس على الضحك كأنها طفل مبتدئ في المشي يخاف يمشي فيقع. استطردت قائلة:

- كنا عاوزين نعمل له عالما على قد فهمنا. زى ما قال صدقة كان الرزق كثير... ما هي عجلة الرزق لما تدور ما تلاحقش عليها. توقفت إحسان عن الكلام عندما دخل مأمون يحمل الصينية الفضة وعليها المشروبات. وقدم لكل واحد مشروبه وانصرف مسرورا.

خرج صدقة عن صمته وأمسك الخيط مع شريكة حياته، قال مزهوا:

- عملت مكتب مقاولات سميته " ظلط وولده أنور. " شغلت معايا شوية عمال مطلقين. كانوا بيرمحوا في سوق المقاولات زي الخيل الرهوان. المكتب كبر وشغلت نحاسب. شاركت في كسارة ظلط بنصيب في رأس المال وبنسبة من الأرباح مقابل إللي أوزعه . سنة ورا سنة والكسارة بقت ملكي. وزى ما قالت إحسان: ما هي عجلة الرزق لما تدور ما تلاحقش عليها.

وكما خرج صدقة عن صمته خرج حسن وسأل صدقة سؤالاً مباشراً:

- أين حق الله فيما ربحته ؟

- حق أياه يا مولانا؟ المحاسب حريف ممثلي حاله يطلع المكتب

يدوب مغطي مصاريفه سنة وسنة يدوب ربحان شوية فكة.

وأخرتها دبيعة في العيد الكبير عشان إللي مداقش اللحمة واللأ ما

شافهاش يأخذ منها شقفه.

فغر محمود فاه وأبدى تعجبه بكلمة واحدة:

- كده؟!

- أيوه كده وأبو كده. هو أنا به أعرف في الحساب. إللي به يعرف في

الحساب هو إللي يتحاسب. أمال أنا به أدفع له كل المرتب ده ليه؟

هي أجور العمال مش من مالي ... كل الأجور ده، مش صدقة...

كل البيوت المفتوحة ده من مالي، مش صدقة.

تساءل حسن فيما بينه وبين نفسه ألم يسمع هذا الرجل قول الله تعالى: "بَلِ

الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ" أن الانسان وإن حاول أن

يجادل أو يباري عن أفعاله و أقواله التي يعلم من نفسه بطلانها أو خطأها،

واعتذر عن أخطاء نفسه باعتذارات وهمية لا أساس لها من الصحة؛ فهو

يعرف تماماً ما قاله وما فعله، ولو حاول أن يستر نفسه أمام الناس، أو

يلقي الاعتذارات، فلا أحد أبصر ولا أعرف بما في نفسه من نفسه.

استأنفت إحسان كلامها بعفوية :

- كنت عاوزاه أحلى من أي حلم تحلمه أم لابنها. عاش سنوات

عمره قبل KG في الجنينة يلعب مع أمل بنت الطباخ. كبر أنور

وكبرت أمل. خلص الابتدائية بالعافية ... دروس خصوصية في

كافة شيء. أنا عاوزاه أحسن واحد في الدنيا. ليه لأ. كل شيء متوفر. نسيت وأنا باحلم إن ده حلمي أنا. كان كل هم صدقة يتعلم أنور المعلمة. ما هي المعلمة هي اللي صنعت صدقة. استفسر محمود منها عما تقصده بالمعلمة. أجابته باقتضاب:

- اسأل صدقة.

أجاب صدقة بثقة:

- الناس تهابه وتخشاه من غير كلام. وإن احتاج الكلام تلقى

البلطجة والعافية صوتها أعلى من أي كلام.

وسأل الفاتح سؤالاً موجزاً:

- والحق؟

أجابه مزهوا كأنه طاووس يستعرض طيف ألوان ريشه:

- الحق أيه يا مولانا. مفيش حد صوته يعلى على صوت المعلم. المعلم

هو صوت الحق. كلامه سيف يمشي على رقاب الكل.

أصابته الجميع سكتة كلامية من منطق المعلمة الذي يعتنقه صدقة. أفاق

عبدالرحمن من السكتة الكلامية وقال مندهشاً وهو يهز رأسه:

- الأم تريد التعليم لابنها والأب يريد المعلمة.

وعلق محمود على الموقف بقوله:

- الأم تريد تنوير عقل الولد و الأب عاوز جيب الولد يتملي فلوس

بالبلطجة.

وضع حسن رأسه بين كفيه وقال متمتماً في حسرة بكلام غير واضح:

- خسارتك يا إحسان في الراجل اللي مخه زي الظلظ

واستفسرت إحسان عما يقوله حسن فرد عليها باقتضاب:

- ولا حاجة.

أما الفاتح فكانت له رؤية مستقبلية قال وقد اكتسى وجهه بابتسامة غامضة :

- قدامنا طريق العلم والمعرفة يمشي فيه إللي يطيقه .. إللي يقدر عليه بحلاوته ومرارته ... وقدامنا طريق الفهلوة البلطجة والفتونة... المهم إللي يمشي في أي طريق هو إللي يختار.

انتفض صدقة من جلسته وقال معاتبا:

- يختار أيه يا مولانا ؟ أنا أبوه إللي أعرف مصلحته

- مصلحته في سكة مايعرفهاش، ولا تعرفهاش، ولا نعرفهاش؟!

هكذا جاء رد الفاتح مستغربا.

وتساءل صدقة في حدة :

- كيف ماعرفهاش ؟ كيف وأنا إللي عملت الملك إللي أنت شايفه

قدام عينيك. يا مولانا، أنا إللي معيشهم في النعيم إللي هم عايشين فيه.

وقاطعه عبدالرحمن بحزم:

- استغفر ربك يا رجل.

وتدخلت إحسان بهدوء قائلة:

- زمن الاختيارات من زمان.الكلام ده بعد ما طَبَّ أنور في شهادة

الإعدادية ثلاث مرات.ما هو صدقة لقي ما فيش فائدة من العلام

مشي في سكة المعلّمة ضاع أنور وضاع معاه حلم أمه ..حلّمي أنا.

بعد فترة من الصمت والحسرة، قالت:

- أمل بنت الطباخ سبقتة في العلام . من يومها شاطرة. عرفت
تستفيد من النعمة إلهي فيها. دايا ما شاء الله الأولى. البية
المحافظ شجعها. وفيه حدانا بيه كبير قوي لما سمع عن شطارتها
وعدها يتكفل بمصاريفها في الجامعة. رجال زينة قوي قوي اسمه
صفوت بيه. بس ولدي أنا ما هملتوش واصل وراه وقدامه وحواليه
لحد ماخذ الإعدادية في السنة الرابعة. أمل سبقتة. سلطتها عليه
تفهموا إلهي مش فاهمه. وقلت يمكن يتعدي واللا يغير
منها. ونجح. دخل الثانوي.

ران صمت تام كأنهم يستوعبون الأحداث. كل يستوعب ويحلل من
منظوره. وفجأة انفتح باب الأسانسير وخرج منه شاب نحيل القوام
شاحب غادرته نظرة الشباب وفتوته. التقت نظراته مع نظرات عبدالرحمن
ورفاقه. قال بعد أن ألقى عليهم التحية:

- أنا أنور فتى قصة الوالد والوالدة.

رحب عبدالرحمن ورفاقه ب أنور. وأكدوا على أنهم سعداء برؤيته وأن
اللقاء به سيتجدد باذن الله مرارا وتكرارا. هذا حديث الشباب. كما أن
القلوب متلاقية. بدا التعب على عبد الرحمن ورفاقه وأكد له على أنهم
مرطبون بموعد على العشاء في فندق مرمرة. فنادى صدقة علي حارس
الباب الذي نادي على السيارة التي عادت بهم الي الفندق.



صحة الضمير

استأجر توفي مركبة سياحية تكفي أفراد أسرته وأسرته وأخيه وطلب من السائق أن يوصلهم لفندق السلام. انطلق السائق بالسيارة وهو بملابسه الداكنة اللون وأشرطة من خيوط مذهبة تشكل ثلاثة أشرطة اثنان منها أعرض من الثالث. أما الكاب فمشغول بالقصب تحسبه بهيأته كأنه قائد من قواد القوات الجوية في حلف الناتو.

أسرت فيكي لزوجها همسا :

- أيه كل الأبهة دى. على كده ح ياخذ كام؟

أراد توفي أن يشعل حب الاستطلاع لديها. قال:

- كتير

ثم أضاف:

- وكمان بالدولار

- بالدولار؟!

وأكد قائلا:

- عاوزة الشياكة ده كلها وما تكنش بالدولار ! أَمَّال أيه بقى.. إللي

ح يكون بالدولار؟

قالت مستسلمة:

- معاك حق. ده أشيك من طاهر العرة.

- عيب يا فيكي ..عيب...عيب

وامعانا في غيظها، أخرج المحفظة من جيبه، وأخذ يعد مجموعة من فئة المائة دولار، وقد أوشكت عيني فيكي أن تدخل المحفظة. وكلما اقتربت أعداد الدولارات. قالت لزوجها:

- يا خويا داري على شمعتك تقيد.

- طلعي عنيكى من جوه المحفظة بركة ربنا نحل فيها.

قالت له متوعة:

- طيب ... طيب ح نشوف. عنية واللا عين طاهر وأولاده

اقتربت السيارة من فندق السلام وحالما وقفت أمام مدخل الفندق أقبل عليهم حامل الأمتعة وعربته. نزلت الشنط وتكدست في العربة وتقدمتهم إلى مكتب استقبال (الريسبشن) الفندق وظلت فيكي ملازمة لزوجها توفى لتعلم ما دفعه لهذا السائق المزركش. قال توفى لزوجته:

- من فضلك روى شوفى حجز الغرف واختاري لنا أجمل الغرف

قبل أختك وأولادها مايشغلوا الغرف الحلوة

اندفعت تلقائيا نحو الريسبشن مخافة أن يستولي طاهر وأولاده على الغرف المتميزة. وعندما اقتربت من الريسبشن أدركت أن توفى أكلها الأونطة. اندفعت عائدة بسرعة ولكنها توقفت وتمهلّت عندما تبينت أن توفى دفع الأجرة. أرادت أن تفوت عليه فرصة السخيرة منها. لم تكن تعلم أن الأجرة متفق عليها مع مكتب تأجير السيارات. منح توفى بقشيشا سخيا للسائق. توجه توفى إلى الريسبشن فوجد ثورة أقرب إلى الثورة على ظهر السفينة بونتي. سمع طاهر يصرخ في وجه المسئولة عن الريسبشن:

- ازاى تلغى الحجز وتسكنى ناس فى غرفنا ؟ بأي حق قولى لى؟

مين إالى عمل كده ؟

أجابت موظفة الريسبشن في هدوء وتعلو وجهها ابتسامة أدب السفرجية:

- أنا

- إنتي؟

قالها توفي مستنكرا وبعبسية وبدأت جميع الزيادات المترهلة على جسمه تهتز من فرط الانفعال. وأكدت موظفة الريسبشن في هدوء وبرود :

- نعم أنا اللي ألغيت الحجز. النزلاء يغادرون الغرف الساعة الثانية

عشرة ظهرا ويبدأ العمال تنظيف الغرف

قاطعها طاهر بحدة قائلا:

- آيه ! هوه في آيه ... كلام كلام. أنت يا آنسة ح تحكي لنا قصة

حياتك. إحنا عاوزين الغرف المحجوزة لنا .

- للأسف أصبحت مشغولة

تساءل توفي في غضب:

- مشغولة؟

- حجزكم كان ساري المفعول حتي الثانية بعد الظهر. ده تعليقات

كل الفنادق. حجزكم للأسف لا وجود له على الشاشة أمامي ..

قالت فيكي شامته :

- ما هي دي أخرت الاعتماد على أخيك طاهر. شورتك، شورتك.

آه يا ويلي من شورتك يا بودي.

لم تعلق بودي على كلام أمها، وقالت بينما سائحة المانية تمر بجوارهم :

- مامي سيبك من الكلام ده وخلّيك مع البياض والحمار إلی على

أصله. لا كريم تفتيح بشرة درجة..درجتین.. ثلاثة. كله رباني ...

وعلق مصطفى بخبائثة:

- ده كله مفتاح .. مفتاح يا خالتي.

- أسكت يا ولد

قالتها ماهى بحسم. فسكت الولد مصطفى بأمر الحب. مرت لحظات
ترقب وانتظار. لما يمكن أن تسفر عنه المناقشات بين توفى وبين موظفة
الريسبشن وسرى القلق بين أفراد الأسرتين لاسيما أن التعب والإرهاق قد
نال منهم جميعا والأسيرة تناديهم لينعموا بقسط من الراحة. قال توفى مكررا
ما قالته الموظفة:

- الحجز لا وجود له أمامكم على الشاشة. والحل أيه؟

- للأسف الحل المتاح ربيا لا يتوافق مع رغباتكم في الحجز
السابق. سعادتك كنت حاجز جناحين وبجوارهما ثلاثة غرف ..

- هذا صحيح يا آنسة

ابتسمت وقالت باعتزاز وهى تشير إلى بطاقة التعريف بها المعلقة على
صدرها:

- مدام بسنت

أضافت وهى مترددة:

- الأجنحة كلها للأسف محجوزة. ولا توجد أربع غرف

متجاورة. توجد غرفة خالية في الأدوار 3، 6، 8، 9، 11

نظر توفى إلى فيكي يستطلعها الرأي فيما يفعل، أجابته وهى سعيدة:

- غرفة في كل دور ... ماشي. كده الفندق كله بتاعنا.

وتساءل طاهر:

- الأولاد؟

واستفسرت فيكي باستغراب:

- ما لهم الأولاد ؟

وأضافت:

- انت بالذات ما تتكلمش. انت سبب الورطة إللي إحنا واقعين فيها.

واستطردت في وقاحة:

- وبعدين هو انت إللي ح تدفع ؟

استشاط توفي غيظا للإهانة التي وجهت لأخيه وقال محذرا:

- فيكى ؟

- أهو إنتو كده كلمة الحق توجع

شعر طاهر بإهانة فيكي المتعمدة وتبادلت أفراد أسرته نظرات استنكار حزينة، يائسة، غاضبة من قلة حيلتهم. التف مصطفى وذكي ونورة حول أبيهم وأمهم. قال مصطفى بانفعال شديد ليثأر لكرامة أبيه:

- تغور شرم الشيخ إللي أختك فيها. ياللا بينا نرجع القاهرة، خليها

تشبع بشرم الشيخ. ما فيش نهاية لمسلسل الذل والإهانة ..

قال توفي مؤنبا ومحذرا بصوت حاد مرتفع :

- ولد

- يا عمي أنت لاخليت فيها ولد ولا بنت... أنت خليت حياتنا خل

...خليت حياتنا زفت

- كفاية يا ولد. إلزم حدود الأدب.

- حاضر يا والدي .

واستدرك ساخرا :

- حاضر داداي ... الله يرحم .

قال توفي محدثا موظفة الريسبشن بلهجة أمرة حاسمة ملقيا اللوم عليها:
- لو كان الحجز ماتلة اش كانت الأمور مشيت عال العال. خلصينا

أي أربع غرف.

أرادت فيكي أن تتكلم، فأسكتها توفي بحزم لابسا ثوبا غير ثوبه الذي
تعرفه وعودته عليه حتى أصبح كالحاتم في معصمها :

- كفايه فضايح. كله منك.

انكمشت فيكي داخل نفسها وأدركت أن التيار يندفع بعنف ضدها
وحدستها نفسها قائلة: الواد مصطفى لازم أكسر أنفه وإلا ح يطلع
فيها. طيب يا مصطفى. على أيه يا روح أمك، فقر وشحاتة وقرعة .

بينما كانت الأمتعة في طريقها إلى الغرف بتوجيهات من توفي التصقت
صفية في كتف طاهر ربا تأييدا له وربما خوفا من بطش فيكي الوشيك
الحدوث وربما طلبا لدعمه وحمايتها وهو رجلها وأبو عيالها. جازي.

أما مصطفى وذكي ونوره فقد تكاتفوا وشكلوا فيما بينهم العصبة أولى
القوة حول أبيهم وأمهم ليدرأوا عنهما أي اساءة. فقد تجرعا منها كؤوسا.
تحوّل القلق إلى استنفار واستعداد لرد أي هجوم.

التصق ميبدو بأمه كالطفل الخائف. بودى ترقب الموقف وهي صاحبة
الدعوة أساسا من مسافة متساوية وان كانت أقرب الي أبيها ولكنها لا
تعرف عواقب موقف أمها مما فعله أبوها. ماهي في خندق القلق الذي
تحوّل خوفا.

تحركت ماهي قليلا من مكانها لتكون أقرب قليلا من عائلة عمها طاهر
ومن أبيها تلمسا لبعض من الشجاعة. بينما توفي في طريقه إلى الأسانسير
ألقي بتعليقات أخيرة:

- ربع ساعة وسأكون عندك. طلباتك كلها مجابة.. مصطفى ما
تنامشي حتى أمر عليك وعلى أخواتك.
دخل توفي الغرفة و وجد ميدو في حضن أمه فاستثاره المنظر غيظا وقال
غاضبا:

- امتي تكبر وتبقى زي الرجالة زي مصطفى راجل يعتمد عليه.
اطلع للغرفة. 9200 الدور التاسع واقعد مع الشباب إللي
زيك. اتعلم منهم. سيبك من حضن أمك. خليك راجل. بلاش
خيابة.

حاولت فيكي أن تمنع ميدو من الخروج فدفعها توفي من طريقه. وقعت على
ظهرها على السرير ورأت الشرر في عيني زوجها. خرج ميدو من الغرفة
وتوفي يلاحقه مكررا الدور التاسع.

قامت فيكي من وقعتها على السرير وجلست على طرفه وشرعت تهندم
ملابسها وتضبط ميكياجها. أثار غيظ توفي ما تفعله فيكي بنفسها. قال
ساخرا:

- ايه المسخرة إللي انت عاملها ؟ عامله زى الأراجوزات. علي
رأيك يا مصطفى الله يرحم شوية الكحل وشوية البودرة والأحمر.
لا كان فيه كريبات بأنواعها ولا مسكرة ولا مسخرة .
واستفسرت فيكي مستنكرة بصوت مرتفع ظنا منها أنها بهذا الإسلوب
سوف تستعيد سلطانها:

- في أيه ؟! سكنتنا له دخل بحماره، حتى البردعة شلناها له.
- حماره ايه واللا بردعة يا قليلة الرباية إللي عملتيه مع أخي طاهر
كان القشه إللي قصمت ظهر البعير. سكت وسكت وأقول يوم

حتتكسف، تختشي. ما فيش فايده. عيشي بقي عيشة أهلك ... وإلا
قسما عظما أرميك للكلاب السعراة. بلاش أفكرك بطاسة الطعمية
وحزم الفجل والبصل وأصلح بابور الجاز وأصلح
الحنفية. والكعوب المشققة وإلا يدين المقشفة. المخرفشة.
صرخت فيكي وأخفت وجهها بين كفيها وقالت وهي تجهش بالبكاء
والدموع تنهمر من عينيها مفسدة كل ما يخفيه الميكياج من تجاعيد:
- كفاية تجريح وإهانة .. كفايه ... كفاية
وارتمت على السرير وقال لها قبل أن يتركها ليذهب الي شقيقه:
- يا ريت تكوني عرفتي وحسيتي ان التجريح والإهانة والتلسين
بيوجعوا ويؤلموا أكثر من كوي النار. سلام.
وأضاف قبل أن يوصد الباب وراءه بعنف انتفضت فكرية من تأثيره قائلا
بغضب :
- إلي ما يحسش بتجريحه للناس يبقى يستحق بالقدم ينداس
اتجه توفي إلى الدور السادس الغرفة 6260 دق على الباب، فتحت له صافي
الباب وأخذ طاهر بين ذراعيه ويربت على كتفيه وقال له معذرا:
- حقك علي يا ابن ابي وامي ...حقك علي. لن يتجبي أحد عليك
من الآن فصاعدا. هذا حقك، وسأخني فيما قصرت. وأخرج
محفظته من جيبه وأخرج مجموعة من كروت السحب من الرصيد.
أعطاه إحداها. الرصيد فيه كثير. هذا جزء من حقك.
كان الموقف أكبر من أن يعلق عليه طاهر وزوجته. المفاجأة عقدت
لسانها. أذهلها التصرف. وكم من تصرفات غير لائقة قامت بها فيكي
ومرت مرور الكرام. خرجت صفية عن دائرة الصمت. قالت متوسلة:

- توفي، أرجو ألا تكون قد أغضبت فيكي
- إنتي إللي بتطلبي كدة!!
- واستدار وقال لأخيه :

- يا بختك بالقلب الطيب. الآن بس فهمت انت ليه راضي. عندك زوجة قانعة وراضية بما يأتاكم. فيكى.. جاحدة وحقودة ولا يملأ عينها إلا التراب.
- وأضاف قائلاً :

- آه لو عرفت الناس إن الرضاء باب السعادة.
- طلبت صفة من توفي ألا يكمل كلامه. وقالت بهدوء:
- ده طبعها من صغرها. لا ترضى أبدا. تريد دايمًا إللي في إيد غيرها.
- تطلعاتها أكبر من إمكانياتها. ياما أبويا ضربها وعذبها لإصلاح حالها بدون فائدة.
- على أي حال، ح تشوفي فكرية وانسوا فيكي. وعلى الفطار سيكون لنا حديث. من الآن في توفيق.. توفي تَفَّوا عليه.
- خرج توفيق من عند أخيه واتجه إلى الدور التاسع، الغرفة 9200 طرق الباب. دخل وقال بلهجة ودودة:
- هل يسمح لي الشباب إللي زي الفل أن أجلس معاهم؟
- طبعًا يا عمي
- جاءت إجابة مصطفى معبرة عن لسان حاهم جميعاً. انتظروا قليلاً ومضت لحظات ترقب قطعها توفيق بما لم يتوقعوه، قال:
- أنا عاوز بناتنا الحلوين يحضروا معانا. اطلب تليفون غرفة البنات.
- 812 وخلي ذكي ينزل يجيبهم.

جاءت البنات الثلاث وبصحبتهن ذكى. قال توفيق:

- أنا مش جاي أعاتب. أنا جاي أهني الراجل اللي رفض إهانة أبيه
مهما كان الثمن. كل واحد متنا يتنادى باسمه. توفي مات .. إلي
قدامكوا توفيق .. بابا توفي .. عمي توفيق. مفيش ميدو ولا بودي
ولا ماهي .. في محمد وفي بدرية وفي ماهيتاب. العهد اللي انتهى عهد
فيكي العهد الجديد عهد توفيق وفكرية.

تحول مفاجئ وجرى أثار دهشة الشباب. شخصية جديدة تظهر على خشبة
المسرح. هل هو تحول ثوري مصاحب لثورة يونيو 2013 ابان عنفوانها. أم
هي فقاعة في الهواء سرعان ما تنفقع وتسفر عن لا شيء. وساءلت بدرية
(بودى) نفسها قائلة: " هل يعقل أن تكون مامي فكرية (فيكي) على علم
بدور الأسد الذي يؤديه دادى وصامته وغير ناثرة عليه؟ !جايز.. هي الدنيا
جرى فيها أيه ! واللآ دادى قايم بدور البطل خلف الكواليس ؟ يا عالم .
قال مصطفى تفسيراً لموقفه:

- عمي .. كان الموقف أكبر من أن أتحملة. إهانة وراء إهانة لا لشيء
سوى أن بابا لا يريد أن يغضبك. بابا وماما اتعرضوا لإهانات
كثيرة من خالتي ويمكن أشد من كده...

بكى مصطفى من شدة الانفعال وأخذ صدره يهتز. تابع كلامه:

- كل إهاناتها ظلم في ظلم بس المره ده الظلم زاد وفاض قدام
الناس. الناس اتفرجوا على أبويا وهو بيتجرح في كرامته وهو
خايف على زعلك. لاحول له ولا قوة.. ضعيف .. متردد ..
عاجز. يمكن خايف على القرشين اللي بياخذهم منك. أنا وأبويا

وأمي خادمنكم خدمة العبيد للسيد أيه المطلوب متنا أكثر من كده؟

لم يعرف توفيق كيف يهدئ من روع مصطفى سوى أن يهز رأسه مؤمنا على كل ما قاله. محمد (ميدو) صامت لا يعلق على ما يدور أمامه، فقد رأى المشهد الأول لأبيه مع أمه، رآها منكشمة داخل نفسها مرتعدة تترقب ما يسفر عنه المشهد وربما نهاية سطوتها. فيكي دبور وزن على خراب عشه. ويظل السؤال العالق دون جواب : هل توفيق يقدر مواصلة أداء الدور الجديد عليه؟ ربما.

أما ماهيتاب (ماهي) فقد شاركت الجميع دهشتهم وبكت مشاركة مصطفى دموعه. ولما استفسرت منها بصرية عن سبب بكائها قالت بتهيده:

- ما همه يقولوا: لو كان خصمك القاضي، مين تقاضي

وضحكت نورة وقالت:

- خالتي حطي إيدك على عينك، زي ما توجعك توجع غيرك. انت

والله وجعتينا كلنا.. المهم أنها لابسة توب مش توبها.. عايشة عيشة

مش عيشتها ولا عيشتنا..

أخرج توفيق من محفظته ست ورقات من فئة المائة دولار ومثلها من فئة

المئتي جنيه وأعطاهما لمصطفى وقال:

- من بكره إفرحوا أنت كبيرهم ما تخلش حاجه في نفسكم عيشوا

كلكم حياتكم.. ده مجرد بداية. وبكره في الفطار ح تبتدي

الحكاية. حكاية فكرية من البداية .

عاد توفيق إلى غرفته مجهدا فوجد فكرية غارقة في دموعها . ولأول مرة منذ زمن بعيد جدا لم يرحم دموعها ولم تأخذه بها شفقة ولا رحمة، ربما لأنه متأكد أنها دموع التماسيح . سمعها تولول قائلة :

- كل إِلَهِ عملته لك ما شفّعش لي . أنا إِلَهِ دبّرت ، وأنا إِلَهِ حطيت القرش على القرش لحد ما بقيت تساوي قرش .

لم يعلق على ولولتها سوى بقوله ساخرا :

- يا سلام . غرد يا طائر الليل الحزين . شجاني نوحك يا فيكي .

- أنا إِلَهِ عملتك .. أنا إِلَهِ نقلتك من الحلمية لمصر الجديدة .

طلعتك للدنيا ونقلتك للتجمع الخامس وسط الناس الهاي . كل ده ما تمرش فيك . خلاص يا دنيا ماتلزمينش .

- الله .. الله .. يا سلام ... يا سلام . إبيكي ونوّح يا طائر الليل الحزين ،

يمكن الدموع تطهر القلوب الفاجرة من فجرها وتنقي النفوس القاسية من قسوتها وتصحى الضمير النائم من غفوته .

تمدد توفيق على الكنبه وسرعان ما راح في سبات عميق . نامت فكرية من الإرهاق ، ولكنه نوم متقطع غير منتظم ولا هادئ تخالطه الكوابيس . قامت عدة مرات مرعوبة وهي تصرخ أحيانا وتئن أحيانا أخرى . يوم طويل حافل بالأحداث الجسام في حياتها .



فيلسوف الغبراء

خرجت أسرة قدري وزوجته عليّة وشقيقتها سميرة وولديه سامي ويوسف من صالة الوصول فوجدت أحد أفراد شركة السياحة التي نظمت لهم برنامج الرحلة من ألفها إلى يائها في انتظارهم وهو يحمل لافتة عليها اسم السيد قدري. استقلت العائلة ميني باص سياحة فاخر أوصلهم إلى فندق الرينيسانس السياحي. قدمت إدارة الفندق لهم عصائر الفاكهة الطازجة ترحيباً بهم وبسلامة الوصول. شغلت الأسرة ثلاث غرف في الطابق الأرضي تطل على حمام السباحة. قدري وعليّة في غرفة وسميرة في غرفة ثانية وسامي ويوسف في غرفة تتوسط الغرفتين الآخرين.

غسل سامي ويوسف وجهيهما علي عجل وارتيديا المايوه (لباس البحر) وألقيا بنفسيهما في حمام السباحة. يوم طويل كأنه أطول يوم في التاريخ. قال سامي وهو ينظر الماء عن وجهه ويأخذ نفساً عميقاً:

- أخيراً، منذ ساعة مبكرة من صباح اليوم ونحن خارج البيت في القاهرة لنصل إلى فندق الرينيسانس في شرم الشيخ الساعة السادسة والنصف مساءً قبل حظر التجول.

سمعه يوسف بينما كان يرش الماء على وجهه لكي يصدق أنه في شرم الشيخ قال يحدث أخاه يوسف وقد انتعش من برودة الماء:

- اليوم لابد أن يكون نقطة تحول في حياة كل من شارك فيه. إلليّ ركب الطائرة واللّي فاتته. لابد في شئ مهم حدث. ممكن يكون

شئ إيجابي ومش لازم يكون سلبي.مش كل يوم يتعرض العالم
لحادث سقوط طيارة.

سأله سامي ساخرا :

- عاوز تقول أيه يا فيلسوف الغبراء؟
- عاوز أقول إن الحادث تذكرة من الله لنا جميعا. وقفة مع النفس..
- وقفة مع الصديق..وقفة مع إللي بيتاجروا بالدين...وقفة مع
- الانتهازين :سماسة نظم الحكم كلها.وقفة مع حملة المباخر..
- بضاعتهم جاهزة لمن يدفع.جاهز لبيع أبيه وأمه للي يدفع .
- تمهل يا فيلسوف الغبراء.أنا من الوقفة بردت.بيننا نخرج ونتعشى
- مع العائلة.

خرج سامي ويوسف من الماء فالتقيا الخالة سميرة جالسة على الشيزلونج
وبجوارها بشكير كل منهما.جففا جسميهما من بقايا الماء وقالت لهما العشاء
جاهز وبابا وماما في الانتظار. وجدا الوالد قد طلب العشاء وإن هي دقائق
معدودات إلّا وكانت عربية خدمة الغرف عليها عشاء أفراد الأسرة. رحب
يوسف بطبق شوربة (حساء) كريمة الدجاج مع عش الغراب وأقبل عليه
بشهوة.كانت العربية حافلة بألوان الطعام 4 قطع لازانيا و5 قطع فيليه
بجانبها بعض عش الغراب والخضار السوتيه والسلطة الخضراء
وزجاجات المياه المعدنية المثلجة .

وأثنى سامي علي سخونة طبق الشوربة وقال:

- كنت في حاجة لمثل هذا الطبق . أشعر بلسعة برد خفيف سببها
- يوسف الذي كان يفلسف أحداث يومنا هذا.

رفع قدري وجهه من طبق المكرونة الإسباجتي لسمع ما يمكن أن يديه
ابنه على هذا اليوم الغني بالأحداث. قدري يعجبه دائما تعليقات يوسف
التي تغلفها باستمرار معان من الغيبات. قال الأب مستفسرا:

- ماذا عندك يا سي يوسف ؟

- أنا أقف عند الأحداث أتأملها ... أراجعها .. يمكن كمان أتدبرها.

داعبه الأب قائلا:

- أوعي يكون إعدادي طب لعب بعقلك يا ولد ! ما صدقنا الثانوية

العامية عدت على خير.

- لأ، وانت الصادق يا والدي.. الثانوية لحست الشوية الباقيين.

وعلقت أمه عليه قائلة:

- اسم الله عليك وعلى عقلك..المولى عز وجل حارسك.

وتابعت خالته سميرة قائلة:

- ده يوسف ما شاء الله عليه : عقله يوزن بلد.

وعقب سامي وقد فرغ لتوه من طبق الشوربة بتنغيمه مسرحية:

- مين يشهد ؟

قال يوسف متسائلا بجدية:

- هو إللي حصل النهارده ما يتخيلناش نقف مع نفسنا ونوقف التيار

المندفع بجنون ناحية الفساد والطغيان ... الطالب عاوز يسرق

مجهود زميله ويتفوق في الامتحان ... والمدرس عاوز الدروس

الخصوصية ومرتب الحكومة كمان والموظف مش عاوز يشتغل

وإذا اشتغل قال لك على قد مرتبهم التعبان... والسياسي عاوز

الساحة كلها له ولأنصاره وإلا بلاش، واللي في الحكم عاوز
الكبكة كلها له ولأهله وعشيرته وياريت زي زمان.

واختتم يوسف كلامه قائلا بعتاب :

- والحكومة الحالية مترددة ومش عاوزة تاخذ خطوة جريئة تعدينا
من التوهان.

وأضافت خالته قائلة على نفس المنوال:

- ما هو الزمان ده كان لازم يكون غير الزمان إللي فات. يمكن

الزمان اتحرك، بس اتحرك للوراء... تغير في عجلة الزمان بس ما

تغيرش في الجوهر أبدا. إحنا عايشين في مرحلة جديدة ما

تنتهيش. يا بني إللي كان حاكمنا الصندوق.

اندفعت عليه بثورتها المعهودة قائلة:

- يا روح أمك زي ما قالت لك خالتك اللي بيحكمنا قبل كده

صندوق الانتخابات.. ما هي الصناديق كتيرة سمعنا ودوشوا

دماغنا بصندوق النقد الدولي وبعدين بنخ واختفي فين راح

الصندوق يا ولاد الحلال. ضاع صندوق النقد الدولي في حكاية

التوافق الوطني. ومن ساعتها راح ولا جاش.

وأردفت قائلة بحزن :

- واللي حكمنا حاليا عواجيز زمان.. حكمة وعلم وخبرة بس يا

خسارة فين الجرأة والجسارة بتاعت الشجعان. العيب مش فيهم

العيب في الزمان إللي خللى الخوف والتردد بحكم سنهم زيادة

حبتين. الشباب يحسبه حسبة والشيوخ يحسبونها ألف حسبة وكم إن

عليها حبتين.

تجلى الجد على وجه قدرى الذى استغل فترة سكوته فى تناول وجبة العشاء الساخن بتركيز شديد فبدأ الطبق الذى كان يأكل فيه مثل الصينى بعد غسله. قال بجديّة:

- من إمتى كان بيعيش لنا توافق وطنى. إحنا متفقين على إلا نتفق على أي حوار وطنى. ده أولاً. إللى عايش لنا فى الوقت الراهن صندوق الدين مع قطر وليبيا وتركيا. يا ترى ح يودينا على فىن. ده ثانياً. فى ثالثاً صناديق الزبالة إللى محيرة الحكومات ومصيرها تتحل فى الألفية الثالثة والله أعلم.

عاد سامى إلى دائرة الحوار بعد أن دب الدفء فى أوصاله، قال مبدياً دهشته مما قاله الجميع:

- اعتقد والله أعلم أنكم كنتم تحبون عن خواطركم فيما نحن فيه. اعتقد ده إجابات عن اسئلة اختيارية من صنعكم ولم يطرحها فيلسوف الغرباء. تصبَحون على خير.

نهض وجذب يوسف واتجها إلى غرفتهما وهما يلوحان لهم:

- تصبَحون على خير.



ارتباك

شاع خبر فقد الرحلة 105 مما أدى إلى ارتباك عبد الرحيم قنديل ونجلي ارتبائه فيمن يسأل. فلم يخطر بباله أن يكون طرفا فيما يجري على أرض قاعة استقبال المسافرين في الداخل. كل صلته بالمكان التمتع بالتكيف في شهور الصيف الحارة وربما ابتسامة هنا وهناك. كان يعتقد أنه خرج من دائرة الحياة اليومية بكل ما فيها من جذب وشد وأخذ ورد... ديناميكية الحياة اليومية. غلب على ظنه أنه نال حظه ونصيبه من حركية الحياة في أثناء عمله سواء في الداخل أو في خارج البلاد. عمل واجتهد واستثمر فطنته وكياسته وذكاءه في التعامل مع الناس فأحبه من أحبه وكره من كرهه. كان كحد السيف في الحق لا يعرف التفاف فأحبه من أحب الحق، وكرهه المداهنون لأنه كان يقول لهم بكل بساطة وعفوية يغلفها أيمان عميق عمق الكون ذاته : ما كان لك سيأتيك على ضعفك وما ليس لك لن تناله بقوتك .

وعندما حلت ساعة الخروج من شركة الأدوية التي أفنى عمره فيها فرح فرحا شديدا، فلم يسع إلى مد خدمته ورفض رفضا قاطعا كل محاولات الإغراء التي عرضت عليه. وكرر على مسمع من الداني قبل القاضي أنه يريد أن يحيا بقية عمره فيما كان يحب أن يعمل وهو في مقتبل العمر" : حياة هادئة في محراب الدين والفن والأدب. وقال في جمع الموظفين في حفل توديعه : غدا بمشيئة الله أكون خارج قيود العمل. يوم انتظرته طويلا منذ أن التحقت بالعمل في 1959 قبل التخرج في كلية الحقوق بسنتين. وهو في هذه المرحلة من العمر في حاجة إلى استاتيكية الحياة أكثر من ديناميكيته.

يريد أن يتأمل والتأمل يحتاج منه بعد الستين من عمره ببطء حركة الأحداث وهي تمر أمام عينيه لكي يتمكن من استيعابها كاملة. كان لفقدان الرحلة 105 إيقاع أسرع من قدرته على الحركة. ولكنه لحسن الحظ أسعفته الذاكرة فتذكر اختراعا اسمه الموبايل عندما سمع رنين موبايل إلى جواره. فتش في جيوبه وأخرجه من مكانه. حدث الموبايل: "الو ما تذكرتك أيها الرفيق. الشيطان ينسيني هذا الاختراع اللطيف".

طلب رقم الدكتور هاني عبد الفتاح قبل أن ينشي فوجده مشغولا. كرر المحاولة كانت النتيجة واحدة رسالة صوتية " : الرقم الذي طلبته مشغول، يرجى الاتصال فيما بعد". بدأ صدره يضيق والوساوس تقذف به إلى قمة الموجة ثم تلقي به إلى حضبيضها والهواجس تلاحقه في كل اتجاه. بدأ يقرأ آيات من القرآن الكريم... ألا بذكر الله تطمئن القلوب. بلا. واتاه خاطر ينشله من خضم الهواجس والانفعالات: لو أن مكروها أصاب الدكتور هاني لأصاب الموبايل سكتة قلبية. هدأت سريرته مؤقتا. عاود الاتصال مجددا ولا من مجيب. فكر في الاتصال بزوجة الدكتور هاني الأولى مدام دلال وسرعان ما طرد الفكرة خشية أن يحدث قلقا، ربما بل بالتأكيد لا داعي له.

قفزت إلى ذهنه فكرة الاتصال بزميله الأستاذ إبراهيم أبو النجا المحامي - وهو صديقهما المشترك كما أنه يعمل المستشار القانوني للمؤسسة الدوائية التي يعمل بها مع الدكتور هاني. لابد ان تكون لديه أخبار. وعندما رن تليفون إبراهيم أبو النجا سمع عبد الرحيم قنديل صوت زميل الدراسة يرد عليه قائلا:

- أيوه يا عبدالرحيم أي ريح مسك دعتك للاتصال؟ أنت فين يا رجل؟
- في أرض الله الواسعة .
- لا يمكن أن تكون معتزلا الدنيا في شاليه العريش والأحوال هناك مضطربة
- لأ، اعتزلت العريش بعد عمليات تفجير خطوط الغاز .
- العمليات ديه توقفت تماما بعد تولي الرئيس مرسي الرئاسة. وعادت بعد عزله.
- لم يعلق عبدالرحيم على كلام زميله وحدثته نفسه قائلة: يبدو أنه لا يعلم شيئا. ماعندوش فكرة. ولا داعي لإزعاجه.
- أيه يا عبد الرحيم رحت مني فين؟ أوعى تقولي ألزاهايمر
- أبدا ... أبدا... لا ألزاهايمر ولا حاجة.
- أمال في أيه؟ طيب قوللي أيه آخر أخبارالدكتور هاني؟
- ده أنا بكلمك عشان أعرف منك أخباره.
- الظاهر سفرياته إياها شغلته عنا. كان الله في العون.
- شغلته؟
- خالينا نسمع صوتك. مع السلامة.



عم ضرغام

دارت عجلة الزمان إلى الوراء عشر سنوات وربما أكثر عندما التقى عبدالرحيم د. هاني في مكتب زميله إبراهيم أبو النجا. كان قد قارب الخمسين من عمره. لم يلتق د. هاني وعبدالرحيم من قبل رغم انهما يعملان في مؤسسة واحدة للأدوية. عبدالرحيم يرأس الشؤون القانونية في المؤسسة الدوائية في مقرها الرئيسي بمصر الجديدة بينما د. هاني يعمل في المكتب العلمى للشركة في جاردن سيتي بوسط القاهرة د. هاني شعلة من الحماس والغيرة على العمل. يريد أن يسبق الزمن بذكائه وفطنته وكياسته. توطدت علاقتهما وأصبح لهما لقاء اسبوعي، عادة، يتحاوران في أمور الدنيا وأمورهما الشخصية. تقاربت النفوس وتلاقت الأفكار وتبادلا الزيارات.

وفي جلسة من جلسات الصفاء وما أكثرها، كانا يجلسان في ركن هادئ بقاعة الطعام الفاخرة في الباخرة النيلية سندباد ينتظران ثالثهما إبراهيم أبو النجا صاحب دعوة العشاء بمناسبة كسبه قضية مهمة أمام محكمة النقض. جلسا متقابلين بجوار الشباك. النيل يجري وشريط الذكريات يطارده. قال د. هاني:

- هناك فترات في حياة الواحد منا ما يقدرش ينساها. ساعات فترات تقشف وفقر تفضل لازقة بغراء في الذاكرة لا تفارق العقل. وتفضل ملازماء زي ظله.
- ده فترات للتذكرة والتوعية عشان ماننساش أصلنا. الفترات ده هي إللي بتخليك تحسن على المحتاج لأنك عشت التجربة. لو ما

كالتش البرتقال مش حتعرف طعمه؟ بالتأكيد : لأ. لو ما دقتش
طعم الفقر عمرك ما حتعرف طعمه.

- بس لما تعرف طعم الترف تعرف طعم الفقر إللي على أصوله ..
بس لما تكون عرفت الفقر وذقت طعم الحاجة والحرمان بنفسك
ساعتها بس تعرف احتياج الفقير وطعم مرارة الحرمان بحق
وحقيقي.

استطردد. هاني قائلأ كانه يزبح هما ثقيلأ عن كاهليه:

- لما جيت القاهرة أم الدنيا كانت معايا بشوية جنيهاات قليلة.
ماكانش الجنيه يخرج من جيبي إلأ بالزار والطبل البلدي. ما فيش
له لا يدبل ولا رجوع. كان لازم السكن يكون قريب من الكلية
وبأرخص الإيجارات. المهم بعد الدوخة سبع دوخات سكنت في
غرفة على السطح. جبراني كانت الفراخ والبط والحمام وغية حمام
المعلم ضرغام كان باني برجين حمام. الفراخ لها ديك قبل آذان
الفجر بشوية يأذن... الظاهر إنه كان بيأذن حسب التوقيت المحلي
بتاع بلاد إللي جابته.

- أديك كنت عايش في ونس وميش غريب عليك. كمان الكلية مش
بعيدة عليك. ما أنت متعود على المشاوير في البلد.

- أكيد يا عبدالرحيم بيه. بس استنى شويه. لما مال الحال سألني
صاحب البيت - وهو صاحب فرن العيش اللى تحت البيت ومطعم
فول وطعمية في البيت اللى قصاده - إني أعمله الحسابات مقابل
إعفائي من الإيجار وأخذ كل يوم ستة أرغفة عيش بعد لما أخلص
الحسابات. ما تسألنيش عرف منين .. حس إزاي ما أعرفش.

- ما تقوليش إنه ماكانش بيفوتلك طبق فول معتبر بالزيت الحار وشوية طعمية وسلطة على ذوقك
- إزاي يا عبدالرحيم بيه أكذب لو قلت إن الراجل قصّر معايا. كنت أشوف البيض والعجة في ساعات روقانه.
- د. هاني كان عنده بنت واللاً أخت. أنا الفار بدأ يلعب في عبي.
- أبدا .. أبدا ما كانش الحاج ضرغام محمود الشوبكى بيخلف. طلبت منه أن أعرضه على د. رئيس قسم أمراض النساء في الكلية. وقتله كل شيء بأمر الله. لا عيب تكشف ولا عيب كمان هي تكشف. ده أسرار. تعرف النهاردة عنده ما شاء الله ثلاثة أولاد وبنت : الولد الكبير سماه على اسم أبيه والثاني سماه هاني والثالث سماه أحمد على اسم الدكتور رئيس قسم أمراض النساء.
- تخيل يا هاني أن تفوقك ودخولك كلية الطب وفقركم وسكنك عند الراجل ده كانت نقطة تحول في حياة هذا الرجل.
- موضوع الخلفة بياخد من الناس حجما أكبر من حجمه. من أوله لآخره خاضع لمشيئة الله. يقول الله تعالى في سورة الشورى : " الله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير".
- هو ... هو هو. الموضوع ده خد من ناس عمرهم. في ناس ماتت كمدا وحزنا. ضعف في الإيمان أنيميا حادة في الإيمان. طبعا حصل تغيير في حياة ضرغام.

- طبعا يا عبدالرحيم بيه. الراجل إللي كان مكسور الخاطر... إللي كان واخذ على خاطره من الدنيا... صالح الدنيا... أنا حسيت إن عوده اتصلب. طلعت الابتسامة ونورت وشه زي الشمس لما تطلع من وراء السحاب في يوم شتاء عبوس مطير.

سكت قليلا وتطلع إلى النيل وهو يجري بهدوء والقمر طالع يتابع المشهد ويلقي بضوئه الفضي على الوادي. نظر إلى القمر مليا وقال بعد أن أخذ نفسا عميقا :

- من فترة قصيرة هلت عليه ريحة الخبز وطبق الفول والطعمية. شوقي لأيام زمان وصلني للحاج ضرغام. لقيته قاعد قدام الفرن. كبر وحواليه أولاده. قال لي كلمتين وهو يشير إلى اليافطتين : "فرن ضرغام وأولاده" و"كافيتريا آل ضرغام" : "كتر خيرك". وقلت له وأنا أشير بإصبع السبابة إلى السماء: الخير من الله. الفضل كل الفضل لله.

- طبعا أكلت رغيفين عيش بلدي محترم ..

وأضاف د.هاني :

- ومعاهم شوية فول وكام قرص طعمية وصاية.

استطرد د. هاني قائلا:

- انتظمت في كلية الطب وحافظت على تفوقي كنت قتيلا منحة التفوق ... تفوقي ما كانش اختيار .. كان ضرورة من ضرورات الحياة.. زي الهواء والميه منحة التفوق .. هي إللي كنت بيها أقدر أشتري الكتب المستعملة وأحيانا كنت أدبر نفسي واشتري بنطلون واللا قميص على قد الحال من سوق الكانتو.

واسترسل د. هاني بمرارة:

-كنت بشوف كارنفال من الملابس همّه على آخر موضة القاهرة أم

الدنيا وأنا على آخر خطوط موضة سوق الكانتو.

استوقفه عبدالرحيم قائلاً:

- على مهلك يا د.هاني.كلنا في الهم شرق. الحال من بعضه.يمكن

كنت أحصل على قميص وينطلون على قد الحال. أما الحذاء

فليس هناك جديد إلا بعد الحصول على شهادة انتهاء صلاحية.

- يا عبدالرحيم بيه ... المسألة مختلفة تماماً.

- أكيد بس مش قوي كده.

استرخى د. هاني في جلسته وغير مجرى الحديث قائلاً:

- في المحاضرات والسكاشن كنت ألاحظ أن هناك عينين مسلطان

علي.كنت أشعر بالخجل والارتباك وأحياناً كنت أضع كفي على

صدري زي البنات عندما يتعرضن لنظرات فاجرة. كنت من

المتميزين علمياً في الدفعة ... تميزي لم يكن اختياراً بقدر ما كان

ضرورة حياة.

وفي شتاء 1973 حدث تغير مفاجئ في حياة د. هاني. ربما كان ينتظره...

يتمناه..ولكنه لا يملك حتي حق التفكير فيه أو حتى يشغل أدنى مساحة

من خياله - لأن مجرد التفكير فيه رفاهية لا يملك وقتاً لها..وليس

بمقدوره تحمل أعبائها.

هاني ... مرام تحت المطر

كان هاني في طريق عودته إلى غرفته في منطقة بولاق الدكرور بعد انتهاء المحاضرات. يوم لا ينساه ... الخميس 25 يناير 1973 نقطة فارقة في حياته. المطر كان منهدما بغزارة والناس يهرولون في كل الاتجاهات يحاولون الاحتباء تحت أي حاجة ؛ جريدة، مظلة، شمسية، داخل مداخل العمارات، تحت مظلات مواقف الأوتوبيسات. كان أحسنهم حالا. غطي رأسه بالبالطو الأبيض وبعد فترة وجيزة ابتل البالطو تماما. وقف حائرا. وفجأة وقفت سيارة يعرفها تماما وفتحت مرام الباب وقالت بحسم :

- اركب. حييالك إلتهاب رئوي

أشار إلى ملابسه وقال :

- ما أقدرش حاوسخ العربية وأبلها

- مش مهم. صحتك أهم بالتأكد من أي عربية. اركب وإلا حفرّج

الناس عليك.

ركب السيارة وانكمش وأخذ يرتعش ثم انتابته نوبة ضحك. التفتت مرام إليه وسألته:

- أيه إلی بیضحکک؟

- الأمر بالركوب تحت التهديد... الحكاية دي فكرتني بفيلم غزل

البنات لما ليلي مراد هددت نجيب الريحاني وقالت له بالأمر:

إركب. فركب.

ضحكت وقالت:

- ده انت لك في خفة الدم. بس عاوزه أقول لك : إركب في فيلم غزل البنات كانت النهاية وافتكّر إركب النهارده حتكون البداية.
- آنسة مرام إنت رايحه على فين؟
- على أوضتك إللي فوق السطح...فرن ضرغام.
- إزاي عرفتني مكان سكني؟ وليه؟
- تهمني .
- شئ يسعدني .
- وهذا المهم عندي.
- وأضافت وهي سعيدة
- أوصلك لحد القرن واللا تخاف
- بلاش علشان العربية تتبهدل في طين الحارة والمطر. كفاية أول الشارع.
- موافقة ... بس بشرطين: الأول تاخد الشمسية الشيك ده معاك حتحميك بس من المطر.
- بس الشمسية حريمي؟
- والمطر ما بيفرقش بين الشمسية الحريمي والرجالي. أوه حتنسني الطلب الثاني تغير هدومك وترجع الشمسية.
- ولما أرجع؟
- يكون المطر وقف. حبه أتكلم معاك شويه.
- تحت المطر؟!
- أنا بحب المطر ... المطري يغسل الدنيا.
- للجوّه العربية .. مش لي مش لاقى هدمه تغطيه ولا سقف يأويه.

نزل من العربة وفتح الشمسية. كان المشهد هزليا. شمسية ياباني رقيقة مزدانة برسوم لفروع من شجر الكرز. ضحك على منظره المتناقض كل الذين مر بجانبهم بما في ذلك مرام - يحمل شمسية لا تقيه من شئ. قررت أن تنتظره أمام الفرن وإلا كأنك يا أبو يزيد ما غريت.

مضت دقائق انتظار ثقيلة والمطر يزداد إنهارا ومن وراء زجاج النوافذ الصغيرة عيون تتلصص يقتلها حب الاستطلاع. سيارة فارهة فاخرة تشد إليها العيون ولكن لم ينزل منها أحد. سؤالان تبحث العيون المتلصصة عن الإجابة عليهما : لماذا أنت ؟ ولمن أنت ؟؟.

تلقت العيون المتلهفة الإجابة على السؤالين في خطوة واحدة عندما ركب هاني السيارة بسرعة. وعلقت العيون قائلة في دهشة وشهقة بالغة :

- الدكتور؟؟!! كل ده يطلع منك ... ساهي وسهن .. بس واقع وقعة صقع.

تحركت السيارة ببطء إلى أن خرجت إلى الطريق الرئيسي المسفلت المؤدي إلى شارع بين السرايات. كان الصمت سيد الموقف.

المشاعر مختلفة ... ربما . مرام سعيدة باقتحام هذا الحصن المنيع عالم الفقر المدقع والتفوق العلمي والإصرار على الخروج من النفق المظلم ... هاني لم يكف عن مسائلة نفسه إلى أين سيؤدي به هذا الطريق. المشاعر متناقضة... أكيد . مرام لا يهمها أي شئ. فهي على قمة الهرم ... هاني في سفح الهرم لا يقدر على أن يمنح أي جنية تأشيرة خروج بلا عودة. يقولون الحاجة أم الاختراع وهو يقول الحاجة أم الهوان والضياع. خرجت من أعماقه تنهيدة عميقة تحمل قهر الرجل. قطعت حلقة الصمت متسائلة :

- ليه كل هذه التنهيدة ؟

أجابها برنة أسي وحزن دفين:

- تخيلي أنا لا أملك سداد أعباء السعادة إلى عايشها دلوقتي

أوقفت السيارة بجوار الرصيف وتأملتة وقالت مستنكرة:

- مستكتر على نفسك شوية سعادة ؟ له يا .. ؟

- إنتي فيسن وأنا فين ؟ إنتي في أعلى الجبل ... فوق السحاب وأنا

في سفح الجبل رجله غارزة في الطين . انتي راكبة عربية تحت المطر

وأنا بجري في أي اتجاه عشان أحمي نفسي من المطر . صدقيني ... أنا

بجري أسبق الزمن .. أنا بأحاول ألاقي مكان تحت السماء .

- خلّيني أطلع معاك الجبل ... خلّيني أسبق معاك الزمن

- له تختاري حياة صعبة. أنا اتعودت عليها. عارفه لما أروح البلد

وأمي تأكلني الأكل إلّاي اتعودت عليه طول عمري .. معدتي

بتعلن تمردها عليه تصرخ : فوووول طعميه بتنجااااا

مقلي يحمي على القلب.

- مين إلّاي قال الفقر عيب .. ؟

أجابها هاني دون تردد:

- أنا! أنا ! الفقر بهدلة. الفقر مش اختيار..الفقر إختبار.أوعي

تقولي لي إن الغنى غني النفس ... الغنى غنى الجيب. أهوه قدامنا

راجل واقف بعربية بطاطا مشوية. تحت المطر .. عاوز يدفي جيبه .

أقفي إلى جواره وقولي له : إديني كوزين بطاطا معسلة بشوية غنى

نفس. شوفي حيقولك أيه. عيدي عليه الطلب تاني وقولي له إديني

كوزين بطاطا معسلة بخمسة جنيه. حتلاقيه نط في وسط المطر

وقال لك مبتسما : اتفضلي يا ست هانم.

- ليه ده كله أنا خايفه أكون حببت الأستاذ حمام
- ضحك فانتقلت عدوى الضحك إليها وقال :
- الأستاذ حمام .. أنا فين والأستاذ حمام . حمام فراخ كله بيتاكل.
- ضحك عبدالرحيم وأخيرا قال:
- فعلا، حمام فراخ كله بيتاكل. بس أنا كنت مشدوها ومشدودا إلي حديثك بحيث لم أجرؤ على مقاطعتك.
- واصلت مرام سيرها وسط حركة انسياب مروري بطيء. توقف المطر تماما وتلقت الأشجار حماما مفاجئا من الماء الغزير تخلصت به من كم التلوث الذي يخفي نضارة خضرة أوراقها. ركنت مرام السيارة على الرصيف المقابل لفندق شبرد. بدا كوبري قصر النيل بأسديه .، وأنوار فوانيس السيارات تنعكس متلاثلة على أرضية الطريق تشكل لوحة لونية متباينة رائعة. كانت مرام في قمة السعادة. قالت وعينها الزرقاوين تلمعان ببريق السعادة الغامرة:
- تخيل يا هاني الدنيا بتستقبل حبنا وهي طاهرة، عشان نفضل فاكرين ومحافظين على المشاعر النبيلة ده مهما يحصل.
- بإذن الله حيحصل بس
- وضعت مرام كف يدها على فمه لتمنعه عن الكلام وقالت برجاء:
- من فضلك خلّيني أعيش اللحظة ده بدون تحفظات.
- حاضر يا مرام .
- وعلق عبد الرحيم قائلا:
- فعلا ماكانش فيه رد أحسن من : حاضر يا مرام.

سألته مرام إن كان لا يمانع في تناول الشاي وتناول بعض الساندويشات والكيك في إحدى قاعات فندق شبرد الذي يقفان أمامه الجو بارد وبدأ الجوع يرسل إشارات للمعدة طلبا للطعام .

أشار مستشعرا الحرج بأن ملابسه لا تليق بالمكان. وأراد أن يقول انه لا يجرؤ على مجرد الدخول لا شكلا ولا موضوعا في مثل هذه الأمكنة. وتعنى أن يفترسه أسدا كوبري قصر النيل. قالت ببشاشة :

- أنا صاحبة الدعوة وأنا إليّ حادف الحساب .

وأراد أن يتهرب من الدعوة رغم أنها ستدفع الحساب. ولكن لن يكون هناك رد للدعوة ولو بعد حين. وتوصل إلى حل يساعده في المراوغة حاليا. قال لها :

- الجو بارد ما تيجي نروح مطعم يقدم لنا شوربة عدس تدفينا.

- ممكن نطلب هنا شوربة العدس وأي حاجة كمان تخطر على بالك أو نفسك فيها.

استشعر ضيق الفشل مراوغته. قال بحسم :

- الأماكن ده بتخنقني . ناسها مش ناسي. أنا انسان بسيط الدنيا حدفنتني في طريقك.

وأضاف بعصبية :

- ما أقدرش .. ما أقدرش.

- خلاص بلاش شبرد ولا تزعلش. كنت عاوزة احتفل ببداية معرفتنا على طريقتي ..

- لأ.. علي طريقتي أنا .

- على طريقتك وعلى كيفك بس برضه أنا..

- مقدره ظروفى .
- تمام ..انت نزلت من البيت على ملا وشك ومش مستعد ..من فضلك خليها على المرة ده . انت إللّى حتدفع الحساب .طيب حتعزمنى على آيه ؟
- شوربة عدس من عند التابعى القط
- طيب خليها يا دكتور كباب وكفتة وشاي بالنعناع عند قهوة الفيشاوى فى حى الحسين .
- موافق يا دكتورة .

أمضى هانى سهرة ممتعة تخلت معدته مؤقتا عن الاستقبال الدائم للقول والطعمية والباذنجان واحتفلت بضيافة مؤقتة للكياب والكفتة وتم التعارف بينهما لأول مرة .سلطة الطحينة لها طعم آخر عن سلطة طحينة عم ضرغام .هل مصاحبة سلطة الطحينة للكياب والكفتة يكسبها طعما آخر يناسب هذه الصحبة ؟ أم أن تناول الطعام مع مرام أكسب الطعام طعم الحب . حتى المطر المنهمر فى صحبة مرام كان مطرا مختلفا .أكسب الهواء نقاء من نقائها والانتعاش فى رفقته .ليس هذا هو المطر الذى ينزل عنده فى البلد فينقلب البلد إلى حوسة ولوصة من المزالق .لم يكن يدري د . هانى آنذاك أن عين الحب عن كل عيب كليلة .



حوار حول النيل

قبل أن تتحرك الباخرة في هدوء تمخر عباب النيل أقبل عليهما إبراهيم أبو النجا يلهث. قال وقد سقط عليه ضوء القمر من النافذة المطلة على النيل:

- كادت تضيق علي فرصة دعوتكما على العشاء في هذه الليلة الشاعرية تحت ضوء القمر.

وعلق عبدالرحيم قائلا:

- كدت تهرب منها.

وأضاف د. هاني بجدية:

- بدأنا بالفعل بحصر ما معنا من نقود تحسبا لما قد يحدث.

وعقب إبراهيم بجدية:

- لا تفسدوا الليلة بحديث عبثي. أولا جئتم ووجدتم المائدة

محجوزة باسمنا. أنواع السمك المحبب ستقدم إليكم حالا

القاروص الصينية لعبدالرحيم وسمك موسى للدكتور هاني. أما

العبد لله سأطفال تطفلا رفيقا رحيما بكم حاخذ من كل طبق

قطعة صغيرة وأقدم لكم بدلا منها بضعة سمكات من سمك

البربوني والجمبري الجامبو. فيه طبق أرز واحد وطبقين شوربة

يتوزعوا على ثلاثتنا. كله مدفوع الثمن مقدما. ناكل جميعا بالهناء

والشفاء.

أخذت السفينة سندباد تتهادي على صفحة النيل فتدفع عن يمينها

ويسارها بموجات رقيقة ترتمي على الشاطئين في حنين وتشوق. سلب النيل

السماء بدرها وذاب نوره الفضي في لجته يعوم. تحيي ماؤه بأمر الله واديا خصيبا حفيا بالأشجار والأرواح. كان عبدالرحيم بين الفينة والأخري تأسره المشاهد وأشباحها وقد طوت تفاصيلها ظلمات الليل إلا من نور البدر إذا ظل من وراء السحب. قاعة الطعام موائدها محجوزة مقدما وتضم الصفوة من المجتمع وتسمع أصوات الشوك والسكاكين في عزف جماعي متناسق فالعازفون يعرفون كيف يأكلون وكيف يتعاملون مع أدوات المائدة. صحيح لم تكن هناك بدل ولا فساتين سهرة . الملابس كاجوال سينية. الأحاديث هامسة والابتسامات متبادلة بين المعارف على الموائد المختلفة.

ليس الحال كما هو عند الحاج ضرغام عندما ينغم الطلب الجرسون وينادي : عندك واحد كهرمان للمعلم منصور ملك المعلمين .. المعلمين بالقوي .. ومعاهم فحلين بصل. القاعة غير القاعدة على ترابيزة على الرصيف... الجرسونات فيها تحسبهم بملابسهم السوداء والقمصان البيضاء والبايونة الحمراء انهم ذاهبون لقضاء سهرة أو للمشاركة في حفلات السفارات وربما متوجهون لاعتمادهم سفراء. يمكن الفارق الثاني بين الجرسون عند المعلم ضرغام والجرسونات هنا على المركب العائم إن الجرسون هنا يقدم شورية سمك فيها جمبري وكاليماري وفواكه البحر واللى يبشرها في الغالب باشاوات أو هكذا يدعون أما الجرسون عند المعلم ضرغام لافف فوطة على وسطه ويقدم شوية عدس سخنين في طبق صاج للغلبة الشقيانين. شرعوا يتناولون السمك بشهية في صمت وخشوع وربما ضاعفت الحاجة إلى الصمت حديث النيل والطبيعة الخلابة من حولهم. قطع إبراهيم حبل الصمت قائلا:

- في أيه ؟ ساكتين ليه ؟ لا داعي للقلق ... والله ما حتدفعوا الحساب. واللّا جرعة الفوسفور بنجّتكوا ؟ يمكن النيل والبدر سحروكم ... جايّز. ويمكن ما آك عليه حال النيل يبكي ويدفن في قلوبنا حسرة.. مش كده يا عبدالرحيم ؟
- ده كده وأبو كده كمان.

لم يعجب ده هاني رد عبد الرحيم غير المحدد فقطع عليه عبدالرحيم الطريق
قائلا :

- حال النيل يبكي ... في القلب غصة وفي العقل حيرة أمر القائمين على شئون النيل مريب. بدءا من رئيس الجمهورية وانتهاء بالعاملين في وزارة الري.

وعاد د. هاني الى المشهد قائلا بتعجب :

- بس ؟!! طيب نسيت ليه إللي ردم مساحات من حرم النيل. طيب أيه رأيك في إللي لوّث مياة النيل بصرف المصانع. يا ريتك ما تنسي إللي ساب ورد النيل يسد المجرى المائي ويستهلك كمية كبيرة من المية.

وتساءل إبراهيم في دهشة :

- تفتكروا أحمد شوقي أمير الشعراء كان ح ينظم قصيدة النيل العظيمة والنيل ده حاله ؟! واللّا حافظ بيه إبراهيم كان يقبل لقب شاعر النيل والنيل يرثي لحاله ؟

وأضاف عبدالرحيم معاتبا:

- لما أهل مصر هان عليهم النيل ... النيل هان عليه أهل مصر. بلاد المنابع بتدل وتغز ماء النيل على أهل مصر. الماء متدفق منذ

آلاف السنين من عليا الجنان... الأمطار تتساقط علي جبال دول
المنبع فتصنع البحيرات وتشق الصخور - بأمر الله - وتنساب في
الوديان جداولاً لتصل إلينا متحدة في شريان واحد فيقبلها
الوادي براحتيه عميمة تتدفق.

ضرب عبدالرحيم بكفه بانفعال لا إرادي على طاولة الطعام فتراقصت
الأكواب كالسكارى وكادت تترنح وقال محذراً:

- شوفوا وصل بينا الإهمال لحد فين. يمكن - لا قدر الله- يبجي علينا
يوم تبقى فيه قطرة الميه أغلى من نقطة الدم.

وتدخل د. هاني في الحوار مداعبا عبدالرحيم:

- يا راجل إشرب لك شوية ميه قبل ما تغلى. والله أجبها معدنية من

آخر الدنيا ما دام إبراهيم إللي حيدفع.

تلاشت الجدية من على وجه عبدالرحيم وقال مبتسماً:

- قدها وقدود يا د. هاني ما دام إبراهيم إللي حيدفع.

وأكد إبراهيم على أن السمك عاوز ميه عشان يعوم حتى لو أكلناه في
وسط النيل. سادت لحظات تأمل وتدبر. نظر عبدالرحيم حوله فوجد
الناس يأكلون بشهية ويتهايمسون في أمور معظمها تافه فيما يتناقلون
الشائعات في عالم الفنانات وإما أخبار الكورة وإما في أحسن الأحوال عالم
الموضة. خبط عبدالرحيم بيده لا إرادياً قائلاً:

- حصتنا في ماء النيل محفوفة بالمخاطر. إدّينا ظهرنا لأفريقيا فدول

المنبع إدّيتنا ظهرها. سد النهضة من شأنه تعريض مصر لفترات
جفاف.

وتساءل إبراهيم:

- في أيه يا عبدالرحيم ؟ يا راجل خضتني .
- عالم تحكمه المصالح .

قال د. هاني :

- وأيه الجديد في كده . الظاهر إن مقولة إن "إسرائيل تحاصر مصر من الجنوب" على ما يبدو أصبحت حقيقة .
- وأكد إبراهيم على ما قاله د. هاني بقوله :
- المصادر تشير على أن نتניהو أكد في رسائله إلى رؤساء دول منابع النيل أن إسرائيل دولة صديقة لهم وتقيم لهم المشروعات الزراعية والاقتصادية بعكس مصر التي تستولي على مياه النيل منهم .
- وعبر عبدالرحيم عن غضبه على موقف نتניהو بقوله :
- صحيح عالم تحكمه المصالح بس مش بالتانة ده .
- وعلق د. هاني بقوله ساخرا :
- ما هو له من اسمه نصيب !
- وعقب إبراهيم قائلا في جدية :
- سيبك من التانة وخلينا نشوف ما سوف تسفر عنه الاتفاقية الإطارية من نتائج . انقسام دول حوض النيل إلى معسكرين، الأول يضم دولتي الممر (السودان) والمصب (مصر)، أما الثاني فيضم دول المنبع وهي إثيوبيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا ورواندا وبوروندي واريتريا .
- وأضاف عبد الرحيم بازدرء :

- الوضع الجديد ده يعني وضع كل من السودان ومصر الدولتين العربيتين أمام معسكر أفريقي قوي، يرفض الاعتراف باتفاقيتي توزيع مياه النيل الأولى عام 1929، والثانية عام 1959 واستطرد إبراهيم قائلا :

- المشكلة ان التصويت أصبح بالأغلبية بدلا من الإجماع زي ما كانت الاتفاقات السابقة بتنص. يعني إعادة توزيع حصص المياه بما يحرم مصر خاصة من شريان حياتها الرئيسي، فأني تعديل في حصة مصر يعني ضرب قطاع الزراعة فيها الذي يعيش عليه ملايين الفلاحين.

وأضاف قائلا وهو حزين لما آل عليه الحال :

- أن اعتماد مبدأ التصويت بالأغلبية سيلغي البند المتعلق بضرورة إخطار مصر والسودان بشكل مسبق بأي مشروعات سدود على نهر النيل، مما قد يطلق يد دول المنبع لتحويل مياه النيل وتقليص كميات المياه إلي جانيه إلى مصر والسودان. وعلق أحد الجالسين بالطاولة المجاورة لهم وقد أزعجته ما يمكن أن تنتهي إليه الأمور، قال سمعت شكواكم ففقدت شهيتي علي أكل السمك وما الحل يا سادة يا كرام . قال د. هاني:

- الحل ضرورة إيجاد حلول دبلوماسية قائمة على المصالح المشتركة. إفريقيا عانت كثيرا من إهمال كبير من الجانب المصري، وهو ما سحب من رصيد مصر.

وأضاف الأستاذ إبراهيم قائلا :

- وده خلّى الأستاذ هيكل يدعو إلى "أن النيل مصلحة مشتركة" .
وهو ما يستدعي التخلي عن سياسات الغطسة والإقصاء
والاستعلاء التي تميّزت بها اتفاقيات وبرامج ومواقف مصر
والسودان حول نهر النيل منذ أن وقّعا منفردين على اتفاقية مياه
النيل عام 1959.

وسادت لحظات صمت ريبا للاستيعاب وربما لهضم ما قيل وما تم أكله
وخرج عنه رجل أسود الجبهة غالبا من دول منابع النيل وتساءل بأدب جم:
- من المؤكد أن مصر ليست ضد أي مستقبل أو تنمية لأي شعب
إفريقي، وخصوصا دول المنبع.

وأجاب الأستاذ عبدالرحيم بابتسامة عريضة وقد انتهى لتوه من طعامه
وشرع في تناول الحلو:

- بالتأكيد . ومن المؤكد أن ليس من حرية دول منابع نهر النيل أن
يضرّوا مصر . مخاطر بناء سد النهضة مهولة . ربما أقلها نقص حصّة
مصر من مياه النيل التي لنا فيها اتفاقيات تكفلها .

وعلق شاب آخر يجلس على مائدة الرجل الذي ينتمي إلى إحدى دول المنبع
غالبا :

- يا سيدي الفاضل .. سدّ النهضة سوف يساعد الشعب الإثيوبي
على الخروج من حالة الجوع والعطش والظلام والفقر والبؤس التي
يعيشها منذ آلاف السنين .

وعقب د. هاني قائلا بجديّة :

- في مخاطر حقيقية من بناء سد النهضة بإثيوبيا .

واسترسل قائلا محذرا :

- الخبراء يحذرون من أنه سيؤدى إلى تعميق الفالق الأرضي الموجود،
مما سينتج عنه انفصال القرن الإفريقي عن القارة بشكل تام . وربما
أدى هذا إلى خلل في توازن القارة الأفريقية والأسيوية . ويا عالم ما
سوف يسفر عنه هذا الخلل من تداعيات .

وانتهى الأستاذ إبراهيم إلى القول :

- كده اصبح مشروع ربط نهر الكونغو ونهر النيل مشروع أمن قومي
لا يحتمل التأجيل .

وأردف قائلاً وهو يمزح :

- يا باشا كل واتهنى وما تشغلش بالك وعلى أية تستنى .

وصاح أحد الشباب من طاولة قريبة :

- سيبوا مشكلة النيل على الشباب زي ما خلصوكم من حسني
ومرسى في ثورتين حنصالح الشعوب إلى زعلانة مننا حبتين ..
يرجعولنا ميّتنا وعليها كمان شويتين .



نبيلة هانم

نشأت نبيلة هانم الدجوي في عائلة من عائلات الطبقة المتوسطة المصرية. كان والدها يعمل في إحدى الإدارات القانونية في بنك تجاري. كانت نبيلة تعمل في مكتب للإستشارات القانونية في المبنى الذي يعمل فيه عبدالرحيم. سيدة ليس لها مرتبة متقدمة بين السيدات الجميلات ولكن لها جاذبية تشدك إليها شداً.. لها أناقتها التي تحرص عليها وهي غير غافلة عن كون زوجها فناناً.

إمرأة ذكية ترى في الزواج رباطاً مقدساً يستحق أن تبذل كل ما عندها من ملكات من أجل نجاحه. أدركت بذكائها أنها تعيش مع رجل قانون وفنان من ساسه لرأسه.. فحرصت أن تهنيء الجو العائلي الهادئ لزوجها عبدالرحيم. وتعلم أن الفنان يعشق الحرية ليحلق في آفاق الفن الفسيحة وتعلم أن الرجل يضيق ذرعاً بتضييق الخناق عليه.. وتدرك بوعي أن معظم الرجال إن لم يكن كلهم يستمتعون بأيام العزوبة ويعتبرونها رمزاً للانطلاق والحرية فإذا شعر الرجل أن الزواج قد يحد من هذه الحرية ربما أعاد النظر في استمرار هذا الرباط المقدس - وهي حريصة عليه. أحب عبدالرحيم البيت لأن فيه نبيلة.. يحرص على العودة إلى بيته لأن نبيلة كرسَتْ حياتها لسعادته.. فعاشت حياتها سعيدة. فلم يخالجها شك فيه ولا غيره لأنها ملكت عليه حياته وملأتها، فعاش لها ومعها ومن أجلها.

أخذت عن والديها ما يطمح فيه كل رجل وهو إضفاء السكينة على جو البيت. تري في زوجها الرجل المحب الجدير بتقديرها. عرفت عنه كل ما

يجب فحرصت على توفيره..كسبت رضائه فأصبحت كل شيء.أحبت ما يحبه فأحبها وما تحب .

مسح عبد الرحيم بمنديله القطني على وجهه لعله يطوى صفحة من علاقاته مع د. هاني جالت بخاطره وهو يرجو أن يسمع شيئا عن صديقه. وتعجب لحال ذاكرة الإنسان تستدعي ما تشاء من أحداث وقتما تشاء وتستعرض ما جرى في ثوان معدودات. و بينما عبدالرحيم غارق في بحر الذكريات والتأملات والتكهّنات رن الموبايل فتلقى المكالمة بلهفة ولكنها كانت مكالمة تستفسر عن نادي الشمس. أجاب باقتضاب :

- الرقم غلط.

- غلط إزاي ؟ هو أنا قلت حاجه عشان تقول لى إن الرقم غلط ..

أغلق عبدالرحيم المكالمة غاضبا. وبدأ اليأس يتسرب إلى أعماقه.استسلم لدائرة القلق والحيرة التي تحمل له الصور والاحتمالات السوداء. عاد إلى البيت متأخرا عن مواعده على غير العادة يحمل على كتفيه أعباء يعرف أبعادها وحده ربما تشكل نقطة تحول في حياته وحياة إبراهيم أبو النجا ولكنها ستكون نقطة تحول مدمرة في حياة د.هاني لمدى لا يعرفه إلا الله سبحانه وتعالى.استقبلته رفيقة حياته نبيلة وابنها حسام بكلمات رقيقة عبرا عن قلقهما دون أي لوم. ألقى بنفسه على أقرب فوتييه في الأنتريه.جمع من الإرهاق بصعوبة جملة أو جملتين:

- دواء الضغط يا نبيلة. مش عاوز أسئلة.

انطلقت نبيلة إلى غرفة النوم بسرعة وظل حسام واقفا يتطلع إلى أبيه محاولا قدر المستطاع إخفاء قلقه وجزعه. أتت تحمل إليه حبة الضغط وكوب الماء

ولكنه كان مستغرقا في النوم بدأه بشخير مرتفع سرعان ما استقر هادئا بعد أن عدلت نبيلة وحسام من وضع عبدالرحيم على الفتوييه. أدار ابنه حسام التكيف. تركا الصالة ودخلا غرفة رب البيت. ابتسمت نبيلة وقالت بعفوية ما رددته كثيرا مع نفسها كلما همت لترتيب الغرفة :

- الغرفة زى عش الحداية ... مهما أرتبها، تضرب تقلب
- بابا قانوني وفنان وكاتب ومترجم ...دايرة معارف متحركة ...
- رغم الدربة ده يمد إيده يحيب إللي عاوزه .
- ما أنا حبيته عشان فنان. كله يهون علشان فنه.

- بتشتكي ؟

- أبدا. وهو في أول الطريق - لما تنتشر له مقالة واللآ قصة قصيرة كانت الفرحة تنتط في عنيه ولا يهدأ له بال إلآ لما أقرأها وأثني عليها رغم أنا إللي كاتبه له المقالة واللآ القصة على الآلة الكاتبة. ما هو ماكانش في وورد ولا لاب توب ولا الحاجات إللي تعلمناها على كبر.

- مال بابا النهارده يا أمي ؟

- مش عارفه ... ده مش عبدالرحيم إللي أنا عارفاه ... فيه حاجة شغللاه.

- أنا قلقان عليه

رد عليه عبدالرحيم وهو في طريقه إلى غرفته بعد ما أفاق من غفوته التي استغرقت وقتا قصيرا انشغلت نبيلة في أثنائها في إعادة ترتيب الغرفة من جديد :

- ماتقلقش يا ولد. كله خير إنشاء الله. كده تسيبيني يا نبيلة لحد المغرب

- قلنا نسيك تاخد راحتك

- خير ما عملتي. فين الغدا؟

- هوه في الحقيقة غدا لابس عباية العشا

ضحك عبدالرحيم وعلق حسام قائلا:

- اضحك يا بابا خالي الدنيا تنور حوالينا.

شرعوا في تناول الطعام في صمت كأن على رؤوسهم الطير. كل له شأن يغنيه. تبادلت نبيلة مع حسام نظرات الاستفهام دونما أي تعليق. فرغوا من الطعام وانسحب كل واحد منهم في سكون إلى غرفته.



وجدتها..وجدتها

لم ينم عبدالرحيم قنديل نوما منتظما هادئا، ذهب إلى الحمام أكثر من مرة ليتبول من تأثير حبة الضغط. وفي نوبة من نوبات اليقظة والانتباه أسند ظهره على رأس السرير وراح يستعرض يوما لا ينساه طالما أن النوم قد راح من عينيه.

في صباح الإثنين 25 من ديسمبر 2006 رن تليفون البيت حوالى الساعة الثامنة صباحا رفع الساعة وسمع صوت د. هانى نبراته سعيدة فرحة قال مسرورا:

- أرجو ألا أكون قد أزعجتك
- ازعجتني خلاص. خير يا د. هانى؟
- كل خير. أنا عارف وحاسس انك حتفرح لي عشان كده أنت أول من اتصلت بيه. يا ريت نقدر نتقابل في فندق شيراتون هيليوبوليس بعد ساعة ونفطر مع إبراهيم أبوالنجا و الدكتور مجدى مهران.

- حاضر

عبد الرحيم يكبر د. هانى بنحو عشر سنوات. د. هانى مواليد (1952) ويأنس د. هانى لعبدالرحيم ويطمئن له في كل ما يستشير. وكثيرا ما كان يصفه بأنه أخوه الأكبر سنا ومقاما. هناك ألفة بينهما رغم اختلافات جذرية في الفكر عبدالرحيم خريج حقوق و د. هانى خريج طب. عبدالرحيم

سليل عائلة قانونية عريقة و والدكتور هاني سليل أسرة عريقة في الفلاحة ولا يجمعها سوى منهجية التفكير والصدقة النقية المجردة من الأغراض. درس عبدالرحيم القانون حيث ألقى به مجموعه في الثانوية العامة. كان يهوى مادة الكيمياء وتمنى أن يلتحق بكلية الصيدلة ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه. كان التحول من الدراسة العلمية إلى الدراسة الأدبية تحولا كبيرا وهائلا. ولكن سرعان ما اندمج في دراسة القانون وبرع فيه. شخصية تجمع من المتناقضات ما يجعلها مثيرة للعجب. نال كحكه حمراء في الرسم في الصف الثاني الابتدائي وهو الآن عضو عامل في نقابة الفنانين التشكيليين. رسب في مادة اللغة العربية في الصف الأول الثانوي وهو الآن من المحامين البارعين في القانون... وهو كاتب له قلمه المميز.

لم يتقابل مع مهنة الصيدلة التي كان يطمح العمل فيها صيدلانيا وإنما يعمل مدير الشؤون القانونية لشركة أدوية. والتقى نبيلة زوجته مصادفة في مكتب استشارات قانونية في البناية التي فيها مقر عمله. تكرر لقاءهما عرضا أمام باب مكتب عملهما. بدأت المصادفة تستوقفهما باستغراب.. ثم بابتسامة ترحيب وتحية الصباح. بدأ يتتابه الشعور بالضيق إذا لقاء المصادفة تعطل. وكان يتتابه القلق إذا لم تصادفه صباحا بل يغلب على يومها المزاج المعتل. حرصت على لقاء انتهاء العمل عندما لا تلقاه صباحا. أصبح لقاء الصباح بمثابة إصطباحية للحب فتتنش الفؤاد بالأمل والتفاؤل كأنها جرة مخدرة تعينهما صبرا حتي تنطق القلوب بما تهوى.

لم تكن جريئة فتصارحه بما يشتعل في قلبها من حب فريد وهي تعلم علم اليقين من غريزتها الأنثوية أنه يهيم بها شوقا .. فنظراته لا تفارقها عند اللقاء وإن تعطلت لغة الكلام. تسافر في عينيه لحظات قليلة تنتقل بها وعلى

رموشه إلى شيطان الحب في كل الدنيا. لم يعد يقوى على البعاد. فقد المقاومة فتخلي عن حرية العزوبة ليدخل طائعا مختارا القفص الذهبي. التقى والدها ووالدتها وتم الزواج في غضون شهر. فلم يكن أي منهما في حاجة لمعرفة الطرف الآخر.

التقى الرباعي إبراهيم أبو النجا والدكتور مجدي مهران وعبد الرحيم والدكتور هاني في اللوبي ودخلوا سويا في القاعة الشرقية وجلسوا في ركن بعيد عن الناس. سأله كبيرهم إبراهيم بجدي:

- ماذا وراءك يا د. هاني

- وجدتها... والله وجدتها

سأله د. مجدي:

- انت حتعملي فيها أرشميدس وتقولي وجدتها

- والله وجدتها

أعاد عبد الرحيم السؤال مرة أخرى على د. هاني:

- عرفنا واناكدنا وأمنا إنك لقيتها. طيب هي مين ؟

- مرام ... مرام لقيتها بعد 25 سنة

وعلق د. مجدي معاتبا:

- تاني مرام ؟! ما حرمتش ! ؟

وتساءل إبراهيم:

- مادام فيه تاني يبقى في أولا. نبتدي من بداية الحكاية مش كده

واللا أيه؟

قال د. هاني متسائلا وعينيه تقفز منها السعادة:

- ثاني وتالت كمان يا د. مجدي ... في أيه في الدنيا أجمل واللا أروع
من اجتماع الحب مع تحقيق هدف شايغه هناك بعيد بس مش
قادر أطوله. الحب هو مرام ... والغاية هي مرام. عارفين واللا
مش عارفين ... لما قلبك يتتعش من جديد ... لما قلبك يرجع يدق
من ثاني، لما عينك ما تشوفش في كل إللي حواليك طوال السنين
إللي فاتت إلّا هي. هي ده مرام.

وعقب د. مجدي قائلا:

- عارفين كم الإهانات والغلطسة والتعالي إللي اتعرضنا له لما
تخرجنا في كلية بيقولوا عليها كلية من كليات القمة ورايحين
نطلب أيد زميلتنا مرام ست الحسن والجمال. كنا فاكرين
إننا مسكنا القمر بأيدينا بس نسينا في نشوة النجاح والبالطو
الأبيض إن رجلينا في الهوى متعلقه فوق فوق عند القمر مش
طايله الأرض ... الواقع ... الحقيقة. اسمحوالي أن أنقل صورة
تفصيلية لم ولن تفارق مخيلتي.

حاول د. هاني أن يثني د. مجدي عما ينوي أن يسرده ربما لأنه تاريخ ولى
وانصرم ... وربما لأنه لا يريد أن يفسد فرحته وسعادته ... وربما لا يريد
تشويه صورة مرام أمام رفاقه خاصة أنها بطاقة التعارف الأولى معهم.
تبادل إبراهيم وعبدالرحيم نظرات استفهام وتعجب. وقال عبد الرحيم
في سخرية:

- الظاهر والله أعلم ياما في الجراب يا حاوي.

واستطرد إبراهيم قائلا :

- الحكاية حطول ... ده مش قاعدة شاي وكيك. المسألة أكبر بكثير... باين إنها داخله على غدا.

ران صمت عميق في القاعة الشرقية. الوقت مبكر. والرواد لم يهّلوا بعد. تلفت عبدالرحيم حوله لم يكن في القاعة سواهم وسيدة تجلس على طاولة بعيدة عنهم تتناول فطورها بعدم اكتراث. القاعة تضم مجموعة من اللوحات التجريدية المستوحاة من لوحات الفن الإسلامي في بلاد الفرس ولا سيما الرسومات المزدان بها شعرشاعر الفرس العظيم عمر الخيام. نجفة ضخمة رائعة تتدلى وسط القاعة تحرسها ثمان نجفات أصغر حجما من طراز النجفة الأم. كل طاولة عليها فارة كريستال بها اما ورد بلدي أحمر وإما بضعة أعواد من زهرة القرنفل الأبيض. قطع د. مجدي السكون قائلا :

- التحقنا بكلية الطب 1970 هاني كان من أوائل محافظة الغربية كنت أنا و نادر من المتقدمين على مستوى المحافظة. كنا عارفين بعض من امتحان الشهادة الابتدائية. والذي كان عمدة بلد في ربحهم. سامي ابن دكتور مشهور في سمنود. واستكمل د. هاني الصورة قائلا باعتزاز:

- والذي فلاح دهس الأرض وخدمها ورواها بدمه وعرقه...إدالها صحته وعافيته وعمره.ماقصرش معها أبدا، وهي ما خذلتهاوش أبدا...أبدا.ما هي الأرض تديّلها تديّلك .

التقط أنفاسه ونادى على الجرسون وطلب منه أن يسأل الباشوات طلباتهم. مرت لحظات استجمع خلالها الصورة الرابضة في ذاكرته منذ أن

كان طفلا صغيرا ووالده يعمل أجيرا لدى أحد ملاك الأراضي الزراعية.
قال وقد ارتسمت ملامح الجدية على وجهه:

- الفيضان لما كان يبيحي ثقيل كان ييكسر الترع والجسور والمية
تغرق الزرع. ساعات كانت إللي بتعمله وزارة الري من
استعدادات مش كفاية. يعمل أبه الفلاح إللي حيضيع شقاه ورزقه
ورزق أولاده ... يعلي الجسر والميه تزيج الجسر والتعلية ووالدي
بعافيته يشيل جالوس الطين ويرمم الجسر. العملية مستمرة ليل
ونهار إلى أن يهدأ الفيضان إللي جايب معاه الطمى ليجدد حيوية
الأرض.

سكت ليلتقط أنفأسه. لم يكن بوسع أي من الرفاق أن يعلق. كانوا
مشدوهين استطرد قائلا :

- شفت والدي على رأس أربعة رجال أشداء كلهم مربوطين في
حبل متين بيكافحوا الفيضان. الطين مغطيهم من ساسهم
لراسهم. ده ناس حبت الأرض و الأرض حبتهم.
هرش جبينه بيده لعله يجلي الذاكرة فتأتي بما في جوفها علي طرف اللسان:
- فاكرين صورة محمود المليجي في أفيش فيلم الأرض هي ده
صورة أبويا. يمكن في طبيته وسماحته يكون أقرب لشخصية
الشيخ إبراهيم في فيلم شئ من الخوف.
وعلق عبدالرحيم ضاحكا ليخفف من حدة الموقف:
- أوعي تقول لي إن فؤاده دي أختك ؟

ضحكوا واستقبلوا الطلبات كل على هواه. ولكن استوقفتهم ضحكة تعلن صاحبتهما عن نفسها. استداروا جميعا في اتجاه مصدر الضحكة. كانت هناك سيدتان اثنيقتان. واستفسر إبراهيم كمن يرجع نفسه:

- ألم تكن هناك سيدة واحدة تجلس بمفردها تتناول فطورها لما جينا؟

رد عليه عبدالرحيم قائلا:

- بلا. ولكنهما الآن سيدتان. عندك أي اعتراض؟

واستأذن د. هاني زملاءه في ضمهما الي جلستهم. ذات التاير الأبيض مرام والإيشارب الفيروزي اللون الملتف حول الرقبة وذات التاير الأزرق صديقة عمرها إيناس. سيدتان أقرب إلى القوام الرشيق منه إلى القوام غير المنتظم فلا ترهلات ولا نتوءات. متقاربتان عمرا طولا.. لا يتجاوز طول أي منهما المتر والنصف بكثير. وقبل أن يفيقوا من المفاجأة أشار إليهما د. هاني للإنضمام إليهم.

سيدتان من سيدات المجتمع الراقي ... سيدات الزمن الجميل. منتهى البساطة والأناقة. لا ألوان ولا صبغات ولا أحمر ولا أبيض. الميكياج بسيط تبحث عنه فلا تلحظه. عطر خفيف يصاحبهما. ثقة البيت العريق تفصح عن نفسها في حركتهما وتصرفاتهما. لا حاجة بهما إلى التكلف. قد تضايقت أرستقراطيتهما وليس فيها أي اختلاق. تماما مثلما ما حدث مع البرنس أحمد مظهر في فيلم الأيدي الناعمة. عندما مثل شخصية برنس في مسابقة للتمثيل. السيدتان تجاوزتا العقد الخامس من عمرهما بقليل. لم تحشدا الكريبات على وجهيهما. فهما ليستا بحاجة لإخفاء أي شيء.

سحب د. هاني كرسيا لمرام في الوقت الذي سحب د. مجدي كرسيا للسيدة إيناس. وقبل أن تجلسا منحتا الرفاق ابتسامة مشرقة تصاحبها تحية الصباح. قالت مرام بصوت رقيق:

- أسمعكم منذ البداية ولأنني طرف في الواقعة الحاسمة التي أدت إلى إنفصالنا رغم تأكدنا من حبنا دعوني أدعوكم الى مسرح موقعة الانفصال ليكون هو بنفسه مسرح عودة الحب إلى مجراه الطبيعي. إيناس كانت معايا في ذلك اليوم. وحتكي لكم جوانب ما يعرفهاش حد غير إللي كانوا في البيت.

وأضافت إيناس بوضوح أن المعلومات التي خرج بها د. هاني والدكتور مجدي مبتورة عن السياق الذي حدثت فيه. فهما لم يعرفا شيئا عما جرى قبل اللقاء وبعده.

أسفر ظهور مرام وإيناس المفاجئ عن ارتباك في المشهد زاد من تعقيده دعوة مرام للمجموعة وهي تلتقي بهم لأول مرة فيما عدا زميلها د. مجدي. كان من الممكن أن يرفضوا ولكن إمكانية الرفض سلبها منهم د. هاني بدفع الحساب ودعوته مجددا بالتوجه معه الى مسرح انهيار الحب وانتصاره. حاول د. مجدي الاعتذار عن عدم رغبته في مواصلة المشوار وقال صراحة:

- لا أستطيع تحمل إهانة واحدة بعد الآن. هاني هذا شأنه.

وأكدت مرام على أنه لن تكون إهانات من أي نوع وإنما الاعتذر لكما بصفة مبدئية عما حدث في نفس المكان. شاء عبدالرحيم أن يعتذر إلا أن مرام رجته قائلة كيف لا تحضر محاولة ترضية أخيك الصغير. أجابها عبدالرحيم مؤكدا:

- أن الأمر في حاجة إلى موافقة عميدنا الأستاذ إبراهيم أبو النجا. فهو كبيرنا... نأتمر بأمره - فهو المرشد وله عندنا السمع والطاعة.

غير أن إيناس لم تمهله فرصة للتفكير أو الرد، قالت:

- الأستاذ إبراهيم أبو النجا حاضر عتنا في محكمة الحب، إحنا وکلناه وهو عمره ما یخذل السيدات.

تساءل إبراهيم موجهًا كلامه إلى إيناس:

- على حد علمي، سمعت عن قاضي الغرام، ولم أسمع عن محامي الغرام... ومع ذلك، أنا حاضر في خدمة الحب.

اتصل كل من إبراهيم وعبدالرحيم و د. مجدي بزواجهم للاعتذار عن التأخير عن الغداء. واقترح عبدالرحيم على زوجته الحضور والمشاركة إن شاءت وقد وضح سبب التأخير وأعلن ذلك صراحة وإن لم يؤكد صراحة أن زوجته وافقت للانضمام لهذا اللفیف الکریم. وعندما تلقت مرام اقتراح عبدالرحيم رحبت به واقترحت أن تقوم بنفسها بدعوتهم للمشاركة معهم. انضم إبراهيم بالموافقة على دعوة زوجته ولم يوافق د. مجدي بدعوي أن زوجته تعلم كل شيء منه لأنه لا يخفي شيئًا عنها. حاولت نبيلة الاعتذار ولكنها أخفقت أما زوجة إبراهيم فقد أصرت على الاعتذار لأنها تفضل ألا تكون طرفًا في الاجتماع.

انطلقت أربع سيارات من أمام فندق الشيراتون متوجهة إلى بيت عبدالرحيم. وجدوا نبيلة في انتظارهم ترتدي بنطلون كحلي وبلوفر أخضر زرعي وعقد من اللؤلؤ وتمسك بيدها حقيبة بلون البنطلون. انضمت نبيلة إلى سيارة مرام وإيناس.

وصل ركب السيارات إلى قصر المنى بجاردن سيتي. قصر ضخم من قصور أواخر القرن التاسع عشر تحيط به حديقة واسعة غناء حافلة بأنواع من أشجار الفاكهة المختلفة. أربعة أعمدة من الطراز الروماني تحمل شرفة واسعة ويمر من تحتها ممر للسيارات وفي الوسط مدخل القصر. باب حديدي عملاق من أربع ضلف واحدة منها من كل جانب مثبتة من الداخل بترابيس ضخمة فراغات الباب مشغولة بكريتال من الحديد على هيئة أغصان أشجار محملة بأوراق نباتية متناسقة. المدخل يعلو على مستوى الأرض نحو المتر وهو من الرخام الأبيض. وتؤدي إليه مجموعة من الدرجات. على جانبي المدخل ممر منحدر للسيارات. جراج لسيارات ثلاث عن يمين ويسار المدخل.

وحالما وقفت سيارة مرام أمام المدخل انفتح الباب وكشف عن ردهة واسعة تتوسطها سجادة عجمي فاخرة قديمة وعن كل جانب صالونان مذهبان تتوسطهما طاولة يغطي سطحها رخام أسود معرق بعروق من الذهب. خمس نجفات فاخرات من الكريستال البوهيمي تتلى من السقف. تفتح الردهة على غرفتين عن كل جانب بينهما باب جرار من الخشب الماهوجني الصلب.

دخل الجميع إلى الردهة وسط ترحيب مرام. وكالعادة اجتمعت نبيلة وإيناس ومرام في أحد الصالونات واثلف عقد الرجال في صالون آخر: إبراهيم أبوالنجا وعبدالرحيم قنديل و د. مجدي مهران و د. هاني عبد الفتاح.

استهلت مرام الكلام قائلة:

- هذه الجلسة هي اعتذار مني واجب للزميلين هاني ومجدي لما بدر من والدي وأمي وأخي الله يرحمهم... أخطأوا في حقهما ولا ذنب لهما. بالنسبة لي ظنوا أنهم يحسنون الاختيار لي بس الأيام اثبتت لهم وهم على قيد الحياة أنهم ظلموني بفرض رأيهم. أنا لا أملك إلا أن أطلب الرحمة لهم جميعا.

لم تستطع مرام أن تحبس دموعها فانهمرت. وأضافت إيناس:

- بعد حياة فاشلة لمرام من زواج أقرب إلى عقود المقاولات لإنجاز مهمة الزواج. ماتت أمها طنط صافيدل حزنا على بنتها الوحيدة وقرة عينها.

توقفت لحظة عن الكلام لتمسح دموعها واستطردت قائلة:

- أخوها شريف طلب إيدي واعتذرت رغم صداقتي للعائلة. مرة أخرى تزوج شريف زواج مصالح انتهى بالطلاق. مرة وراء مرة انتهى بالفشل. ومات بحسرتة على سوء حظه. كان نفسه يكون له ولد عشان يخلد اسم الباشا بس للأسف ما كانش فيه نصيب. أصيب الباشا والد مرام بالشلل. اعتكفت مرام لخدمته ورعايته. احساسه بالذنب كان يعذبه أكثر مما كان يعذبه عجزه عن الحركة.

وتنهدت مرام وقالت وهي تبكي:

- تخيلوا الباشا ابن الباشاوات إلى ما يعرفش يعتذر كنت بشوف الاعتذار في عينه. كنت بأقول له خلاص يا باشا أنا مش زعلانة. وفي يوم شد حيله وطلب مني أسامحه وقلت له: والله والله والله مسامحك من زمان. يومها عرفت إن بابا على عتبة النهاية. لقي ربه

في يوم الجمعة السادس من سبتمبر 1985 عن عمر يناهز التسعين عاما. حمدت الله على نهاية رحلته مع عذاب الضمير.
بعد لحظات من الترحم على والد مرام ساد صمت مهيب قطعه إبراهيم قائلا:

- ربما تتفقون معي في الرأي والدك يا مدام مرام لم يخطئ في قراره ومن الظلم أن نخضع الرأي للتقييم بعد رؤية النتائج. الوالد لم يتزوج عن حب وعاش مع الوالدة حياة تنفيذ عقد مقاولات زي ما سمته صديقتك إيناس. لحسن الحظ الطرفان نفذوا العقد بشرف وأمانة فنتج عنه ألفة عاشا في رحابها. وطن ان الأمور في الزواج تسير على هذا المنوال.

وأضاف عبدالرحيم قائلا:

- في زمن الوالد كان الزواج تزواج بين العائلات. ارتباط بين العائلات عن طريق الخاطبة .. ما هو الحب جاي جاي بعد الجواز، حبروح فين. ما فيش سكة تانية. إحنا عارفين فاقد الشيء لا يعطيه. ما هي البنت ماهاش غير بيتها.

وعقبت نبيلة قائلة:

- مين إللي قال كده. الجواز زي البطيخة أنت وقسمتك يا يطلع الراجل زي سي السيد في رواية نجيب محفوظ "بين القصرين". يا تتطلع الست ملعونة تنكد على الراجل عيشته وتكرهه في الدنيا وما فيها.

وواصلت نبيلة هانم كلامها باندهاش وهي تتجول بنظرها على اللوحات المعلقة على الجدران :

- بالذمة قاعدتكم في وسط لوحات الجدود إللي متعلقة على
الحيطان ده، أكيد حانخلي أعمل بيتكم من أهل زمانهم.
ردت مرام قائلة آسفة:

- ألبيه المحروس جوزي لا كان سي السيد ولا كنت مطينة عيشته.
كان انسان ملوش لازمة. حقيقي انسان ملوش لازمة. عايش مع
الكاس. لا شغلة ولا مشغلة. نايم بالنهار عشان يصحى الليل
يسهر مع الكاس. ما فيش مانع يسهر في الكباريات الي الصبح.
كاس وسكر وعريضة وقمار وراقصات بعيد عن القصر.
تمهلت ثوان قليلة استجمعت فيها ذاكرتها سأروي لكم نموذجاً من
حديث معه قالت.

- في صباح يوم خريفى مشرق يدعو للنشاط سألته : ما بتشتغلش
ليه؟ فرد السؤال بسؤال : واشتغل ليه؟ مش الناس بتشتغل عشان
تكسب فلوس. ماهي الفلوس كتيره .. بس إللي يصرف !! عارفه
يا مرام إحنا ماشيين في مفترق طريقين إنت بتشتغلي ومالكيش في
الكاس وأنا ما بتشتغلش وعاش مع الكاس. الباشا سليل عائلة
باشاوات من إللي الصقر يقف على شواربهم. اطلقنا في هدووووء.
وعلقت نبيلة قائلة:

- أحسنت.

قالت مرام :

- اعتقد جه دور د. مجدي يتفضل يحكي لنا ما حدث في لقائهما مع
والدى يوم الاثنين 5 يناير 1981 :
اعتدل د. مجدي في جلسته وقال كأنها الحدث يجري أمام عينيه :

- دخلنا القصر وجدنا في استقبالنا سفرجي نوبي أرشدنا إلى المكان
إلّي حنجلس فيه. كاد القلق أن يشلنا ... كل الكلام إلّي رتبناه
طار. كفاية تلاقي عيون أجداد مرام الأتراك واللّا الشراكسة
ملاحقاك أينما تنظر. توقعت إلّي حيحصل وكدت أقول لهاني
فضك منها سيرة.

توقف د. مجدي عن الكلام كأنه يبحث تماما في ذاكرته عن العبارة التي
قالها قبل دخول الباشا. آه تذكرت. قلت لهاني :

- يا عمنا فين حصيرة الدوار من سجادة قصر أبو مرام

تسلم د. هاني خيط الأحداث قائلا :

- وجدنا أمامنا باشا بجد مش باشا من بتوع السنيما.. قمنا تلقائيا..

واكتفى بأن أشار إلينا بكفه للجلوس. فجلسنا مشدوهين. تفرس

فينا ونحن مرعوبين. والد د. مرام شخصية لها حضور طاغ.

تلعثم في الكلام معه إن لم تكن على يقين مما تقول. يكفيه أن يحدق

فيك مليا لكي يردك إلى الصدق.

- سأل الباشا من منا هاني ؟

أشرت إليه على نفسي ولم تواتيني الشجاعة أن أنطق بكلمة واحدة. وجدت

نفسي أمام رجل يقف في شموخ واعتزاز.. رجل له هيئته الذاتية ..قامة

طويلة ممتلئة بعض الشيء . شعر رأسه اشتعل الشيب فيه كما اشتعل في

شاربه المذهب المنمق ثم قال بثقة الباشوات:

- ما عنديش وقت أضيعه معاكم. أنت عندك مقدره تعيش بتي في

المستوى إللي انت شايفه قدامك ؟

أجبتة متلعثم وأنا أحاول النفاذ إلى عينيه الرماديتين المائلتين إلى الخضرة:

- أكيد لأ يا باشا. بس...

تساءل في لهجة حاسمة قاطعة :

- بس أيه ؟

- بس إن شاء الله سيكون عندي

وقف الباشا والد مرام بقامته المديدة المهيبة إذانا بانتهاء المقابلة وهو يقول
ساخرا :

- طيب لما تقدر إن شاء الله يبقى عندنا ساعتها بنت للجواز حاليا
ما عندناش (وهو يلوح بيديه لنا بالخروج).

- كله بأوان يا باشا ..

- ده جواز يا ولد مش شروة برتقال.

تساءل الباشا وقد بدأ يتحرك:

- قولتي أنت ابن مين في مصر

- والدي فلاح عنده خمسة فدادين من الإصلاح الزراعي

- فين ؟!

- قرية قرب سمنود غربية

- تلاقيها من أراضينا إللي استولى عليها الإصلاح الزراعي

صادف الباشا وهو في طريقه إلى السلم السفرجي وهو يحمل بعض
المشروبات والحلوي فأمره بغطسة:

- خلاص يا بشير رجع الصينية للأوفيس. الزيارة انتهت.

خرجوا من القصر في ذهول مما عوملا به. شئ لا يصدق عقل. يمكن أن
يكون هذا مقبولا فيما قبل ثورة 23 يوليو 1952 ولكن بالتأكيد هذا غير
مقبول بعد الثورة. وجد هاني نفسه يغني: عمري ما حانسى يوم الاثنين يوم

الباشا. ما فرق بين حبيبين. وغنى مجدي : عمري ما حانسى يوم الاثنين يوم
الباشا ما طردنا احنا الإثنين . وانتابتها موجة من الضحك المستيري . وقال
لمجدي وهو ينعي حبه :

- أنا حقيقي باعتذر للاستاذ عبد الوهاب علي اللخبطة إللي عملتها
في أغنيته الجميلة " عمري ما حانسى يوم الاثنين . بس أنا عارف
حيعذرني ويقدر حالتي . بس حقيقي أنا عاوز طاسة الخضة أشرب
منها وأكل السبع بلحات ، يمكن بعدها تروح الخضة .

بادرت مرام بالاعتذار مرة ثانية مؤكدة أنها دفعت ثمننا غالبا من جرّاء هذا
اللقاء غير اللائق . كما أكدت على أنها وجهت اللوم لوالدها وأمها وأخيها
على موقفهم المخادع . قالت :

- وعدوني بتفهم موقف د. هاني . إحنا عاوزين راجل ... الثروة
والفلوس مش أهم من سعادتك . عارفين التحول إللي جرافي زي
بالضبط لما ترمي أي عملة معدنية وانتي فيها الصورة وفجأة
وبدون مبرر تَمْسَح الصورة وتبقى الكتابة هي إللي فاضله على
الوجهين . كل ما ترمي العملة وترف في الهواء وتنزل تلاقى كتابة .
وتابعت إيناس كلام صديقتها وأكدت على أن عندما عاتبت مرام أمها
طنط صافيديل على موقفها بعد انتهاء المقابلة في حضوري قالت بغرابة
شديدة :

- إنني مؤكد اتجننتي ! عاوزاني أنا بنت الحسب والنسب أوافق علي
جوازك من دكتور ابن فلاح .. هوو هووو ده أبوكي الباشا بيعتنا
إحنا الإثنين للمورستان
وأضافت إيناس قائلة :

- ولما حاولت أتدخل نهرتني بقولها " : إنت يا بنت عاوزة تتجوزي
بقال.. زبال... إنتي حرة. إحنا ناس عندنا أصول. نعرف في
الأصول.

وعقبت نبيلة هانم قائلة:

- وضيعت الأصول بنت الأصول!

وظل السؤال عالقا دون جواب . ربما في وقته كان صحيحا من منطلق عدم
التكافؤ بينهما في الحسب والنسب . ومع ذلك، فقد يكون صاحب النسب
الرفيع لا يساوي عند الله جناح بعوضة، وقد يكون من هو في نظر الناس
وضيع النسب ممن لو أقسم على الله لأبره. ولا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال ذرة من كبر . ولعل في قصة زواج زينب بنت جحش - رضي الله
عنها - مثالا لمحاولة لتحطيم الفوارق الطبقيّة. فقد انطلق رسول الله ﷺ
ليخطب لزيد بن حارثة رضي الله عنه ، فدخل على زينب بنت جحش - رضي الله
عنها- فخطبها، فقالت: لستُ بناكحتك. فقال رسول الله ﷺ : "بَلْ
فَأَنكِحِيهِ". قالت: يا رسول الله، أوامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدّثان، أنزل
الله تعالى قوله على رسوله ﷺ: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا. فقالت رضي الله عنها: رضيته لي يا رسول الله منكحًا؟
قال رسول الله ﷺ: نعم. قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحتك
نفسي.

وبهذه الواقعة أراد النبي ﷺ أن يُحطّم الفوارق الطبقيّة الموروثة في الجماعة
المسلمة، فيردّ الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا
بالتقوى.

البرجولا

دخل بشير الردهة وأعلن أن الغداء تحت البرجولا الكبيرة في الحديقة جاهز. قامت مرام ودعت الجميع للتفضل لتناول الغداء واتجهت إلى باب القصر الذي بادر بشير بفتحه. نزلت مرام درجات السلم وتوجهت إلى اليمين وسارت ومن ورائها الضيوف تحت مجموعة من البرجولات الخشبية التي يتسلق عليها الياسمين واللبلاب وست الحسن والجهنمية ثم تكعية عنب طويلة انتهت إلى ساحة مستديرة مقام على مساحة كبيرة منها برجولا ضخمة مغطاه بقماش القلاع السميك. الجوانب محكمة وأجزاء منها مفتوحة للتهوية ولاستقبال أشعة الشمس بعد فترة الضحى. مائدة واحدة ممتدة لثمانية أفراد. جلست مرام على رأس المائدة ودعت نبيلة لتجلس عن يمينها وتركت إيناس تجلس عن يسارها. جلس عبدالرحيم وإلى جواره د. هاني مواجهها لزوجته بينما كان إبراهيم يجاوره د. مجدي ويواجه إيناس. قالت مرام بعد أن جلس الجميع في أماكنهم:

- أنا حاولت أن أحقق للجميع رغباتهم التي لا أعرفها. هناك عن

اليمين مائدة للمأكولات البحرية وعن اليسار شوايتان واحدة للحوم والأخرى للفراخ.

سكنت لحظة وأشارت بيديها مرحة وقالت:

- اتفضلوا

قام سفرجيان على خدمة الضيوف ويشرف عليهما بشير. دار السفرجي أبو بكر لتقديم حساء كريمة عس الغراب أما السفرجي عثمان فكان يقدم

حساء الأسماك البحرية. وعلقت نبيلة على طاقم السرفيس الذي يأكلون فيه بقولها:

- ده طاقم سينييه، خسارة يتقدم فيه الأكل. ده إللي عنده طبقين واللا تلاته بيحطهم في دولاب الفضية، ويتفشخر بيهم. وأدوات الأكل سيفر كمان ... ما شاء الله. الحاجات ده بتتطلع في المناسبات الكبيرة.

عابت مرام ببشاشة قائلة :

- هو فيه عندي مناسبة أهم من مصالحة مجدي وهاني بعد المقابلة إياها يا نبيلة هانم.

وأكد إبراهيم على قول مرام بقوله :

- إللي قدامنا بياكد كده. قال الأمام الشافعي " : سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا. "
وأخيرا عاد د. هاني وقال متسائلا:

- هي الدنيا من غير حبتتحب ؟ !الحب بسمه تهون علينا الحياة .. بادل الحب لمن يحبك تنعم بحبه وينعم بقربك ..مش كده والّا أيه .

ونظر إلى مرام وقال مبتهجا:

- الحبيبة نعمة جميلة تفرحنا .. الحبيبة وردة جميلة عطرها لا يفارقنا .
- اتصالحنا ؟

- هو إحنا اتخاصمنا يا مرام عشان نتصالح ؟!

صفق الجميع وعلت الوجوه البسمة. وأقبل الضيوف على الأكل بشهية. وعلق إبراهيم أبو النجا قائلا:

- المصالحة ليست في صالح مائدة الطعام وربما تكون في صالح الفاكهة والحلو ؟

- حقيقي مش فاهم يا إبراهيم ؟

- مش فاهم أيه يا عبدالرحيم ؟ ما هي واضحة أكلت كثير ما سبتش مكان للحلو.... النتيجة الحلو حيفضل زي ما هو.

- الحلو يوصل للبيوت يا إبراهيم بيه

- يا ست إيناس ما تورطيش مدام مرام من فضلك.

- يا إبراهيم بيه كل اللي تقول عليه إيناس ماشي

- يعني أطلع منها يا مدام مرام وأخذ الحلو وأنا ماشي

- مؤكد.

بدا على د. مجدي أنه يفكر جديا. سؤال على طرف اللسان لا يترجم إلى حروف منظوقة تشكل معنى في باطنه. تطلع إلى رفاقه وهم يتناولون الحلو : هاني يأكل شريحة تشيز كيك أما نبيلة هانم فأخذت في طبقتها حبه كيوي ... إبراهيم يلتهم شريحة معتبرة من عيش السرايا مغطاة بالقشدة. وانضم عبدالرحيم إلى الفريق الذي يفضل تناول الحلو بعد فترة من تناول الغداء. أخيرا وصلت ترجمة السؤال إلى ذهن د. مجدي:

- الحقيقة أنا شايف أمامي كرم ضيافة. ربما لا مثيل له وده يتناقض

تماما مع موقف الباشا مع بشير لما قالو رجع الصينية للأوفيس..

أكد الكرم ده وارثاه يا مرام عن الوالدة رحمة الله عليها.

تعجب إبراهيم أبو النجا من السؤال لا سيما أن مرام قدمت اعتذارا وإفيا

قائلا :

- يا دكتور وور اتق الله ده إحنا الحلو لسه بناكله. يفرق معاك أيه يا د.
يكون الكرم وارثاه عن أمها أو عن والدها؟ الكرم كرم. واللا أيه
يا عبدالرحيم؟
- أكيد الكرم كرم. كمان لازم د. مجدي ما ينساش حالة التريص
والاستنفار إللي كان عليها الباشا والد مرام. الباشا كان مستني د.
هاني. دكتور مجدي كان فوق البيعة.
- ليه؟!
- ليه أيه يا د. مجدي؟ انتم اقتحمتم قلعة من التقاليد الراسخة
المتوارثة. مفاهيم بتجري في عروق الباشا مجري الدم. لا أنا ولا
أنت نقدر نغيرها ولا نقيمها ولا حتى نفهمها. بص على لوحات
الأجداد تلاقىهم وتلاقي تقاليدهم قاعده معاهم.
- معاك حق يا إبراهيم دايا يفكروهم بالجدية والعناد التركي الي
على أصله. سامع الباشا ده بيقولي أيه: سوس خرسيس أفندي أدب
سيس.
- هكذا أكد عبدالرحيم على توضيح إبراهيم لموقف الباشا وأضاف:
- معذرة لا انت باشا ولا أنا باشا عشان نقدر نحط نفسنا محله.
بكره بعد ثلاثة أو خمسة أجيال حتلاقي مفاهيمنا إللي إحنا بتتكلم
بيها حاليا اتغيرت تماما حسب الطبقة إللي عيلتك بقيت فيها.
- واستطرد عبدالرحيم متسائلا:
- لو بنتك الدكتور جالها الدكتور ابن بياعة الفجل والجرجير إللي
كافحت وتعبت وربيتته راجل مالي هدومه تجوزه بنتك؟!
- لأ طبعاً

هكذا جاءت إجابة د. مجدي عفوية. وعلق إبراهيم مندهشا:

- طيب زعلان ليه ! قدّر موقف الباشا وحرصه على بنته.

وفجرت نبيلة هانم قنبلة وسط سكون العاصفة. مرام مندهشة من مجرى الحوار لأن فيه تبريرا ما لموقف والدها لا سيما مع صمت هاني تماما. كما وجدت إيناس في موقف إبراهيم صواب رأيها لدعوته لمناصرة مرام. قالت نبيلة هانم متسائلة مستنكرة:

- أنا خايفة أن تكونوا ممن يدعون لفكرة الأغنياء يزدادون غنى

والفقراء يزدادون فقرا ؟!

قال إبراهيم مؤكدا على أن باب الغنى أو باب الفقر مفتوح على مصراعيه لاستقبال أثرياء جدد من الفقراء وطرده أثرياء قدامى ممن أهدروا ثرواتهم. وتلك الأيام نداؤها بين الناس. الحركة دخولا وخروجا من باب الغنى أو الفقر مثل لعبة الكراسي الموسيقية.

وأضافت إيناس قائلة:

- الدخول والخروج يتم بهدوء ... لأنه لا يهم غير إللي جرى

عليهم التغيير.. وهم وأهاليهم قلة في المجتمع بس أكيد بيجرى التغيير.

تريش قليلا قبل أن تضيف:

- لا الثراء ولا الفقر له دخل بالأصل. الأصل عراقة... تقاليد ...

موروثات. وده أشياء لا دخل لها بالغنى ولا بالفقر.

وعقب عبدالرحيم مبتسما:

- أحيانا تلاقى واحد لابس بدلة في منتهى الشياكة بس وهو ماشي

عمل زي العربية إللي جاية شاسيه . ملووح... لا هو مستريح في

البدلة ولا البدلة مستريحة معاه.

وعاد إبراهيم يقول وقد أتى على طبق عيش السرايا:

- الأغنياء أنواع فيه غني حرب، وفيه محدث غني، وفيه غني شبع
بعد جوع، وفيه الغني المأصل.

واختتمت نبيلة هانم الكلام بقولها:

- أفهم من كده أن المسألة دورة حياة. قال تعالى: " وتلك الأيام

نداوها بين الناس ". هذه سنة كونية. فالناس في علو وهبوط، وفي

نزول وصعود... وهم في اختبار دائم.

انتهى الحضور من تناول الحلو ودعتهم مرام لتناول الشاي أو القهوة اما في

الصالون المخصص للتدخين داخل القصر واما تحت البرجولا على أن

يتمشى الجميع في أرجاء الحديقة الواسعة ليتسنى لبشير ورفاقه رفع

الصحاف وإعداد المكان لتناول الشاي. سار الضيوف متكاسلين بعد وجبة

فاخرة بين أشجار فاكهة مثمرة وغير مثمرة. وقال د. مجدي موجها كلامه

إلى مرام :

- واضح إنه فيه عناية بالحديقة. ما شاء الله اكتفاء ذاتي من الفاكهة

والخضروات والزهور.

- مش قوي كدة. في أصناف طبعاً بنشتريها من الفكهاني

والخضري. صحيح في شبه اكتفاء ذاتي. و متنساش كلها زراعة

عضوية من غير سماد صناعي. ما هي الأرض أصلها طمي من النيل

تراكم على مر السنين.



شاي في الخمسينة الكريستال

عاد الجميع وكل فرد منهم يمسك بيده إما وردة حمراء وإما صحبة من الفل المجوز. كاسات خمسينة من الكريستال الأول شاي بالنعناع والثاني بالقرنفل والثالث سادة. الأباريق مغطاة بما يكفل احتفاظ الشاي بسخونته. سادت بين الحضور درجة أعلى من الألفة تحققت بالحوارات المتبادلة وتناول الطعام على مائدة واحدة فضلاً عن الصداقة التي تجمع بين أغلبهم - بل إن مرام وإيناس أصبحتا جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجموعة. ربما كان لما يجمعهم من درجة ثقافية وعلمية واحدة ما يسر هذه الدرجة من الائتلاف.

فضل الجميع تناول الشاي بالنعناع الأخضر المقطوف من الحديقة بعد أن غسله بشير. كاسات كريستال مملوءة بالشاي يتدلى بداخلها أعواد من النعناع تدور بين الحاضرين مما أضفى بهجة وسعادة. تخللت جلسة الشاي مكالمة من إبراهيم لزوجته ليطمئن عليها وتطمئن عليه. خرج د. هاني عن صمته الذي ساد معظم الوقت وقال:

- لعلكم تساءلتم ماذا وراء وجدتها... وجدتها. من سنة 1981 وأنا كنت بأجري وراء الزمن أحاول أسبقه واثبت للدنيا أنا الأحق بمرام مهما كان الفرق بين الحصيرة والسجادة العجمي... زي ما قال زميلي د. مجدي. الحكاية احتاجت حوالي ربع قرن من الزمان... مرام في خاطري لا تفارقني. مش حتصدقوا كنت أخلد إلى

نفسى أكلمها. النهارده جت الفرصة إللي انتظرتها العمر كله. أمام
الله وأمامكم بأطلب يد مرام للزواج.

أصيب الجميع بالوجوم. انتابتهم جميعا الحيرة. وعلى النقيض من حماس
وذروة سعادة د. هاني وهو يزف إليهم نبأ اعتزام الزواج من مرام جاء الخبر
بمثابة الصاعقة على الحضور، فعقد ألسنتهم. هل جن الرجل ؟ هل هناك
خلافات عائلية غير معلنة ؟ دلال زوجته شخصية عاقلة متزنة، حريصة
على زوجها وأولادها مها وإماني وحسام... الأسرة برمتها داخل إطار
ماسي لا يسمح لأحد بالاقتراب منه. تزاхمت في رؤوس الجميع أسئلة لا
حصر لها. ومن المؤكد أن للدكتور هاني الإجابة والرد عليها - فهو ذكي
يحسب مكانا آمنا لخطواته قبل أن يخطوها.

تبادلت مرام وإيناس النظرات وأرادت كل منهما قراءة المشهد على وجوه
الحضور. ارتدت إليهما النظرات حسيرة مخيبة للأمال. نبيلة نظراتها حافلة
بالاتهامات.. عبدالرحيم يراها مبدئيا خطوة متسعة غير محسوبة.. أما
إبراهيم فلسان حاله يتساءل: ليه كده ؟

لم يتركهم د. هاني كثيرا في حيرتهم ووجومهم وتساؤلاتهم فقال وهو
يبتسم:

- باين إن الغدا كان ثقيل ... وإن الشاي بالنعناع ما هضمش
الأكل.

عقب عبدالرحيم قائلا باستنكار:

- كلامك إللي قلته هو إللي ما تهضمش!

قال د. هاني مؤكدا:

- أعيد مرة أخرى على مسامعكم علشان إللي ماهضمش كلامي في أول مرة قدامه فرصة يهضمه في المرة الثانية والأخيرة : أمام الله وأمامكم بأطلب يد مرام للزواج.

عقب عبدالرحيم مستغربا:

- الله ! قرار اتخذته مع سبق الإصرار ليس لنا فيه حيلة ولا رأي. هذا شأنك الخاص يا د. هاني.

قالت نبيلة هانم مستنكرة:

- لا .. لا يا عبدالرحيم ده مش شأنه الخاص والدليل على كده جمعنا وإشهادنا على قراره.

وأتمن د. مجدي على رأي نبيلة هانم :

- تمام يا نبيلة هانم. كان ممكن يعمل إللي هو عاوزه بعيد عنا ... بس ...

عاد د. هاني ليؤكد بوضوح لا لبس فيه ... قال :

- لا بس ولا حاجة ... لا يهمني رأي أي حد في الدنيا غيركم ...

أنتم أهلي وخالاني. اخوتي كل واحد منهم عايش حياته والدنيا شغلاهم مرسي رئيس حسابات في شركة في سمود، وهنية متهنية في العسل مع زوجها عميد شرطة في المباحث العامة، وهادي تخرج في كلية الزراعة وكلنا سينا له الأرض وبيت " أبونا" عشان هو المتخصص وعشان مانفتش الأرض. يبقى فاضل مين غيركم؟

انقضت نبيلة هانم كالسهم قائلة:

- فاضل أصحاب الشأن دلال الزوجة العظيمة وأولادكم مها
وأماي وأسامة. دول أهم الناس الى لازم تعمل حسابهم قبلنا
وقبل أى حد.

وعقب د. مجدى قائلاً:

- أحسنت يا نبيلة هانم.

قال د. هاني مستغرباً:

- هل توصونى على أم أولادى التي أمضيت سنوات عمرى كلها
فى سلام وراحة وأمان معها ؟ لم تعكر على صفو حياتى فى يوم من
الأيام. قاسمتنى الحلو والمر طوال عمري ولم يكن لها
شكوى. كانت الشريكة نعم الشريكة. كما أنها أم مثالية .

وتساءلت نبيلة هانم قائلة:

- بالمناسبة ملائكة دلال حاضرة معانا تشهد لها. هي الغائب
الحاضر. لا تؤاخذينا يا مرام ولو كان الوضع معكوساً ما تأخرنا فى
نصرتك.

وردت مرام مباشرة قائلة:

- أنا متأكدة يا نبيلة هانم. همّ دول ولاد الأصول. أنا كنت حريصة
على هذه الدعوة. عاوزه أعرف رأي أحب الناس إليه. هاني فى
اليومين إلى فاتوا حكا لى كل شئ عنكم. أنتم متداخلين مع
بعض ... يعني عشرة عمر. أنا الدخيلة عليكم ... أنا ...

وخرج إبراهيم عن صمته مقاطعا مرام قائلا:

- مؤكدة حبيبة د. هاني أخت وصديقة عزيزة علينا على الأقل من باب محبتنا ومعزتنا له. الحديث ده كله مرتبط بنفس محبتنا ومعزتنا لأختنا دلال. أنت مش دخيلة ولا حاجة أنت أصيلة تماما.

تبلورت مجموعة من الأفكار في ذهن هاني كان قد ناقشها مع مرام ووافقت عليها مباشرة دون تردد قال:

- حقوق دلال وأولادي ما حدش يقدر يقرب منها لا مرام ولا حتى أنا.

وبادرت نبيلة هانم متسائلة:

- إزاي؟ مش في بيت حيتفتح؟ عاوز مصاريف..

أجابت مرام متسائلة:

- ليه؟ هو القصر ده كله مش كفاية؟ ده بفرض لو عاوزين مكان نعيش فيه

وتساءل عبدالرحيم مستغربا:

- يعني أيه؟

رد هاني قائلا بثقة:

- لا تغيير على الإطلاق. كل شيء باق على ما هو عليه. دلال في بيتها معززة مكرمة. مصروف البيت زي ما هو... ي زيد ما ينقصش. طلباتها كلها مجابة. أنا ما قدرش أمسها بأي حاجة. حتى وجودي في البيت زي ما هو.

وتساءلت نبيلة هانم باستغراب:

- يعني أيه؟ هو جواز واللّا مش جواز؟ بيت ... عشرة... معاشرة ...
مؤانسة؟ واللّا هو جواز بالمراسلة؟!

قال د. هاني:

- بالتأكيد هو زواج أمام الله والرسول وخلق الله جميعا وأمامكم
بمعنى الارتباط. في عشرة وما فيش معاشرة. مش ده حالنا كلنا
في سننا ده؟ واللّا فيها مكابرة!!

واستفسر د. مجدي مندهشا:

- وعلى أيه ده كله!!

وبدأت إجابات وتساؤلات د. هاني تكون أكثر صراحة تساءل في وضوح
موجها كلامه إلى زميل عمره د. مجدي:

- أيه إللي يفضل من العلاقة الزوجية إللي استمرت أربعين واللّا
خمسین سنة؟

أجابت نبيلة هانم كأنها استشعرت أن السؤال موجها لها أو أنها أفضل من
يجيب السؤال :

- كلمة طيبة ... لمسة حنان ... نظرة مودة

وتساءل د. هاني بسرعة:

- طول النهار يا مدام نبيلة؟

- بالطبع لأ.

أخذت مرام الحديث إلى مجرى آخر رأت أن الوقت قد حان له:

- لماذا أريد من هذا الزواج أولا؟ حياتي لم يكن فيها وقت للترويح

بعد طلاقي. كرسيت حياتي من أجل عمل الخير. دار للأيتام باسم

أخي من ماله إلّٰي ورثته عنه. ومجمع لدور للمسنين والمسنات باسم
أبي وأمي من ماله إلّٰي ورثته عنهم.
وأضافت إيناس :

- أفنت مرام نفسها في مساعدة الآخرين. مساعدة أسر فقيرة على
تجهيز بناتها للزواج وتفرح لفرحهم وتشاركهم أفراحهم
ورقصاتهم البسيطة وتعود إلى القصر فتجد جدرانها الباردة
تحتويها. إسعاد الآخرين يسعدها. وفي يوم غير بعيد سألتها : فين
أنت من ده كله ؟ أتركها لتجيب لكم.

مرام شخصية قوية تأمر عليها الزمن تلمح هذا فيما تركه من خطوط غائرة
حول فكيتها كأنها قوسان يحيطان بشفتيها القرمزيتين التي نادرا ما تضع
عليها أحمر الشفاهة. الوجه ملامحه صريحة .. أنف شامخ وعينان زرقاوتان
عندما تيسر لك المرأة أن تغوص في بحرها يصبح من العسير نسيانها ..
أهما البحر في زرقته أم زرقه السماء بعد المطر أم هما حبتان من الفيروز
الصافي .. قل ما شئت .. قد تكون كل هذا وأكثر . البشرة خمرية مائلة إلى
البياض. الشعر كستنائي منسدل إذا ما تركته طويلا ولكنها تحبه أ لا
جارسون. قوام أقرب إلى الرشاقة فهي حريصة ألا تكون بدينة. نبرات
صوتها تنبئ بالركة المشوبة بالحزم وإن كانت أقرب إلى الرقة عندما تداعب
الأطفال والآباء والأمهات في دور المسنين وأقرب إلى الحزم عندما تتعامل
مع المقصرين .

اعتدلت مرام بجسدها في فوتيل خيرزان فاخر تكسوه وسادة محشوة من
القطن الذي كانت تجلس على طرفه متيقظة متببهة بكل حواسها لما يقال.
نادت على بشير وأمرته أن يسال السادة الضيوف الأفاضل ماذا يشربون ثم

استدركت وأمرت بشير أن يقدم المشروبات في غرفة مكتب الباشا. قامت وهي تفرك يديها من أثر لسعة برد الغروب قد سرت في جسدها النحيل. قالت وهي تقودهم إلى غرفة المكتب:

- الظاهر الشتاء السنة ده جى ثقيل والّا إحنا كبرنا ؟ أكيد كبرنا. بالمناسبة عندنا مشروبين للتدفئة في الشتاء عندنا مغات أصلي بالمكسرات وعندنا سحلب تركي، أي مشروبات ساخنة ثانية.



الساقية وأريز الشجن

غرفة المكتب أقرب ما تكون إلى قاعة اجتماعات جدرانها مبطنة من خشب الجوز العسلى. يوجد مكتب مهيب في الثلث الأخير من القاعة أمامه سجادة كيرمان تغطي الأرضية الباركية التي تنعكس عليها صورة المكتبات الثلاث المصفوفة على كل من الحائطين عن يمين المكتب ويساره ويفصل بينهما صورة زيتية للباشا وصافيديل هانم من ناحية بينما توجد على الحائط المقابل صورة لمرام وصورة لأخيها شريف. توجد على الطرف المقابل للمكتب طاولة اجتماعات ومن خلفها كنية فاخرة ومقعدان وثيران. تقع على الحائط أربع لوحات زيتية لأفراد من الأسرة تتوسطها لوحة لمنظر طبيعي لمراكب شراعية على صفحة النيل. هناك باب جرار من ضلفتين يفصل بين المكتب وطاولة الاجتماعات مزدانة كل ضلفة منها بلوحة رقيقة من الزجاج المعشق لنبات البردي على الطريقة الفرعونية.

دخلوا الغرفة وانتابهم رجفة لأن جو الغرفة بارد وغير متجدد كما أن الغرفة عتيقة وموحشة رغم انتشار الضوء من أثر إضاءة نجفتين ومجموعة من الشمعدانات. نادى مرام على بشير وأبوبكر وأمرتهما بفتح النوافذ للتهوية. دخل هواء بارد منعش ليحل محل الهواء القديم الرطب. جلسوا على مقاعد الطاولة، وأخذ بشير الطلبات - طلب الرجال سحلب بينما طلبت السيدات المغات. قالت مرام في هدوء:

- أنا لم أنس ما كنت أقوله. دارت أيام عمل الخير وملأت حياتي
بالسعادة وعوضتني عما افتقدته إلا من حب د. هاني. لقيت حب
الأطفال في دور رعاية الأطفال. ولقيت حب الآباء والأمهات في
دور رعاية المسنين. الحبيب هو التسليم إلي تفتح له كل شبابيك
قلبك وانت مرتااااا... تقول له كل إلي ما تقدرش تقولوا
لأي حد تاني.

وأضافت وهي تنتقل ببصرها بينهم:

- أين أنا من كل هذا. أنا ؟ أنا كل هذا. أنا ؟ أنا الساقية الدوارة
إلي بتروي بحب الأرض العطشانة بالخير وهي فرحانة وأزيها
لحن بيسليها وفي آخر النهار ياخذوا البهيمتين إلي بيدوروها
ويسيوها تقضي الليالي وحيدة. أنا الساقية إلي راضية وسعيدة.
يهل الليل .. وكل ليل لا حس ولا صوت. سكووون ... هدووو
والليل يمشي ببطء ... ساعاته طويلة. أتخايل على النوم... والنوم
يجافيني في أغلب الليالي .

ويطل الشتاء بليليه الباردة .. ساعات كنت أقضيها مع أكلة بطاطا
بالشاميل عاوزه أشعر بالدفء ... البرد قارص والجدران باردة. أضع
الروب الصوف علي كتفي وأطل من الزجاج لأرقب سقوط المطر المنهمر..
أحسد الأرض التي احتوت قطرات المطر المسافرة إليها على جنح السحاب
الطائر .. لقاء بين حبيين . أما أنا .. أنا أبحث عن حبيبي في كل الرجال
إلي بأصادفهم ما ألقيهوش .. البرد .. يشتد في جوف الليل .. فأحضن الروب
وأتسلل إلى السرير وقد أعياني السهر.

بكت مرام رغما عنها. صعبت عليها نفسها. ربت نبيلة هانم على كتفها واحتوتها في حضنها وسألتها وهي تشير إلى الثراء الذي تعيش فيه:

- ليه تعيشي كده ؟
- ما قدرش أعيش غير كده .
- يعني أيه ؟
- يعني ما كنتش أقدر أعيش غير كده.
- هي البلد ما فيهاش رجالة ؟
- فيها بالتأكيد. يا نبيلة هانم جواز المقاولات ما يلزمش إللي عاش الحب. إحنا بيت صالونات، بس جواز الصالونات ما يلزمش. الجواز مش عقد تجربة إن نفع ماشي ... وإن مانعش نجرب تاني، وتالت!! جواز الخاطبة شئ قبيح نعرف بعض من الصور ... طبعاً البنت هي إللي في الفاترينة للعرض والبيه يختار.
- أنتي جربت الجواز ... جواز الصالونات ؟
- غلطة بابا وماما الثانية وخلصت منه في هدوء
- مش كل الجواز جواز على حب وإلا ما كانش حد إنجوز
- وانت الصادقة لو كان الجواز قايم على حب حقيقي مش أوهام وخيالات وتهيات ومراهقة شباب كانت نسبة الطلاق قلت بكثير مما هي عليه.

تابعت كلامها في جدية:

- هي المسألة جواز وبس وستان فرح وزغاريد وشربات ومعازيم وأم بتبكي على مصير بنتها المجهول. لأ والف لأ. الزوج والزوجة سكن لبعضهما.

سكنت للحظات وتابعت كلامها متسائلة:

- عارفة يعني أيه سكن. يا نبيلة هانم... السكن هو سكينه النفس وطمانيتها واستقرارها. وقيل إن السكن والمودة هما أساس العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته. ويظل الزواج باقيا ومستمر طالما المودة والرحمة مستمرة.. السكن هو الدفء.

وعقب إبراهيم أبو النجا قائلا :

- المودة والرحمة معانيهما تفوق بكثير معنى الحب. المودة مطلوبة في السراء والرحمة مطلوبة في الضراء. أحيانا الحب لا يقوى على الشدائد أو التقاليد .

وأضاف عبدالرحيم بعد صمت بليغ وهو يشهد صفحات مؤثرة من حياة مرام :

- لا يقع الطلاق بين الزوج وزوجه إلا في لحظة جفاف تام للمودة والرحمة.

دخل بشير يحمل المشروبات التي دار بها على الضيوف. تنهدت إيناس وقالت وقد أمسكت بكفيها بقدرح المغات الذي تتصاعد منه الأبخرة :

- أنت كده يا بشير تهل في الوقت المناسب. أحسنت أيها النوبي العريق.

أخذت رشفة ساخنة من المغات زودتها بطاقة على الكلام :

- معاك حق يا عبدالرحيم بيه. في قلوب غلف كالخجر الصوان أو أشد قسوة - هذه قلوب لا تصلح لأن تكون مستودعا ولا مستقرا لأي مودة ولا رحمة. وبالتالي لا تصلح للزواج.

وضع إبراهيم أبو النجاة فنجان السحلب على الطاولة وقال في دهشة متسائلا:

- ما شاء الله وعاوزاني أدافع عن الحب وعندك كل البلاغة ده. مثل هذه القلوب إذا تزوجت يا مدام إيناس- لا يسفر عن هذا الزواج سوي زواج فاشل مآله إلي الطلاق. الزواج عاوز قلوب عامرة بالمودة والرحمة. وده القلوب المحبة بحق.

عادت مرام وتساءلت:

- ده تفسير لحالات الطلاق والبهذلة في محاكم الأسرة يا إبراهيم بيه؟

- لا بالطبع. ده تأكيد على الحاجة الملحة للمودة والرحمة بين الزوجين لاستمرار الزواج الناجح.

سادت فترة من السكون أشبه ما تكون إلى الهدنة أو فترة لمراجعة الأفكار وترتيبها. عبدالرحيم ساءلته نفسه بعد ما رأي ملامح ثراء لا تخطوها العين وسيدة كعبها عال بين السيدات وتبحث عن دفء العلاقات الإنسانية والألفة ولا تجدهما. إبراهيم اختصر حالة مرام في أنها حالة من حالات سوء الحظ. مضت فترة الصمت تناولوا خلالها المشروب الساخن. قطعت نبيلة جبل الصمت قائلة :

- بس صدقيني يا مرام ظلمت نفسك

- ظلمت نفسي ؟ ياه ! عاوزاني أعاشر راجل كل إللي بينه وبينني علاقة جنسية يلاقيها مع أي بنت من بنات الهوي !!

- مين قال كده ؟ آمال فين المودة والرحمة، تيجي قبل الزواج بالحب وتيجي بعد الجواز بالعشرة والمعاشرة. لا تنسي يا مرام إن الزوجة

هي السكن وهي القادرة على تحريك قدرة الرجل على المودة والرحمة.

وأكد عبدالرحيم على كلام زوجته قائلاً:

- البداية دائماً عند المرأة.

وتساءلت مرام ببساطة:

- وما الحال إذا فشلت في تحريك قدرة الرجل على المودة والرحمة ؟

أجابها عبدالرحيم بيه بوضوح:

- عندئذ هناك خلل في مفهوم المودة والرحمة بينهما.

واختتم د. هاني الكلام قائلاً :

- أنا بأشكركم على اليوم الجميل ده كل شئ فيه جميل كل

الحوارات منشطة للذاكرة ومغذية لقلبي. أنا طمعان أن يكتب

إبراهيم بيه عقد جواز عرقي يؤكد فيه على تنازل مرام عن حقوقها

من ميراث وغيره لأنها أغني من ذلك بكثير وأنها تهب ثروتها

بالكامل لي ولأولادي وزوجتي من بعدها مع المحافظة علي كافة

المشروعات الخيرية القائمة وتنميتها إن أمكن. من يريد منكم أن

يكون شاهداً على العقد نكون له من الشاكرين. لا إكراه ولا

إحراج في الشهادة.

قالت مرام باعتزاز وثقة :

- شكراً على هذا اليوم وأؤكد على موافقتي على كل كلمة قالها هاني

وأرجو أن يكون العقد موثقاً في الشهر العقاري. هاني وعيلته هي

عيلتي حالياً. عيلة محمود باشا الشافعي انقرضت. أنا المتبقية منها.

مهما يحدث هذه ارادتي باختيارى. كل ما أرجوه أن يتم هذا على وجه السرعة حتى لا يسبقنا الزمن. وأشكركم جميعا مرة أخرى. خرجت تودعهم عند مدخل القصر ونادت على سائق سيارتها لتوصيل عبدالرحيم بيه والهانم في مصر الجديدة. طلبت من إيناس أن تبقى معها. انطلقت السيارات بسلام ولكن بداخلها كم هائل من الاستفسارات. لعل أبرزها : أمازال في دنيانا المادية حب من هذا النوع الأسطوري الخرافي ؟

هزت نبيلة هانم رأسها وأجابت:

- كله يهون في حب مرام!

قال عبدالرحيم يحدث نفسه:

- تخيلي يا نبيلة ممكن يكون في الدنيا حب زي حب مرام وهاني ؟

وتعجب د. مجدي من قدرة مرام وهاني في سد كل ذرائع الاعتراض على زواجهما. هز رأسه متعجبا وقال : لو لم أشهد البداية لما صدقت ما رأيته اليوم. ده حب مرام وهاني.

أما إبراهيم أبو النجا فقد ضرب كفا على كف وقال متعجبا : عمري كله في المحاكم شفت العجب بس إللى شفته النهارده عدي العجب ما هو ده حب مرام.

هاني كان طائر فووق السحاب قرب من القمر عاوز يمسكه عارف ومتأكد أن مرام سبقتة فوووق القمر. لأول مرة مش عاوز يرجع بيته على طول في لهفة وشوق زي كل يوم. الليل يطوي صفحاته مهرولا وهو يمسك بتلابيبه يرجوه ألا يمضي مسرعا. بس إليل مرتبط بدوران الأرض إللى ملوش دعوة بحال الأحبة. صرخ من داخل أعماق نفسه قائلا:

دب الهوى في فؤادي وجري مع الدم في عروقي ... عشت به أياما ولم يعد
سوي هواكي يشفي جروحي ... شقي الفؤاد لفراقك ولم تجد لشفائه علائي
ولا ظنوني ... وبحثت في عيون نساء الدنيا فلم أجد فيها سوى دموعي ...
أهيم في درب الأحبة والعشاق وحيدا فلا أجد سوى من جفوني ... عذبتني
أيام البعاد وأزكي الفراق من آلام شقائي وهمومي ... سألني العزال شانة
عن حبيبي فقلت ارحموا إسوداد جفوني ... لو كان في قلوبكم رحمه كنتم
رجعتم تواسوني ... ليه الظلم ليه لو في عدل كنتم أنصفتوني



حديث الروح

صعدت إيناس مع مرام الى شرفة غرفة نوم مرام. كنبه وثيرة مريحة وكريسيان شيزلونج تلقي بنفسك في أحضان أيهما فتجد النوم يداعب جفونك بعد دقائق. غابت الشمس في الأفق ورفع آذان المغرب وأوشك آذان العشاء موعده. برودة الليل مقبلة والطيور على الأغصان تشقشق. كل وليف يروي لوليفته ما دار في يومه والويلفان يحتضان صغارهما ويطعماها حتى تشبع فيخفت صراخها. تتلاشى زقزقة الطيور تدريجيا فتتقضي تماما ولا يبقى سوى حفيف الأغصان التي ترتعش من برودة الجو، والسحب في السماء متباينة في درجات لونها ما بين الأبيض والأسود تندفع في قوة وعنف فتتصادم وينفرط عقدها إلى نتف من السحاب ثم تكشف عن رقعة من السماء مرصعة بالنجوم والكواكب. والقمر نديم العشاق والساهدين يطل بين الفينة والفينة من بين غلالات السحب ليذكرهم بأنه سهران معهم شاهد على حبهم.

رفع آذان ألعشاء وتردد صداه في فضاء الكون :الله أكبر ...الله أكبر فيسبح الكون بما فيه مؤكدا مرددا: الله أكبر ...الله أكبر.

أفاقت مرام وإيناس من غفوتها وربما من تأملاتهما في ملكوت الله وهما ترددان بخشوع : الله أكبر ... الله أكبر. خرجتا من دائرة فرديتهما لتندجبا في ملكوت الله الأعظم وما أروع.

تمطعت مرام في تكاسل ولكنها استعادت نشاطها وتنبهت تماما وهي
تسمع نقرا على الباب وصوت بشير ينادي:

- صلاة العشاء يا هوانم

- أدخل يا بشير

دخل بشير وقال مبتسما:

- ما شاء الله تبارك الله

سكت وخمس بكفه وقال:

- طبعا القمر مختفي ... حيرت فين من اثنين قمر واقفين قدام أيني

على الأرض.

داعبته مرام متسائلة:

- يعني الكلام الحلو ده ما بيطلعش إلا لما تكون الست إيناس

موجودة

أجابها وقد استضاء وجهه بابتسامة مشرقة:

- معلوم يا ست هانم لازم يكون في اثنين قمر واقفين قدام

أيني. قمر واحد مش كفاية.

- يا راجل يا عجوز بتعاكس الستات في أنصاص الليالي؟

- فين أنصاص الليالي يا ست هانم إحنا لسه في أول ليل وبنقول يا

هادي يا كريم. ده إحنا لسه في أول يوم.

- ضحكت مرام وإيناس على تلميحة بشير الذي جرى مهرولا ونادى:

الصلاة ... الصلاة. توضأت السيدتان ووضعت كل منهما طرحة على

شعرها لتغطيته وخرجتا من الغرفة إلى الردهة الكبرى التي تفتح عليها بقية

غرف الدور الثاني. وجدنا بشير إماما وأبوبكر وعثمان وصديق السائق من خلفه ثم سجدتين إلى الخلف لمرام وإيناس.

أدى الجميع الصلاة في خشوع. كان بشير في حالة روحانية عالية بكى في الركعة الأولى وهو يقرأ من سورة الزمر: "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض..." إلى آخر السورة ثم بكى في الركعة الثانية وهو يقرأ من سورة غافر: وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا.. إلى قوله تعالى:

"وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم."

انعكست حالة بشير الروحانية على جماعة المصلين بل على القصر بأسره. انتظمت دقات قلوبهم في خشوع مع تلاوة بشير الخاشعة الورعة واندجت في ديب الكون - حتى ساعة الحائط انتظم نبضها مع إيقاع المكان. موحشية القصر تبددت وسرت موجة نورانية أضاءت قلوبهم وأبدانهم استشعروها بداخلهم فخشعت الجوارح واستقرت العيون وترقرت بالدموع على موقع السجود ومسحوا بكفوفهم ورفعوا أيديهم بالدعاء سرا المالك الملك المجيب الدعاء- كل له شكوى ورجاء.

طلبت مرام من بشير بعد أن ختم الصلاة أن يبقى معها بعض الوقت وخيرت الآخرين إما البقاء وإما الانصراف. استهلت مرام كلامها بسؤال بشير عن سبب بكائه - قال:

- يا ست مرام بكيت في الركعة الأولى وأنا أتلو قول الله تعالى :
"وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا

خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ : " الححت على الله بالدعاء لأن نكون من أهل الجنة. يا ست هانم شفت الباشا في المنام أكثر من مرة هو والهانم الكبيرة من أهل الجنة إنشاء الله. نفسى أقابله عشان يناديني :يا ولد يا بشير فين فنجان القهوة. صدقيني يا مرام هانم لحد النهارده أسمع صوت الباشا واجرى أعمل فنجان القهوة على الفاضي. ويضحكوا علي الزهرات أبوبكر وعشان.

- بتجبه يا بشير؟

- يا ست هانم أنا بألعب في الوقت الضايع زي ما بيقولوا بتتوع الكورة الفاضيين. أنا هنا في القصر قبل ما تتولدي. كل يوم أنا إلی كنت أقدم للباشا القهوة.يمكن خمسين سنة- وبتسأليني بجبه ...ده العشرة ما تهونش إلا على أولاد الحرام -لا مؤاخذه يا ست هانم ليه بكيت في الركعة الثانية ؟

- وفي الركعة الثانية الآيات الأربعة تهز وتزلزل من يستشعر جلال وحلاوة معانيها": الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته، وذلك هو الفوز العظيم ". يخبرنا الله عز وجل عن الملائكة المقربين من حملة

العرش والذين من حوله بأنهم يسبحون بحمد الله وخاشعون له
ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين - ويقولون يا رب رحمتك
تسمع كل شيء من أفعالهم وخطاياهم فاغفر لهم ذنوبهم واصفح
عن المسئ منهم وابعدهم عن النار وأنعم عليهم بجنتك التي
وعدتهم هم ومن صلح من آبائهم وذرياتهم وأزواجهم فأنت
العزیز الذی لا یقهـر ولا یغالـب، الحکیم فی تدبیرک وأفعـالک
وتقدیرک. اللهم قهم فعل السيئات لأن من تق السيئات فقد نالتة
رحمتك يوم القيامة ونجيتة من عقوبتك وهذا هو الفوز العظيم.

سكت بشير هنية وأضاف:

- بالمناسبة كان الباشا يبـحب یصلی بهذه الآيات. أو هو هو مین زي
الباشا في صفاه وروقانه. وجهه منور زي البدر في تمامه. يقول لي يا
ولد يا بشير تعالی قعد قدامي واسمع إلی حقوله أنا عارف أنت
جـحش صغیر مش حتفهم بس زي بعضه مصیرک تکبر. یسکت
الباشا وکمل أنا الکلام وقول تقصد سعادتك": أكبر وأبقى
حمار". یقهقه الباشا ویقول: أخیرا فهمت. أنت إلی قلت یا ولد. أنا
باشا ما قولش کلام مش تمام.

- کان بیکلمک فی أیه یا بشیر؟

- فی کل حاجة تحطر علی باله. هو عارف إن عقلي أبيض زي البفته
البیضة. من التوبه للقاهرة حته واحدة - وفین ... ؟ فی قصر محمود
باشا الشافعي. یا وعدي یا وعدي.

استجمع بشیر ذاكرته وهو یتنقل ببصره بین الذین استدار لیتحدث إلیهم
بناء علی طلب الهانم. أبصارهم مصوبة إلیه وآذانهم مصغية إلیه وقلوبهم

هزت أوتارها بكاء الإمام تضرعا وخشوعا. أبوبكر في دهشة من بساطة بشير وتملكه سمع مرام هانم وضيفتها إيناس. عثمان وجد في بشير مشروع إمام بجدة. صديق السائق بهرته صدق بشير وظرفه مما جعلهم راغبين في المزيد من الاستماع لهذا النوبي البسيط. إيناس هانم هرب النوم من عينها بفعل غفوة ما قبل صلاة العشاء. أما مرام فكانت موزعة بين عقل باطن يقلب أحداث اليوم بأكمله وهي لا تخشى عواقبه ولا الملامة وبين روح منتشية بقبس من نور استشعرته بداخلها ومس جوارحها جميعا. قطع عليها أبوبكر سيل تأملاتها قائلا:

- في يوم الباشا اتطلع فينا وقال لازم تتعلموا القراءة والكتابة من بكرة فيه معلم يعلمكم القراءة والكتابة. مش معقول تبقوا أحفاد الفراعنة العظام إللي بهروا العالم ومتعرفوش تقرأوا وتكتبوا. إللي ما يعرفش يقرأ ويكتب مالوش لازمة في الدنيا -وانتم لكم بالتأكيد لازمة في الدنيا.

واستدرك عثمان قائلا:

- ساعتها قلت لسعادة الباشا : بعد ما شاب ودّوه الكتاب. الباشا رد عليّ قائلا وهو يقهقه :حقيقي أنت كمان جحش صغير. بعدين لما تعلمنا عرفنا أن الباشا كان عنده حق. أهالينا في النبوة و الأمام في المسجد بيقول ويعيد اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

وعقب بشير بعد صمت طويل بقوله:

- المقولة ده مش حديث نبوي. ده من المأثورات. لزم التنويه.

أطرقت مرام قليلا وقالت مبتسمة موجهة الكلام لبشير:

- لا فض فوك يا رجل. حلوة قوي : لزم التنويه. بالظبط زي كبار المتصوفة لما يقولوا :عرفت فالزم. وده الكلام فيها يطول. حبيجي وقته إن شاء الله

تساءلت مرام مترددة:

- عندي سؤال يا بشير...واللّا بلاش.
- اسألني يا ست هانم ... على الله أكون عند حسن الظن
- يمكن السؤال يكون غريب شويتين ... وما أعرفش الأقي الإجابة عليه فين!!
- إن شاء الله لا السؤال غريب و الإجابة حتلاقيها عند العبد الفقير لله.

- هو انت عارف السؤال وإلجابة ؟

- الحالة إللي كنت فيها أثناء الصلاة...

قاطعته مندهشة بحركة من كفها وهي تنفرس في وجهه الأسود فوجدته يشرق بالنور والسعادة والرضاء ظلت لحظات تتأمله كأنها تحاول أن تقتبس من نور وجهه ... من سعادته ... من رضائه والحضور في صمت مطبق. ربما أبوبكر وعثمان وصديق مروا مع هذا الرجل بتجربة مماثلة ولكن الحال مع إيناس قد يكون مختلفا. قالت مرام :

- هذا فيض من نور الله عليك. إن أبواب السماء تنهمر بفيض من

النور وتري فيها قافلة المحبين تقطع المسافات إلى الله توبة وعبادة وحمدا وطاعة وشكرا وركوعا وسجودا.

وقال بشير مؤكدا كلام مرام :

- قال تعالى في سورة الفتح " تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيئاهم في وجوههم من أثر السجود " .
- هو كده .

قالت مرام مختمة الحديث:

- اشكرك يا بشير على الإجابة . عرفت فالزم . تصبحون على خير .
- دخلتا غرفة النوم على عجل وقد حملت كل منهما بداخلها شحنة إيمانية تطمئن معها القلوب وتقر بها النفوس . في ثوان غيرت كل منهما ملابسها وارتدت بيجامة . مرام تطمع أن تنفرد بنفسها بأسرع وقت لا تريد أن تبدد الطاقة النورانية الكامنة بداخلها في ثثرة أو حديث عبثي لا طائل من وراءه . كما كانت إيناس متشوقة لأن تخلو بنفسها لتفرج من أحزانها ومراجعة ما مر بحياتها من أحداث فربما تخرج برؤية جديدة . لم يتعد الكلام تحية ما قبل النوم . أعطت كل منهما ظهرها للأخري ربما خشية أن تكشف عيناها ما يدور بخلدها .

سرعان ما نامت مرام حيث انتظمت نبضات قلبها . رأت فيما يري النائم عندما تصفو سريره نورا هائلا يحيط بها وشجرة طيبة عملاقة أصلها ثابت وفرعها في السماء لم تشهد مثلها من قبل مورقة دانية قطوفها . مدت يدها تقطف من ثمارها لحبيبها الغائب عن النعيم الذي تعيشه . فهو الغائب الحاضر في حياتها . قطفت سبع ثمرات وعندما حاولت تقطف المزيد استيقظت من النوم على صوت آذان الفجر - وهي تقرأ قوله تعالى من سورة ابراهيم : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) .

استيقظت مرام في اليوم التالي واستعرضت حلمها ولم يكن بحاجة الي تفسير. فالثمرات السبع إما سبعة أيام وإما سبعة شهور وإما سبع سنوات. والله أعلم . وبقدر ما ستبشرت قلقت. عليها ان تنتظر مرور الأيام السبعة لتنتظر بعدها الشهور السبعة وعليها أن تنتظر مرور الشهور السبعة لتستقبل السنوات السبع. خرجت من تحت الفراش وتمطعت ونظرت إلى إيناس فوجدتها تغط في نوم عميق. أزاحت جانباً من الستارة، وألقت نظرة من وراء زجاج النافذة في انتظار ما سوف تأتي الأيام القليلة المقبلة .

ما إن انتصف شهر ديسمبر إلّا وكان الأستاذ إبراهيم قد انتهى من اجراءات توثيق عقد الزواج العرفي بينهما وسلمها نسخة أصلية منه. قرأتها بإمعان واحتضنت العقد وقالت :

- النهارده بس بقى عندي عائلة بعد موت بابا وماما وأخويا.
حسب كل إللي ورثته للي حايحافظ عليه بعدي.



النوبة .. النوبة .. يا أهل بلادي

اعتاد الباشا منذ أن اعتزل الحياة السياسية والحزبية بعد ثورة 23 يوليو 1952 أن يصلي الفجر حاضرا مع أفراد أسرته جميعا. اعتاد عمليات المداخلة المفاجئة، فلم يكن عليه ما يخشاه أو يخفيه. كان مصريا وطنيا أصيلا. انتصر لجلاء الإنجليز عن أرض مصر المحروسة. عاش حرا مستقلا في معتقداته السياسية. لم يكن ميالا لإقحام الدين في السياسة - وبالتالي لم تلق دعوة حسن البنا أي اهتمام لديه. وكان يردد على الملأ للدعوة رجال نجلهم ونحترمهم في محرابهم وللسياسة رجال لهم كل التقدير والاحترام في مجالهم. رجال الدعوة صدورهم تضيق بالرأي المخالف - حرية الرأي قد تتعارض مع مفهوم ثوابت العقيدة، وهنا يكون الصدام وما لا تحمد عقباه. تساءل كثيرا إذا كانوا هم الإخوان المسلمين فمن نكون نحن غير المتتمين لحركتهم؟! غير أن سؤاله وأسئلة كثيرة طرحت آنذاك لم يكن لها أي صدى أو تأثير في انتشار دعوتهم. أما رجال السياسة فلا هم لهم سوي انتقاد الرأي الآخر. بعد دقائق من التأمل خرج بشير على الصمت وقال:

- الباشا بتاعنا كان بيحب أوضة المكتب قوي ويجب يشرب القهوة

وهو قاعد وظهره للوحة المراكب. كان في الأول يقولني :

- أقعد قدامي على الكرسي عشان أشوفك . خليليني أشوفك النوبة

قدامي ونهر النيل ورائي.

- بالله يا باشا ما تشوفش وحش. عاوز تشوف بربري أسود من النوبة.
- انت مش فاهم. مين إللي قال إنك بربري. أهل النوبة يا ولد مش بربر في الغالب. النوبة هم نوبة عرق واحد جنس واحد. في ناس يا ولد بتقول ما فيش حاجة اسمها نوبي مصري وإنما فيه نوبي سوداني سواء الموجودين في مصر أو في السودان. دول دعاة التفرقة بين النوبة ومصر. النوبة مصرية وأهلها مصريون ما في ذلك شك. وتدخلت مدام إيناس قائلة:
- كلام الباشا سليم والكلام عن النوبيين هم نوبة السودان الكلام ده ينكر التحركات السكانية المستمرة عبر التاريخ. وإلا فمن هم أهل النوبة الموجودين في مصر حاليا ؟
- سكتت للحظات وتابعت قائلة :
- بلاد النوبة تعرضت منذ فجر التاريخ لسلسلة من الغزوات مكنتهم من الاتصال بالعالم الخارجي والاختلاط بشعوب أخرى أسفر عن عنصر نوبي جديد.
- الباشا قال النوبي القديم من نفس سلالة المصريين القدماء
- كنت فاهم الكلام إللي بابا الباشا كان بيقوله؟
- أكيد كنت فاهم يا إيناس هانم... صحيح كنت جحش صغير بس الجحش مصريه يكبر ويبقى...
- قاطعت مدام إيناس قائلة بشكل قاطع:
- الانسان عمره ما يبقى حمار. أنت فاهم وفاكر وبتعيد كلام صعب ودقيق رغم شيخوختك.

وعقب أبوبكر قائلاً:

- عم بشير زي الريكوردر الواعي إلّي خايف على الشريط المتسجل عليه شريط حياته... يضيع أو يتمسح أو يتعرض للتلف. بيحكي ويعيد ويكرر إلّي قاله قدامنا عشان يتأكد إحنا كمان حافظين. إحنا لتنشيط الذاكرة. بس ... علّما كثير. وكلنا عيال على عمنا بشير.

وأضاف السائق صديق قائلاً

- أنا سمعت مدير الكهرباء في سد أسوان وهو بيتكلم مع قريب له من القاهرة بيقول له إن المصريين جالية نوبية أجت من الجنوب وطلعت للشمال. ما هو الكلام ببلاش وما عليهوش حساب. واستدرك عثمان وقال وهو يضحك:

- إذا كان على القول والسمع أنا سمعت من أهلينا في النوبة عكس إلّي بتقوله دوغري إن النوبيين أصلهم مصريين نزحوا من مصر شمالاً إلى النوبة جنوباً.

وعلقت مدام إيناس قائلة:

- كل إلّي تقال فيه شئ من الحقيقة بس المؤكد أن صلة مصر بالنوبة بدأت في العصور القديمة. الفراعنة بنوا فيها مدن وحصون ومعابد عشان تأمين طرق التجارة للسودان والطرق إلّلي توصلهم للمناجم الموجودة في الصحراء. النوبيون قبائل تسكن المنطقة الواقعة في شمال السودان وجنوب مصر. كان قدماء المصريين يطلقون بلاد كوش علي بلاد النوبة التي تقع من جنوب أسوان وحتى الخرطوم حيث يعيش شعب النوبة.

وأضافت مدام إيناس قائلة:

- الناس إللي بتقول بوحدة الجنس المصري والنوبي تعتقد أن "

كوش" إللي ورد اسمه في التوراه والإنجيل هو جد النوبيين - وهو

أخو "مصرييم" جد المصريين. الاتنين من حام بن نوح.

النوبة ومصر والنيل حضارة وتاريخ من أول الزمان إلى آخر الزمان .

من المعروف ان الحضارة النوبية من الحضارات الانسانية الفريدة الي

احترمت النساء فالملكة ايمننا تورييه حكمت بعد أن تنازل لها اخوها عن

الحكم.

عندما حكم النوبيين مصر في الاسرة 25 اعتبرت هذه الاسرة جزء من

التاريخ المصري، لو كانت احتلالا ما اعتبرت من الأسر المصرية و هي

تسمي بداية عصر النهضة .



عتاب

لم يكن من عادات دلال هانم البحث في جيوب ملابس زوجها د. هاني ولا البحث عن الرسائل التي تصله على تليفونه المحمول. الرجل زوج محترم يعشق بيته وأولاده مها وأماني وأسامة. تضبط ساعة جامعة القاهرة على مواعيد عودته إلى البيت :الرابعة عصرا. يضبط بوابي العمارات ساعاتهم على الثامنة والنصف صباحا عندما يشرق وجهه الصبح عليهم وهو يركب السيارة في طريقه إلى العمل وتلوح دلال هانم له من البلكونة المطلة على الشارع. أكثر من ربع قرن من الزمان على هذا الحال. لم يكن هناك ما يدعوها إلى الشك في زوجها فهو حبها الأول و الأخير كما لم يبدر منه ما يدعوها إلى تغيير عقيدتها. العقيد كامل شهاب زوج ابنته مها يرى فيه رجل الاستقامة و الانضباط. مها تري في أبيها ما يدعو كل ابنة إلى الفخر بأبيها. فلم تنشأ في بيت فيه سباب وشجار . بيت أبيها بيت السلام والاستقرار. ولو أنه انضم إلى الحياة العسكرية مع عشقه للعمل لكان له شأن آخر.

المهندس شامل عبدالغفار زوج ابنته أماني يرى في د. هاني الزوج الذي روضته زوجته فانضبط علي إيقاعها وأن حياته الرتيبة المنتظمة لا يمكن أن تكون طبيعية. ثمة سر دفين وراء هذه الشخصية التي تدور حولها أساطير الاستقامة والوفاء.. يردد دائما في أذن زوجته أماني :

- الصراحة دلال هانم لازم تبخر الوالد. طاعة واستقامة والتزام ماهومش مثيل إلا في الجيش. حمائي كان لازم يبقئ قائء طابئة.
- الله أكبر... سيب الراجل في حاله. وألا أنت فاكزه زي والدك رحمة الله عليه عاش حياته بالطول والعرض .
- بابا رحمة الله عليه ما عاش حياته بالطول والعرض بس ؟! يا شيخخة ما تظلمهوش.
- يعني أئه يا شامل ؟ أنا بافتري عليه ؟
- لأ، بابا عاش حياته بطول وعرضين منهم عرض استلفه من أمي رحمة الله عليها. ما هي ماتت ناقصة عمر .
- ما هو الوالد رحمة الله عليه كان دايماء يردد على مسامع والدي مقولته المشهورة :
- يا د. هانئ الواحد مننا بيعيش عمره مرة واحدة عشان كده لازم يعيشها زي ما هو عاوز .
- كان بابا يسأله بهدوء:
- يعني أئه يعيشها زي ما هو عاوز ؟
- يعني ما يضيّعش لحظة السعادة إللي عايشها عشان خاطر زيد واللاء عبيد .. عشان إللي بيفوت من العمر ما بيرجعش ثاني .
- ويتساءل بابا مستنكرا :
- وماذا لو أن سعادتك تعارضت مع سعادة الآخرين ؟
- لا شأن لي به مادمت لا أقصد إيلاهم.
- وإذا جاء الألم عرضا وآلم الآخرين..

- الآخرون عندما لا يضيعون لحظات السعادة الى بتصادفهم
حيثولما في طريقهم آخرين قد أكون أنا أو أنت من بين هؤلاء .
- غابة ؟
- لا غابة ولا حاجة .. مجرد مقاصة
- والضعيف الى مالوش فرصة سعادة ؟
- ما فيش حد ما داقش السعادة ... كل ما في الأمر، سعادته من نوع
تاني .. سعادته غير ساعتك .
- هي السعادة أنواع ؟
- معلوم ... في سعادة الفقير وفي سعادة الغني . السعادة أنواع تغطي
أطيايف البشر . وبتتغير مع الفرد الواحد مع تغير الزمان والمكان .
- تقصد كل برغوت على قد دمه .
- تمام . الفقير على قد حاله .. القليل يرضيه ويسعده أما الغني
كرشه كبير ولا يملأ عينه إلا التراب .
- تعرف كلامك يوافق حكاية كنت أحد أبطاها ومازالت تراودني
رغم مرور أكثر من نصف قرن على أحداثها . تسمع ؟
- طبعاً أسمع .
- من زمان ... يمكن بعد تخرجي في كلية الطب بستتين والّا ثلاثة
كنت ساكن في شقة على قد الحال جنب سينما بالاس بمصر
الجديدة . سينما بالاس الصيفي إللي جنب نادي هيليو بليس . كان
يوم من أيام فصل الصيف الى الحر فيه يخنق النفس ويسد النفس
عن الأكل ..

- تمام. قلت أروح السينما مع بعض الأصدقاء. التقينا ودخلنا السينما وفي فترة الاستراحة خرجنا نأكل بعض ساندويتشات كفتة وكبدة من مطعم مجاور للسينما لما الجوع قرص على معدتنا والحر قلت حدته بعد غروب الشمس.

- جميل.

سكت د. هاني وبدأ ينظر الي زوج ابنته وابنته أماني وحماها ووالد شامل ويتلمس وقع الكلام عليهم. كان يعلم ما تعانيه نوره هانم زوجة عبدالغفار من فراغة عين زوجها عبد الغفار. كان الله يرحمه انتهازى. كانت أناقته وشياكته زيادة وملفتة. والصيد إللي يقع ما يعتقوش. ما عندوش تصنيف للنسوان. ولا انتقائية في الاختيار.. كلهن نسوان. على عكس الحال مع د. هاني الذي وجد تناغما مع زوجته دلال. ثم تابع كلامه قائلا:

- شاهدت مجموعة من الشباب يتراهنون على من سيأكل عددا أكبر من الساندويتشات. تدافع الزحام فوجدت نفسي على حافة الرصيف. ما هو المحل ناصب فاترينة بيع ساندويتشات كفتة وكبدة وسجق على حافة الرصيف أمام المحل. زحام.. زحام.. وصباح الزباين لطلب الساندويتشات كأنها آخر زادهم.. وهم يستعجلونها حتى لا يفوتهم الفيلم.

واسترسل بعد لحظات من التأمل:

- أنا واقف وشايف المنافسة كاملة ولقيت ولد من أولاد الشوارع واقف جنبى.. عمره لا يتجاوز 15 سنة. الملابس مقطعة يمكن تكون معقولة في الحر إللي إحنا فيه المهم شد انتباهي ... لقيته بياكل الهوي وهو يراقب المتنافسين.

سألته نوره هانم بدهشة:

- د. هاني، يعني أيه بياكل الهوى ؟
- يحرك فكيه كما لو كان بياكل تماما معهم على إيقاع الأكلة
- يا حرام.. في ناس لسة ده حالها ؟

رد د. هاني قائلا :

- طبعا في ناس لسه حالها كده... وأقر من كده ... في ناس مش لاقية الهوى النقي تتنفسه ... ما علينا الولد عنيه جوه الأكل .

سألته من باب الإحراج مش من باب الشفقة :

- أجب لك ساندويتش ؟

أجاب الولد دون تردد :

- أيوه

- جيت الساندويتش وتخيلت إنه ح يلتهمه في قضمة واحدة. لكن إللي حصل كان أبعد مما تخيلت ويمكن أبعد مما تتخيلون

سألته نوره هانم متشوقة :

- قوللي الولد العفريت ده عمل أيه ؟ أوعي تقوللي طلب ساندويتش تاني؟

- يا ريت .. ببساطة وتلقائية نادى على كلبه سامبو ويسعادة غامرة قسم الساندويتش بينه وبين رفيقه في الشارع .

لم تكن زوجته دلال هانم قد سمعت هذه القصة من زوجها من قبل.. قالت بدهشة وتعجب :

- يا سلام !!! وبعدين يا هاني .

- حبيت أكفر عن محاولتي لإحراجہ فسألته أيہ أكثر حاجة تتمناها
في الدنيا ؟

واستفسرت دلال هانم بتشوق عن الإجابة :

- تمنى أيہ الولد الجميل ده ؟

- حلم على قدہ .. ما إحنا قلنا .. كل برغوت على قد دمه

توقف عن الكلام وتفرسهم جميعا وهم ينتظرون الإجابة قال :

- خمسة تعريفة .. والساندويتش كان بتلاثة قروش ونصف

وأوضحت نورة هانم في دهشة :

- يعني تمن الساندويتش إللي قسمه بينه وبين كلبه أكبر من حلمه .

- تمام . عشان كده في ناس ما عاشتش حياتها ولا مرة

وعقبت نورة هانم في حسرة :

- وفي ناس عاشت حياتها وحياة غيرها على قد كرشها ما ياخذ

ما تقوليش يا نورة هانم قدر ومكتوب

- لأ .. ده جشع وفجور

وخرج عبدالغفار عن صمته :

- ما تصدقش .. المسألة لا فيها جشع ولا فيها فجور . المسألة نسبية

وأحيانا تعبير عن الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو التعليمية وربما

تعبير عنها جميعا .

ضحكت نورة هانم وقالت في حسرة :

- كل يغني على ليله . مش كل الناس زيك .



مائدة إفطار

على شرف كونداليزا رايس

اجتمعت عائلة الأستاذ قدرى على الفطار فى قاعة الطعام الساعة التاسعة صباحا. توافد النزلاء منذ الساعة صباحا. الفطار بوفيه مفتوح. فيه كل ما لذ وطاب أطباق مكدسة بأصناف مختلفة من الطعام وأطباق فقيرة بما فيها من ألوان الطعام - عادة ما تكون انتقائية فى أصنافها. العمل يجري على قدم وساق. والمناقشات حول ما شاهدته البلاد حامية الوطيس. كانت أقرب إلى مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة. القاعة ممتلئة. والشهية مفتوحة والعقول متفتحة ومستنيرة. الحضور من كل حدب وصوب ومن كل فج عميق ومن كل ألوان البشر.

هناك مائدة تضم مجموعة من ستة أفراد تجاوزوا جميعا العقد السادس من عمرهم : ألمانان من فرانكفوت وأمريكيان من فلوريدا وسويسريان من بازل.. من الواضح أنهم جاءوا من بقاع مختلفة من العالم ليلتقوا فى شرم الشيخ بتنسيق مسبق فيما بينهم . جاءت مائدتهم بجوار مائدة عائلة الأستاذ قدرى. استهل حوار التعارف مستر بارى الأمريكى بقوله:

- بدأ التعارف بيننا منذ خمسة أعوام. واعتدنا نقضى عطلتنا السنوية هنا فى شرم. التعارف كان فى البداية بين زوجاتنا.

وأضافت مسز بارى:

- رغم الظروف التى تمر بها مصر ما قدرناش ما نجيش. شرم مكان تلاقي فيه كل شعوب العالم عايشة فى سلام ومحبة.

وقالت فراو أوتو الألمانية:

- بلدكم بلد جميل. كل حاجة فيه جميل. ما عدا المظاهرات. العالم فيه شيطان ملعون مش عاوز الناس تعيش في سلام ومحبة وتعاون..

واسترسلت متسائلة باندهاش :

- في أيه في الدنيا ما نخليناش نعيش مع بعض في محبة وألفة ؟ ما حدش يقدر ياكل أكثر من طاقتة. ليه في ناس عاوزة تاخذ حقها وحق غيرها.

وعقب مسيو كامى السويسري:

- الطمع.. كل واحد شايف إن إللي معاه مش كفاية.

قالت مدام كامى ببساطة وتلقائية:

- عشان باصص في إللي عند غيره من منظور الكم. يمكن لو شاف الصورة الكاملة يغير رأيه. أنا عايشة في سويسرا وسعيدة. الدنيا برد بس محتاجة شمس شرم. والدفع.. كلنا نكمل بعض. كده الدنيا تبقى جميلة.

أكدت عليّة على كلام مدام كامى وقالت :

- ده حقيقي. بس مين يسيبك في حالك. الولايات المتحدة لأمركية حطه المنطقة العربية في دماغها. ليه ؟

أجابت مدام كامى بتلقائيتها المعتادة :

- مصالحها في المنطقة والبترول والمرور في قناة السويس.

وأضاف مستر بارى:

- لا تستطيع الولايات المتحدة ان تفعل شيئاً فمصر هي المسمار

الذي يمنع إنهيار وعودة شبح حرب 1967 وحرب 1973 بين

العرب واسرائيل. إدارة أوباما لا تستطيع المخاطرة بتفجير الأوضاع في المنطقة.
وأضافت فراو أوتو الألمانية :

- هو هو هو، مصر مهمة جدا مش لأمريكا وحدها وإنما للعالم كله.
وأكد هر أوتو على كلام زوجته قائلاً :

- قناة السويس...شريان التجارة بين الغرب والشرق بتمر في مصر. كمان كامب دافيد والسلام في الشرق الأوسط. فلن يقدر النجاح للمفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية إلّي بدأت برعاية أمريكية دون أن يكون لمصر دور فيها.

وأبدت دهشتها سميحة هانم:

- ورغم هذا تكرر غلطتها إلّي غلطتها سنة 1956 عندما أرادت أن تقهر إرادة الشعب المصري في تمويل السد العالي، فكانت إرادة المصريين فوق الإرادة الأمريكية، وتم بناء السد رغم قطع هذه المعونة، وساد توتر في العلاقات المصرية الأمريكية لعقود كانت أمريكا هي الخاسر فيها وعرف الأسطول السوفييتي آنذاك المياة الدافئة. وربما تزداد معرفة روسيا بها في الوقت الراهن.

وتساءل هر أوتو:

- انتم مش شايفين إن إلّي بيحصل في مصر ودول الربيع العربي ده جزء من سياسة الفوضى الخلاقة.

التفت إليه الأستاذ قدري وقال في ثقة :

- بالطبع شايفين. بس المأزق الأمريكي في التعامل مع مصر يكمن في أنها تتعامل مع رجل عسكري من الطراز الأول له رؤيته الخاصة

حول كيفية بناء الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط فهو ابن المنطقة وعندنا يقول المثل : أهل مكة أدري بشعابها. ده الفريق أول عبدالفتاح السيسي فارس مصر الأول.

تابع كلامه وهو يتفرس فيهم لكي يتبين وقع كلامه عليهم:

- عشان كده الموقف الأمريكي يشوبه الارتباك والحيرة وعدم الوضوح والفهم مما يؤكد أنها لم تكن تتوقع ما حدث وهي تحاول مقاومته لكن يبدو أن الوقت والأحداث قد تخطت هذه المرحلة. بدأ الحوار يشد انتباه الحضور. فانضم إليه المحامي اللامع شكري منصور والإعلامي صبري يونس وجلست فرولاين إنجريد ابنة هر أوتو بين والديها وقد جاءت بصحبة جاك بارى ابن مستر بارى. كانا في جولة بحرية. انضمت المائدتان وأصبحت مائدة واحدة كبيرة. هذه مائدة جلوس أما الوقوف فكثر ولا سيما بين الشباب الذين شاركوا في الثورتين. وأفصح المحامي شكري منصور عن استغرابه لموقف أوروبا من ثورة 30 يونيو 2013 تساءل باندهاش:

- أنا متفهم لموقف أمريكا الداعم للإخوان وإن كنت رافضا له تماما. بس إللي مش مفهوم موقف الاتحاد الأوروبي وبالذات ألمانيا.

عقب فراو أوتو الألمانية قائلة:

- أنا متفهمة اندهاشك من موقف ألمانيا من الإخوان. وسوف يزداد اندهاشك أكثر على مزايده الحزبين الكبيرين في ألمانيا في الانتخابات الأخيرة. فالمستشارة ميركل وإئتلافها المسيحي الديمقراطي بدوا حريصين على التأكيد على أن ألمانيا تدافع عن

قيم الديمقراطية وعن حرية التظاهر وعدم استخدام القوة ضد المتظاهرين وأنها لا تؤيد الانقلابات العسكرية في أى دولة حتى لو كانت حليفة.

وأضاف هر أوتو قائلا :

- أما أحزاب اليسار المعارضة المنافسة لها وفي مقدمتها الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي رشح بيير شتيانبروك منافسا لميركل فيزايد هو الآخر لإظهار رفضه لفض إعصامات الإخوان بالقوة من قبل حكومة لم يتم انتخابها.

وأوضح الاعلامى صبرى يونس أن السبب الرئيسى وراء دعم ألمانيا لجماعة الإخوان والتنظيم الدولي التابع لها منذ ثورة 30 يونيو حتى الآن، يرجع إلى أن التنظيم الدولي لجماعة الإخوان يعتبر أكبر ثالث مستثمر في ألمانيا، وأنهى توضيحه قائلا:

- يهمنى أن أشير إلى رأى راينر شتاينر مسئول الشؤون الخارجية في الحزب الليبرالى الشريك فى حكومة ميركل فهو يرى أن على بلاده والغرب عموما التى تعيش أوهاام القوى العظمى و عاوزه تنظم شئون العالم على هواها وفرض نموذجها الديمقراطى على دول الربيع العربى أن تراجع نفسها.

وأومات مدام كامى وهى تشرب البلاك كوفي:

- أنا من المعجبات براينر شتاينر وهو يتنبأ بأن بلاده وأوروبا ستضطرب بل ستجبر على قبول التطورات فى مصر التى سيحددها المصريون وحدهم الذين لن يتأثروا بأى ضغوط اقتصادية من هنا أو هناك.

وأضافت قائلة بوضوح إن راينر شتاينر حذر ألمانيا والاتحاد الأوروبي عقب
زيارته لمصر مؤخرا قائلا:

- على الحكومة الألمانية والاتحاد الأوروبي الانتباه للمخاطر التي
ينطوى عليها أى تعثر لعملية التحول الديمقراطي في مصر.
وتعجبت عليه هانم وهي تمسك بفنجان القهوة التركي الذي تتناوله
بمزاج:

- شئ غريب دول تمسك وترفع رايات الديمقراطية والحرية
وحقوق الانسان والعدل والمواطنة وتتدخل في شئون العباد
عامله نفسها وصية على العباد زيا زي الجماعات الإسلامية
إللي طلعت لنا في البخت مؤخرا إللي بتكفر العباد... أنا مش عارفة
مصر حتلاحقها من الداخل واللا من الخارج!!
تأثرت فراو أوتو الألمانية بكلام عليه هانم وسألته سؤالا لم يخطر على
البال:

- معذرة أنا حبه أعرف اسمك.. انت اسمك أيه؟

- عليه

- ألية.. اسم حلو كتير

قفزت إلى رأس عليه صورة ماري منيب وهي تسأل عادل خيرني في
مسرحة إلا خمسة أكثر من مره انت بتشتغلي أيه ؟
ضحكت وضحك الحضور. كانت فرصة لتجديد الحيوية والنشاط.
وانضم إلي الحضور ودخل في دائرة النقاش كل من رجل الأعمال مدحت
الصباحي وصديقه منير صبحي رجل من رجالات السياحة البارزين وهما
من بين أعضاء مجلس إدارة مجموعة فنادق الرينيسانس السياحية. مدحت

الصباحي نحتت عوامل الوراثة شعر رأسه بالكامل تقريبا، وهو لم يتخط الخامسة والثلاثين من عمره بعد. ملاحظه دقيقة .. فالوجه وجه طفل برئ رغم أنه يحيا ويتنقل بين جنات العالم. طويل القامة ممتلئ في إفراط نتيجة للأكل في الفنادق والمطاعم. ربما تقرأ على ظهره عبارة : " أكل في البيت ليه لما أفضل الطهارة وأمهرهم في الفنادق ". وإذا ما تحرك اهتزت معه خدوده وصدره وأردافه بإيقاع حركته. دائب الحركة والسفر للترويج لمجموعة فنادق الرئيساتس السياحية. يتمتع بخفة الدم التي تتمتع بها الشخصيات البدنية.

إذا صادفت منير صبحي في أي مكان بادرك بابتسامة طيبة فهو يرى أن معرفة الناس زي القرش الأبيض كنز لا ينفد ينفع في اليوم الأسود. شخصية ودودة لها رصيد ضخم من المعارف والأصدقاء رغم أنه لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره. نحيل القوام تقترب قامته من المائة والسبعين سنتيمترا. الرأس يغطيه شعر أسود مجعد يحرص من فترة لأخرى أن يخرج مشطا من جيبيه يمشط به شعره. العينان عسلتان نافذتان بريق أخاذ .

انضم الى الحضور د. فتحي عنبر استاذ العلوم السياسية بإحدى كبريات الجامعات الأمريكية. جميعهم يرتدون ملابس كاجوال صباحية. قال د. فتحي وهو شاب يقترب عمره من الأربعين عاما. يتمتع بثقة كبيرة يكشف عنها اعتداد بالنفس وشخصية قوية وعينان نافذتان .. قال اسمحي لي عليّة هانم أن أوضح جزءا من الصورة:

- في عام 1983 وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع على مشروع صاغه برنارد لويس المستشرق البريطاني الأصل، اليهودي

الديانة، الصهيوني الانتباء، الأمريكي الجنسية أطلقوا عليه اسم: حدود الدم.

وأضاف موضحاً أن الهدف من هذا المشروع تقسيم الدول العربية والإسلامية على أساس ديني ومذهبي وطائفي. اعتدل في جلسته وجال يبصره يتأمل اهتمام الحضور وشرب بعض الماء الثلج وتابع كلامه قائلاً:

- في لقاء صحفى مع جريده الواشنطن بوست الأمريكية في ابريل 2005 أعلنت كونداليزا رايس رسمياً نية الإدارة الأمريكية نشر الديمقراطية في العالم العربي والتدخل من أجل حماية حقوق المرأة وغيرها من الأمور لتشكيل ما يعرف بالشرق الأوسط الجديد.

توقف د. فتحي عنبر قليلاً ليتبين وقع ما قاله على الحضور. وكما هو متوقع عقببت سميرة هانم بدهشة واستغراب قائلة:

- ده بأمارة أيه إن شاء الله ؟

جاءتها إجابة من أحد الشباب الواقف:

- بأمارة القوة ؟

- بأمارة القوة ! تقصد البلطجة يا ابني .

- والله زى ما تحسبها كده بلطجة كدة قوة مش فارقة.

وجاءتها لإجابة من مستر بارى الذي كان جالساً باسترخاء ساند ظهره إلى الوراء ومددا ساقيه قال:

- لا تنسى سميرة هانم أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر نقطة فاصلة في التفكير الاستراتيجي الأمريكي.

اعتدل في جلسته قليلا وبدأ يشرب من زجاجة مياه معدنية. قال بهدوء:

- صحيح أن الاهتمام الأمريكي قبل الحادى عشر من سبتمبر بالجماعات الإسلامية ليس بمثل اهتمامها بعد الأحداث لأنها عكست حجم تهديد الجماعات الإسلامية إللى يمكن أن توجهه للولايات المتحدة. صحيح هذه الجماعات كانت موجودة قبل تلك الأحداث بس ما تنسيش أنها تمكنت من ضرب برجى مركز التجارة العالمى بمئهاثن ومقر البتاجون .

وعقبت عليه بشهانة :

- يستهلوا خليفهم يدوقوا الخوف والرعب الى مدوقينه للعالم.

جاء شاب من آخر القاعة يلهث مسرعا يمسك بكأس ممتلى بالآيس كريم قال كمن يخشى أن يضيع منه الكلام أو تهرب منه الأفكار أو يسيح منه الآيس كريم :

- معذرة، لا تؤاخذوني أقحمت نفسي في المناقشة بس عندي شئ لا يمكن السكوت عليه..

تردد بين الحضور قول :

- خير
- ما هي ده الحجة البايخة الى الولايات المتحدة الأمريكية بتسحبج بها. يعني يستغلوا المجاهدين المسلمين ويزودوهم بالسلاح و العتاد في أفغانستان لحد ما الاتحاد السوفيتى قال حقى برقتي وخرج من أفغانستان وبعدين بقي المجاهدون إرهابيين.

سكت الشاب والتهم بعض الأيس كريم قبل أن يسبح. الحضور ملتزم الصمت. تابع الشاب كلامه :

- قشطة كدة. قشطة وميت فله على القعدة الحلوة ده.
أمريكا بتعتبر الشعوب الإسلامية وبالذات العربية منها عقبة أمام العولة. تاهت ولقيناها .. نفتتهم .. ونخلص عليهم .. ونبقي خلصنا على الإسلام بالمرة..، ما هو ده عالم ما لو ش عوزة.
تساءلت مدام كامى السويسرية موجهة كلامها للشاب :

- أنت شاب جميل. اسمك أيه ؟

- حسن المصري

- اسمك حسن.. مش بطل يا حسن.

لم تمهل مدام كامى الحضور فرصة للضحك وبادرت به سؤال آخر:
- أنت حسن أنت قلت كلمتين أنا ما فهمتهمش، يعني أيه حسن هقى برقتي.

تأملها حسن المصري وابتسم وسألها:

- بس الكلمتين دول إللي إنتي مش فاهماها ؟

- لا حسن في كلمتين كمان ما لو ش أوزة

- حقى برقتي يعني ينفد بجلده.. يعني يهرب من الموت ويسيب كل حاجة.. أوه كل حاجة.

- ده ماشي، طيب الثانية .. ما لو ش أوزة؟

- ما لو ش أوزة يعني مش مهم.

- إزاي مش مهم شرق أوسط ؟! إزاي مصر مش مهم !سؤودية

مش مهم ! مين بقى مهم؟

قال منير صبحي رجل السياحة المحترم متعجبا:

- حقيقي أنا مندهش، فوضى خلاقة على عيني وراسي من فوق.
تتجرب في البلاد إللي بدعتها.

وأضاف مستنكرا:

- أمريكا فيها بني آدمين من على كل لون يا باتيستا. في 45.5 مليون مواطن من أصل إسباني يعيشون في الولايات المتحدة وهناك الأقلية السود وعددها 40.7 مليون مواطن كمان في الأقلية الآسيوية وعددها 15.2 مليون مواطن يعني الفوضى الخلاقة تتجرب عندها في أمريكا على مية بيضة. والّا احنا فيران للتجارب؟!!

تابع كلامه وهو يشرب كوب ليمونادة مشربة قائلا:

- ومبروك عليها التجربة ونتائجها... بس مش علينا يا يانكي!
عاد الشاب حسن المصري ليذكر الحضور بأن ما آلت إليه الأمور من دمار وخراب وحروب واقتتال هو الهدف المراد من الفوضى الخلاقة انتظارا لإعادة بناء لهذه المجتمعات المهمجة زي ما بيقولوا. وحذر ساخرا بقوله:
- أخشى أن يكونوا منتظرين القضاء علينا جميعا عشان تتحقق نبؤة العرافة كونداليزا رايس ما هي الحكاية باينة.. العراق ومزقوه والسودان وقسموه وسوريا يا عالم حتنتهي على أية؟
واسترسل وهو يكظم غيظه:

- ومصر كان الدور عليها. بس مصر محروسه بعناية الله منصورة.
أثنى رجل الأعمال مدحت الصباحي على رؤية الشاب حسن المصري وعلم أنه يدرس في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ونوه إلى أن ما

صرحت به كونداليزا رايس : بأن الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط في البداية هي من نوع " الفوضى الخلاقة " التي ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حالياً!! وعقب د. فتحي عنبر قائلاً وهو يتأمل الحضور غير المتململ والمتشوق لأن يعرف، ويفهم ما يجري حوله. الناس في متاهة. كل ما يجري على الأرض بعد عزل الرئيس السابق غير مفهوم وغير مقبول. فلا شيء يبرر قتل المواطن المصري أخاه المواطن المصري. فإذا تعارضت طاعة الله مع طاعة المرشد أو الجماعة قدم طاعة الله على طاعتهم، لأنه مستسلم لله وليس لغيره.. قال وقد استعرض الوجوه المترتبة لكل جديد:

- يتصور البعض أن تلك الفوضى تستهدف إثارة اضطرابات وإشعال الفتن والحروب الأهلية وتفكيك وحدة الدول وتقسيمها فقط علماً بأنها أصلاً نمط " ثوري " من أنماط التغيير.

اقترح الأستاذ قذافي بعد أن لاحظ العاملين في قاعة الطعام يرغبون في استحياء إخلاءها لتجهيزها لوجبة الغداء أن تكون مواصلة الحوار إما الآن وإما الساعة الرابعة عصراً في اللوبي واقترح محورا للحديث أسماه فرصة الإخوان الضائعة.

وعندما أشرقت الساعة على الرابعة عصراً كان الحضور مكتملاً كأننا على موعد مع العرض الأول لفيلم سينمائي الجمهور في شوق على مشاهدته. الحضور كبير بين مشاركون ومستمع. اضطرت إدارة الفندق أن تخصص له قاعة حتى لا يكون اللوبي مزدحماً فيربك حركة نزلاء الفندق. شيء لافت للنظر كأنهم على موعد لأن يكشف الجميع عما يحول بخاطرهم من آراء حول ما دار في البلاد من أحداث جسام في عهد الرئيس المعزول

مرسي وما يحدثه أنصاره من اضطرابات في بلد آمن هادئ مستقر بطبعه وسلوك أهله السلام والأمان كأن شياطين مرده حلت بها وأصبح أهلها حيارى في صرفهم. غريب شأن هذا الخلاف فلا خلاف شخصي مع المعارضة وإنما الخلاف حول شرعية فرد لا يصح ولا يجوز الإقتال من أجله مهما علا شأنه. وهل من عاقل يختر يقبل قتل آلاف من الأبرياء لا شأن لهم ولا ناقة لهم ولا جمل فيما يحدث مقابل نفس واحدة مهما علا كعبها. دخل الأستاذ قدرى وأسرته اللوي فوجده خاليا وعلم من خدمة العملاء أن اجتماع الساعة الرابعة خصصت له قاعة السلام في الدور الأرضي. توجه إلى القاعة وبرفقته عائلته الكريمة. توقف عند الباب مندهشا فاغر الفاه وتسمرت عليه هانم في مكانها مشدوهة أما سميرة هانم ففركت عينيها لكى تصدق ما تراه من حشد غفير وتضاعف الأثر عليهم عندما استقبلتهم عاصفة من التصفيق المدوي. حياهم وأثنى على استقبال الكريم واهتمامهم المشكور بالحضور. جلس المجتمععون على هيئة مائدة مستديرة. الرؤوس متساوية عندما يقارعوا بعضهم بعضا بالحجة والدليل. ولم يتفرقوا شيعا وفرقاء. الوجوه مستبشرة والنفوس يحدها الأمل والعيون لامعة يشع منها النشاط والهمة. قال في ثقة واعتزاز :

- أرى فيكم حب مصر وبلدنا ما بتنساش أبدا الى ييجبوها. الحقيقة مش عاوزين ننسى كمان أننا عندما نختلف إحنا في البداية والنهية مصريين عشنا وعاشين وحنعيش مع بعض لا يفرقنا دين ولا جماعة ولا عدو. نحن على قلب وطن واحد اسمه مصر. دوي في القاعة هتاف : رابعة... رابعة.. الشرعية الشرعية. خفت الهمتاف وتلاشى عندما لم يجد من المؤيدين عددا كافيا لترديده. تبادل الهمتاف

النظرات فأيقنوا أنهم أقلية فلم يرددوا الهتاف. سادت لحظات من السكوت المطبق فقد صرّح المحض عن الزبد. تبين للحضور مشاربهم واتجاهاتهم. انكشفت الهويات على حقيقتها. خيم على القاعة صمت رهيب وسكون مريب.. مرت لحظات من القلق احتبست فيها الأنفاس. خيل للبعض أنهم في قبضة بعض الإرهابيين من أنصار المخلوع. أنفجر المجتمعون ضاحكين عندما ظهرت بعض أفراد أمن الفندق في أعقاب ترديد الهتافات. قال الأستاذ قدري تعقيا على الهتافات :

- أنا مش فاهم يعني أيه رابعة رابعة. هي رابعة كانت أيه بالضبط ؟ موقعة انتصار على أوامر ضبط وإحضار من النيابة العامة ؟ تعطيل مصالح العباد وإزعاجهم والخروج على أبسط سلوكيات النظام العام والمجتمع المتحضر . ده مسائل لا يقرها دين سماوي ولا عقيدة. لا تقرها إلا شريعة الغاب ومحاولات فرض السلطة بترويع المواطنين.

وعقبت سميرة هانم قائلة بإيمان شديد بعد البسملة :

- "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " . رجاء لكل العقول المستتيرة في التيار المتأسلم أن تنزع غشاوة السمع والطاعة عندما ترى المشهد السياسي لتتمكن من رؤية الحقيقة .

قال شكري منصور المحامي ..وهو محام قدير من نزلاء الفندق وريب شرم الشيخ. صوت قوي واضح مخارج الحروف سليمة..حاضر البديهة . قوي الشكيمة لا ينقاد بسهولة ولا يستسلم لأمر إلا برغبته ..يقودك بحجته إلى مبتغاه .عيناه تنم عن ذكاء وصرامة:

- تعالوا نتابع سويا حكاية الاعتصام إلى حدث في ميدان رابعة العدوية في مدينة نصر. فبدايته واكبت اعتصام ميدان التحرير تنديداً بسياسات مرسي ومطالبته بالتنحي، وبالتالي خرج آلاف من جماعة الإخوان لتأييد محمد مرسي، واتخذوا من رابعة العدوية مقراً لاعتصامهم منذ يوم 28 يونيو واتخذ شباب الإخوان وقياداتهم من لفظ الشرعية مبدأ لهم، فنصبوا الخيام الواحدة تلو الأخرى بالميدان في محاولة لتثبيت رئيسهم في مواجهة مهلة للخروج من الأزمة. ولكن جاء قرار القوات المسلحة بعزل محمد مرسي عن الحكم تلبية للملايين التي خرجت في 30 يونيو 2013 بعكس ما توقعته جماعة الإخوان المسلمين.

وأضاف الإعلامي صبري يونس قائلاً :

- أياه كمان حكاية الشرعية إللي داوشين دماغنا بيها. الشرعية الثورية والّا الشرعية الدستورية ؟ الرئيس المعزول ما لوش أي شرعية. ما عندوش من الأصل شرعية ثورية لأنه ببساطة ما قامش بثورة. كان عنده شرعية دستورية بس للأسف أهدرها.

صاح أحد الهمتيفة مقاطعاً الإعلامي صبري يونس قائلاً :

- أنت إعلامي فاسد تزور الحقائق لأسيادك الانقلابيين.. أنت إعلامي علماني كافر. لا تعرف دين ولا شريعة ولا شرعية.

عقب الإعلامي صبري يونس عليه بهدوء قائلاً :

- والله انا أشفق عليك من بذاءة لسانك وده يتعارض مع لحيتك الأطول منك.. إللي المفروض أن تدّكر بعفة اللسان... مَنْ انقلب على مَنْ يا شيخ.. ؟ قتلتي اسمك أياه يا شيخ ؟

أجاب الهتيف:

- أبو اسماعيل
- يا شيخ أبو اسماعيل لعلها فرصة سانحة لنا لأن نفهم بعضنا بعضا.

قال أبو اسماعيل مستنكرا:

- أفهم من علماني انقلابي كافر ؟ ! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- تفرس الإعلامي صبري يونس وقد تمالك أعصابه في وجه أبو اسماعيل وقال :

- أسلوبكم واحد في اللف والدوران والمراوغة. كلكم من طينة السمع والطاعة.

طرح د. فتحي عنبر استاذ العلوم السياسية سؤالاً صريحا واضحا لا لبس فيه:

- ماذا يريد تحالف عودة الشرعية ؟
- ظهرت مجموعة هتيفة ترغب في الإجابة نظر إليهم أبو اسماعيل نظرة صارمة أقعدتهم جميعا في أماكنهم وأشار إلى أحدهم بكفه وقال:
- قل لهم يا أبو يحيى ماذا نريد ؟

قام أبو يحيى وهو شيخ أوشك إن يدرك العقد الخامس من عمره. الوجه مستدير والعينان سوداوان بياضهما شاهق وشعر الرأس واللحية أسود يخالطه الشيب على استحياء طويل القامة. يلبس جلبابا أبيض ويضع على رأسه غترة . دارت عيناه في القاعة تبحث عن مكان تستقر عندها وجد

عيونا مفتوحة لتستمع إليه وعقولا تترقب كلامه لتراه. قال وقد أعياه
البحث عن ميناء يرسو عنده:

- نحن ندعم ثورة الشعب الرافضة للإنقلاب ونطالب بعودة
الشرعية الدستورية وضرورة احترام إرادة الشعب
واعتماد صناديق الانتخابات أداة وحيدة للممارسة الديمقراطية.
وتساءلت سميرة هانم باندهاش :

- يعني كما كنت زي ما بيقولوا في الجيش. عودة المعزول المخلوع
محمد مرسي الإرهابي وعودة العمل بالدستور الإخواني والتراجع
عن قرار حل مجلس الشورى والإفراج عن القيادات المقبوض
عليها.

وقالت ضاحكة بتعجب :

- يا جماله ... يا جماله ! طيب و30 مليون مواطن إللي خرجوا نقول
لهم أيه.. ما عليشي التوبه دي.

ظل الأستاذ قدرى صامتا يدور في رأسه ما يدور أمامه. فبدلا من حل هذه
الجماعة وإلى الأبد وملاحقتها قانونيا على جرائمها وإرهابها وترويعها
وتهديدها العلنى والصريح للمواطنين وللأمن القومي المصري وتطاوها
الصارخ والشنيع والبشع على مؤسسة الجيش المصري العظيم وتمهجمها
السافر على مشايخ الأزهر الشريف يجد من يتبجح بالقول متطاولا على
الجيش والأزهر والشرطة. وتبادرت على ذهنه المخاوف الحقيقية من سيطرة
جماعة الإخوان على شوارع القاهرة وذلك بعد اتجاهها إلى الاقتتال مع أهالي
المناطق المحيطة باعتصام النهضة و رابعة مما أدى إلى سقوط عشرات من
القتلى، كما قامت جماعة الإخوان و معهم مجموعات من السلفيين بقطع

الطرق حول اعتصاماتهم وبناء حواجز وجدران . وتواترت أنباء عن العثور على جثث لمواطنين تم تعذيبهم وإلقائهم في محيط اعتصامي رابعة والنهضة . وراودته نفسه متسائلة هل كان من الممكن السكوت إلى ما لا نهايه على معاناة أهالي المناطق المحيطة بتجمعات الإخوان والسلفيين .

حدثته نفسه متسائلة ألم يقيم حسني مبارك بالتخلي عن حكم مصر في أعقاب ثورة 25 يناير التي باركها وأيدها الجيش وتم انتخاب مرسي رئيسا للجمهورية ولم يقيم أنصاره باعتصامات ومظاهرات مطالبة بعودة الرئيس المنتخب الذي أتت به صناديق الانتخابات المشكوك في نزاهتها . غريب أمر الإخوان وأنصارهم فليس حال مرسي أفضل من حال مبارك.. بل من خرج من الشعب في 30 يونيو مطالبا بعزل مرسي أضعاف من خرج للمطالبة بعزل حسني مبارك.. عجيب أمركم يا أخوان يا ..خرج من تأملاته على سؤال طرحه أحد الحضور مستفسرا :

- الحقيقة إنتم تحيروا العالم بتخبطكم تارة عاوزين بيعة وتارة عاوزين اعتباد صناديق الانتخابات أداة وحيدة للممارسة الديمقراطية. تقصد بمين ثورة الشعب الراضة للإنتقال يا أبو يحيى ؟ مين دول أنا لا شوفتهم ولا سمعت ولا قرأت عنهم ؟

أجاب أبو يحيى بزهو:

- إحنا

- ما خبيش عليك المحكمة ما تنورتش.. زدني من علمك أكرمك الله.

انفجرت القاعة ضحكا وتملك الغيظ من أبو يحيى وسأله باستهتار:

- مين أنت ؟

- مش مهم أنا مين المهم إنتو إللي مين؟ دوري أختار من بين اللاعبين على الساحة السياسية إللي يصلح لتمثيل دولة عظيمة زي مصر.. عرفت أنا مين؟
- جاءت إجابة أبو يحيى فاترة مستهتره:
- نورني أعزك الله ؟
- أنا مصر
- دوت القاعة بالتصفيق وتابع كلامه قائلا:
- أما أنتم بتوع طظ في مصر. لو أن ذراعك اتبتر في الحرب كنت عرفت يعني أيه مصر؟ لو أن ابنك نال شرف الشهادة لعرفت يعني أيه مصر؟ لو أن أبوك نال شرف الشهادة لعرفت يعني أيه مصر؟ مصر عمرها ما كانت شوية مواطنين مغيبين بالسمع والطاعة. ولا مواطنين غلابة استغليتوا فقرهم بالزيت والسكر. تقدر تقول لى إنتوا مين ؟ خَلَيْت لكم الساحة تلعبوا فيها على راحتكم في العقود الأربعة الأخيرة. لعبتم على ثلاثة أوتار الفقر والجهل والدين .
- إحنا مجموعة أحزاب منها حزب البناء والتنمية وحزب الحرية والعدالة وحزب العمل الجديد وحزب الفضيلة وحزب الإصلاح وحزب الوسط وحزب التوحيد العربي وحزب الوطن والحزب الإسلامي.
- إنتم بتكلموا باسم مين ؟ اعتقد أن كبيركم حزب الحرية والعدالة ده كوادره الموجودة على الأرض حاليا بتولول وتقول قياداتنا معتقلين في السجون.

توقف عن الكلام ولاحظ إنصاتا واهتماما من الجميع وتحفزا من الهتيفة وأن النظرات تتناقل بينهم وتستقر عند أبو اسماعيل ليحصلوا على الإذن بالهجوم. ابتسم الرجل ابتسامة الواصل المطمئن. تابع كلامه :

- بس همّ مش معتقلين. همّ محبوسين على ذمة جرائم اقترفوها في حق البلد والشعب. القرار عند قياداتهم.. وحزب الوسط نفس الحال.. معظمهم كانوا أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين وبعدين انفصلوا عنهم سنة 1960

التقط د. فتحي عنبر الخيط من الموطن المصري وقال مندهشا:
- عجيب أمر هذه الأحزاب أنا أفهم أن الانضمام لحزب أو جماعة يعني الالتزام بمبادئه بس ده لا يعني إلغاء العقل أو إباحة الكذب.

سمع همهمة في صفوف الهتيفة أعارها اهتماما قليلا وتابع كلامه :
- سبحانه وتعالى أعطانا العقل لنميز بين الطيب والخبيث وبين الصواب والخطأ ليحاسبنا. أنا مش قادر أفهم ولا أتصور قادات لها قدرها واحترامها لا تستطيع اتخاذ قرار بشأن القيادات معتقلة واللا محبوسة. إللي حيتحاسب أنا مش المرشد ولا رئيس الحزب ولا قياداته ولا رئيس الجمهورية عندما ارتكب أثما.
اشترك في الحوار رجل له هيئته. لحيته مهذبة. تكشف عن هوية متدينة وإن كان لا يلبس عمة ولا قفطانا. تداولت بين الحضور نظرات متساءلة إلى أين يأخذنا هذا الرجل الوقور الطيب. شعر فضي ناعم وصلعة غير عميقة والعيون واسعة بريقها يكشف عن الفطنة والذكاء. الجبين به خطوط غائرة

متوازية حفرتها السنين .القائمة ممشوقة تنم عن رياضي في شبابه ولت أيامه .
ارتاح الحضور لهيأته وبادهم ابتسامة مشرقة :

- أقدر الولاء للوطن لأنه قاسم مشترك بيننا . الطاعة لله واجبة لأنه
سبحانه وتعالى الخالق الذي له ملك السموات والأرض . طاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة علينا فيما أمرنا به وفيما نهانا
عنه وقد أمرنا الله بذلك .

وأضاف بعد ان شرب بعض من عصير البرتقال :

- طاعة ولي الأمر فيها تفصيل . من هو ولي الأمر ؟ هل هو من جاء
ببيعة من المسلمين جميعا ؟ وكيف يتحقق هذا الآن في ظل وجود
دول اسلامية متعددة وعدم وجود دولة خلافة واحدة ؟ وهل هذا
لون جديد من الملكية الوراثية

واستطرد متسائلا:

- هل سيكون هناك خليفة للمسلمين في كل دولة ما دامت الدول
الإسلامية غير موحدة تحت علم واحد ؟ أم أن خليفة المسلمين
حلم بعيد المنال وكلنا نرجوه .المهم الخليفة رجل دولة واللا رجل
دين ؟

وعلق أبو يحيى قائلا باندھاش:

- أنتم ناسيين أن دين الدولة الإسلام وأن الشريعة الإسلامية مصدر
التشريع .

قالت علية هانم معقبة:

- مين قال إحنا ناسيين ؟ المهم إنكم تكونوا إنتم فاكرين .

قال أبو يحيى موضحا:

- نظام الحكم في الإسلام هو نظام الخلافة وهو نظام حكم متميز. فالشريعة المطبقة من عند الله. وهى ليست من الشعب.

وأكد أبو اسماعيل على أن:

- القوانين إللى عندكم قوانين وضعية وضعها الطواغيت عبدة النظم الليبرالية الدخيلة على الأمة بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية.

انتفض قدرى متسائلا في غضب :

- ومن عندكم سيضع القوانين يا أبو اسماعيل ؟

- علماء المسلمين

- بَشِّرْ واللا ملايكة يا أبو اسماعيل ؟

- بَشِّرْ .

- معصومون من الخطأ يا أبو اسماعيل ؟

- لا . لا تنسى أنهم علماء وليسوا أنبياء .

- لا تنسى يا أبو اسماعيل أن علماءنا إللى وصفتهم بالطواغيت علماء فقهاء.

سكت أبو اسماعيل وشرب بعض الماء ليهدي من روعه. قال بانفعال مُرَوِّض:

- نسيتم يا مسلمين كتاب الله وسنة رسوله فأنساكم أنفسكم.

توبوا إلى الله يرحمكم الله

هلل الهتيفة وهتفوا الله وأكبر... الله أكبر.. لم يشاركهم في التهليل والهاثاف سوى نفر قليل من الحضور. سكت لحظات وتابع قائلا:

- نحن نقيم رجلا واحدا لينفذ شرع الله. فنبايعه على الكتاب
والسنة بيعة رضا واختيار منه ومن الأمة وبذلك ينعقد بينه
وبين الأمة عقد خلافة لا عقد إجارة. عقد الخلافة عقد
لتنفيذ شرع الله، وليس عقدا لخدمة الأمة ومنافعها. فإن
تعارضت المنفعتان وجب تنفيذ شرع الله.

خيم على القاعة سكوت مطبق. يبدو أن معظم الحضور لم يسمعوا
أو قرأوا شيئا مما يقوله أبو اسماعيل أو ربما يتحفزون للرد عليه وربما
ملك الرجل مشاعرهم فسحروهم بكلماته المنمقة.
اختتم أبو اسماعيل كلامه بقبلة قائلا:

- أمر الخليفة ليس بيد الأمة وإن كانت الأمة هي التي نصبته خليفة
وإنما أمره بيد الشرع. الأمة تحاسبه على أعماله في تطبيق الشرع.

قالت سميرة هانم باستغراب:

- طيب ده حاجة زى الملكية. يعني زي الملك فاروق خليفة
المسلمين. ما هو فاروق كان فعلا في بداية حكمه الملك المحبوب،
ثم أصبح الملك المؤمن، ثم خلعوا عليه الملك الصالح قبل أن يكون
خليفة الله على الأرض. بقى كده. طيب ده ماشي مع دولة
الخلافة. طيب هي فين دولة الخلافة ؟ بس ماتنسوش بدأت بالبيعة
الحقيقية مع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ثم تحولت الدولة
الأموية وما بعدها من دول إسلامية إلى توريث الحكم ببيعة شكلية
.. مش كدة واللا أيه ؟

قام أحد المهتفة وقال بانفعال شديد:

- موجودة إن شاء الله بعودة الشرعية الدستورية للرئيس مرسى إللي تمت مبايعته في ميدان التحرير
- وعلقت عليه هانم باستياء:
- يعني المخلوع راح ميدان التحرير عشان الجماهير تبايعه ! شوف إزاي المخلوع ونصاحته؟ يا حلاوة يا ولاد طلع للمخلوع بيعة.
- وأعقبت :
- بس هو مين ده إللي يشتري معزول واللا مخلوع ؟
- وعقب الأستاذ قدرى ساخرا:
- الله إنتم ناسين ما هو كان استبن ييقى كده رئيس فوق البيعة..مش كده واللا أيه؟
- ضحك الحضور واستشاط أنصار دعم الشرعية والهتيفة غيظا وانبرى أحدهم قائلا بانفعال شديد :
- احترم رئيسك المنتخب. احترم يا سيد الشرعية الدستورية واللا ده أخلاق الانقلابيين ؟
- أخفى الأستاذ شكري منصور المحامي ضحكته وقال مستكرا
- والله يا سيد ما خليتوا فيها منطق ولا أخلاق ولا احترام ولا دين.القيم والمفاهيم اختلت.اتلخبطت..اختلطت.
- واستطرد باستياء :
- في شئ غلط في تفكيركم.أنا عاوز واحد بس يفهمني ليه عمليات التخريب والقتل وقطع الطرق والاغتيالات ؟

عقب أحد أنصار دعم الشرعية لا يتجاوز عمره العقد الثالث بحمية الشباب:

- القوة على الأرض تحقق المطالب !

استنكر الأستاذ شكري منصور الرد قائلا:

- على حساب شرع الله !! على حساب صالح الأمة .. يعني فرض

الحكم بالقوة مش برضا الشعب. يعني أنتم عاوزين تقهروا

الشعب والجيش والشرطة.

قام شيخ تجاوز الخمسين من عمره وقال مختالا :

- القوة هي لغة العصر. لازم تكونوا شايفين إحنا مدوخين البلد

كلها عشان ترجع الشرعية. شهداؤنا في اللجنة وشهداء

الإنقلابيين في الجحيم.

قال د. فتحي عنبر موضحا:

- كمان صنفتم الشهداء .. لا اله إلا الله !! حتى التقية بتكذبوا بها على

أنصاركم المغييين .. طيب على الشعب وتكذبوا وتقولوا لأنصاركم

وعشيرتكم إحنا المسلمين والشعب كافر .. يبقى من حقنا

نكذب. ما أنتم واخدين بمبدأ التقية الشيعية، في كل ما يخص تنظيم

الإخوان وبالتالي عندكم كل شىء مباح.

وشاركت سيدة منقبة في الحوار .. قالت وفي قلبها غصة وحسرة :

- عشت أيامهم .. مشكلة تنظيم الإخوان إنه شايف نفسه معسكر

الخير، وأن الآخرين فئة ضالة من الأشرار الذين يستحل فيهم

الكذب في الدنيا، والعذاب في الآخرة. يعيش الإخوان وسواس

التعرض للمؤامرة سواء علي صعيد الأنظمة المحلية أو الدول

الأجنبية .. فهم يعيشون وهم تعرضهم لمؤامرة كونية ويتشحون
برداء تعرضهم للظلم البين وتاجروا بما تعرضوا له من قمع
وتعذيب تحت أقبية السجون في الستينات واشتروا به عرضا زائلا لم
يدم لهم إلا قليلا .. وهو الحكم. يتشدقون بالشرعية والشرعية منهم
براء.

ساد صمت مهيب بين الحضور كأنّ على رؤوسهم الطير... ربما لأن السيدة
المنقبة كانت من بين صفوفهم .. وربما لإتاحة الفرصة للعقول أن تستوعب
وتعي فتعود لصوابها... وإما تأبى وتستكبر فتواصل غيها.. كانت بمثابة
قبس من نور وسط ظلمات الإدعاء والبهتان.. خرج صوت أشبه بفحيح
الأفعى يقول منددا :

- إمراة مرتدة فاجرة ؟

تعالّت أصوات الإحتجاج منددة بصوت الأفعى فانكمش الرجل بداخل
نفسه التي ربما ضاقت به ذرعا.. أصوات الإحتجاج أغلقت فمه ..
وأشارت بيدها لوقف أصوات الإحتجاج وقالت بهدوء :

- لا أنا مرتدة ولا أنا فاجرة. عندي شجاعة العودة إلى الحق فلما

جانبكم الرشد والصواب تركتم. أنت في هذا الموقع لأنك مأجور

أما أنا فأمرأة حرة يمكنني أن أدفع لك أكثر مما يدفعه أسيادك. ولا

تنسى أنك عليك عقاب رمي المحصنات زورا.

كلما تكلمت هذه السيدة المنقبة كان الصمت سيد الموقف. تتكلم بهدوء

يجبرك على حرص الاستماع إليها وبحكمة تخاطب عقلك فينحاز إليها دون

تردد. انسحب الرجل وسط صيحات استهجان من الحضور.

أعاد د. فتحي عنبر المشهد إلى سيرته الأولى قائلا :

- الشرعية الدستورية لها أجل يمتد بامتداد صلاحيتها. فإن فقدت صلاحيتها سقطت أو تآكلت أو إهترأت. تماما زى صلاحية الإستبن. صلاحية مرسي كانت شبه منتهية قبل توليه السلطة. استهجن أحد المهتيفة قائلا بسخرية :
 - يا مولانا أنت بتكلمنا عن الشرعية كما لو كنت بتتكلم عن الشعرية وتاريخ صلاحيتها للأكل.
- أعاد د. فتحي عنبر كلامه مبينا:
 - للشرعية فترة صلاحية تنتهي بنهاية فترة ولاية الرئيس أو إخلاله بواجبات وظيفته. فهو موظف في الدولة بعقد إجارة ينقعد بمجرد فوزه بالانتخابات وهو بهذا يختلف عن عقد الخليفة. أما عقد الخلافة فهو عقد لتنفيذ شرع الله.
- تابع د. فتحي عنبر كلامه قائلا :
 - وأخطاء الرئيس المعزول كثيرة ومتنوعة ولعل أكبرها الإعلان الدستوري إليّ منح نفسه به سلطات واسعة رغم تراجع عنه شن الإعلامي صبري يونس هجوما مركزا على فترة حكم الرئيس المعزول مرسي وهو إعلامي محسوب على جبهة الإنقاذ قائلا :
 - قصور شديد في الاستعدادات لممارسة السلطة في دولة عريقة بقامة مصر. فيهم قيادات تصلح لإدارة سوبرماركت وليس تولي إدارة مصر أو محافظة من محافظاتنا.
- وأضاف قائلا بهدوء الواثق من نفسه :
 - وربما هذا دعاهم للقذف بمرسى في بوتقة التجربة. لقد عملت حركة الإخوان لتحويل المشهد كي تظهر للعالم بأنها حرب

ساحات بين قوى معارضة وقوى موالية للرئاسة. وبالتالي كانت حركة الإخوان تضع شعارا منذ سقوط حكم الرئيس مبارك "نحن أو لا أحد".

وواصل فضح موقف الإخوان ببساطة :

- وما التصعيد والصدام إلا رد من حركة الإخوان التي استمرت في الميادين طوال فترة شهر رمضان تحت شعار التمسك بالشرعية الدستورية وعودة الرئيس المعزول ولا يهم عدد الضحايا الذين سقطوا أو سيسقطون من أجل إرسال رسالة للعالم الخارجي وليس الداخلي بأن مصالحهم تؤمن بعودة الإخوان إلى السلطة. الديمقراطية إذا هي طريق فقط للسلطة وليست ممارسة حقيقية فلا تداول للسلطة ببساطة.

وأضاف الأستاذ شكري منصور قائلا

- أخونة مفاصل الدولة لاغبار عليه بس بكفاءات محل تقدير واحترام وهو أمر افتقدناه في رئيس الوزراء ووزيري الثقافة والإعلام وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة ذكرهم. نسى الإخوان في غمرة نشوتهم بالوصول إلى السلطة أمرين الأول وعودهم لحلفائهم في انتخابات الرئاسة التي نكصوها ولا سيما حزبي النور والوسط. الأمر الثاني أن فوزهم في انتخابات بفرض نزاهتها كان هامشيا.

وعقب الأستاذ قدرى قائلا :

- بس دور جماعة الإخوان في السنة التي حكم من خلالها مرسى، كان كارثيا وهي من تتحمل المسؤولية عن الأوضاع الحالية، كما

أنها ستستمر في سلبيتها من خلال تقمصها لدور الضحية. أو
الحمل الوديع.. بس ده فيلم قديم من أفلام الأبيض والأسود...
خلاص الأفلام بقت ملونة وثورة المعلومات خلّيتنا نشوف الحدث
وقت حدوثه .

وعلق مواطن بسيط على ما يردده بعض أنصار الإخوان المسلمين من أن
الرئيس المعزول مرسى لم يتركه الشعب فترة ولايته لكي يحكموا عليه ..قال
بحسرة :

- أيدت الرئيس المعزول مرسى عندما تقدم للترشيح للرئاسة
وحدثني نفسي قائلة أخيرا سيحكمنا أحد رموز التيار الديني
وسيسود العدل والمساواة بس يا خسارة ..

توقف عن الكلام وقال المواطن البسيط نادما على صوته الذي أعطاه لمرسي
كما ندمت النخبة التي أيدت مرسى في فندق فيرمونت :

- بس يا خسارة ..إلّلي كنت فاكهه موسى تطلع فرعون..إفلاس
سياسي وديني.. لم يستوعب الإخوان ولا مكتب الإرشاد ولا
الرئيس الدرس وبيان إنهم كانوا غير قادرين علي قراءة الشارع في
خلال 80 عاما عشان كانوا مغيبين وعاشين على تدبير
الاغتيالات.. بس الشعب المصري استطاع الحكم عليهم في
غضون 80 يوما فقط. وحكاية اعطائه الفرصة ما تخيلش علي
الشعب المصري ..مش إحنا برضه إلّلي بنقول الجواب بيان من
عنوانه. وتاني.. وتانى نرجع للهم تاني.. ياسادة..لا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين.

وعلق أبو يحيى قائلا باندھاش:

- ألا يستدعى هذا الدور الذي لعبه الإخوان في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية بدعم الفقراء والبسطاء أن يكون لهم مكان في أي تصور فيما يتعلق بمستقبل السياسة في مصر. واللا ده كان زيت وسكر ومكرونة ورز مالهمش فايدة ولا عائد .

وأكد يوسف على أن:

- جماعة الإخوان المسلمين لعبت في مصر دورا ملموسا ولعبت على أوتار الدين ونغمة الخلافة الإسلامية، في ظل انتعاش الفكر السياسي المتأسلم، وفيه تغيب فكرة الدولة الوطنية وتشرق دولة الخلافة باعتبار الإسلام دين ودولة.

وأردف قائلا :

- الإعلام لعب دورا خطيرا في اللعب بعقول الجماهير. صحيح أنا عمري عشرين سنة بس البيت كله سياسة . بقينا نشوف ناس كثير من التيار الإسلامي في التلفزيون بعد ثورة 25 يناير. كل برامج التوك شو تقريبا كنا نلاقي فيها دقن واللا دقنين. مش كده بس قنوات دينية بدقون تحس إن المنافسة فيها بين الدقون مش في المضمون.

وعاود د. فتحي عنبر كلامه قائلا بتؤدة في محاولة للتبصير ونزع الغشاوة عن العيون والعقول :

- من المفروض ان يكون للتيار الإسلامي دور في الحياة السياسية في مصر. بس الشارع المصري في تظاهراته المليونية في 30 يونيو 2013 رفع الكارت الأحمر بوجه الرئيس محمد مرسي وجماعته.

وواصل كلامه حزينا على ما يصنعه الإخوان بأنفسهم :

- للأسف الإخوان وأنصارهم فضلوا الفوضى في الميادين ومظاهرات الطلبة والبلطجية في الجامعات على ممارسة السياسة. السياسة يا أهل الله هي فن الممكن. وليست أبدا طلب المستحيل.
- وقال شاب ينتمي للتيار الإسلامي محاولا تفسير ما يجري:
- الإخوان والقوى الإسلامية الأخرى لا تزال أمامهم فرصة أخيرة بعدم إقصاء أنفسهم عن المشهد السياسي والدخول إلى العملية الانتقالية وهم جزء منها.
- واستدرك قائلا بما ينم عن توجس وخيفة مما يمكن أن تنتهي إليه الأيام المتبلدة في ضوء هيستيريا تحرك الإخوان من أجل فرض نصيب لها على الأرض:
- التصعيد الإخواني إنما هو تعبير عن "خوف" الجماعة مما ينتظرها من سيناريوهات العزل والتهميش والملاحقة والاعتقال، وأنها بهذا التصعيد، تضع الجيش والدولة أمام أحد خيارين: إما المقامرة بإشعال فوضى وإسالة دماء غزيرة، وإما فتح صفحة جديدة مع الإخوان، تبقي لهم حق عودتهم للمشاركة في مؤسسات الحكم والسلطة، دون استهداف أو انتقام أو ثأرية مدمرة.
- وعلق أحد الشباب قائلا:
- وهل هناك من عمل تركوه ليتعاطف معهم أحد. أية عملية عافية وبلطجة. يعني ينحكمكوا لا نموتكوا. كل إللي بيعملوه محاولة إحياء دور المضطهد. بس المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.
- وعلق أحد أنصار الشرعية متجاهلا ما قاله الشاب:

- الحركة الإخوانية أخذت من الميادين نقطة تجمع لأنصارها وانطلاق وهي تهدف إلى خلق صدام بينها وبين القوى الأخرى ومؤسسات الدولة وعلى رأسها الجيش .

وعقب سامي قائلا :

- من الواضح أن مصر تدفع الآن الثمن بسبب حكم جماعة الإخوان الفاشل والتعنت الذي مارسه وتمارسه من خلال تمسكهم بالسلطة التي كان يمكن أن يديروها بالمشاركة مع آخرين . عُمر الجيش ما انتصر إلا للحق .

وأضاف في حمية وبلهجة تنم عن ضيق واستنكار :

- يعنى عاوزين يروعوا الشعب والجيش إما يؤيدهم وإما يتفرج على الشعب وهم طايحين فيه . الجيش جيش الشعب مش جيش أى فصيل . ما هي ده المدرسة العسكرية المصرية بأصالتها وعراقتها .

وحاول أحد أنصار عودة الشرعية تصوير الوضع القائم على أنه حوار متعثر بين أطراف النزاع :

- الأزمة تكمن في أن النظام القائم يتحدث عن مصالحة تقوم على أساس ما بعد الثالث من يوليو بينما يتحدث التحالف عن مصالحة تقوم على ما قبل هذا التاريخ، وهو ما يعكس عدم اعتراف التيار المؤيد للرئيس المعزول مرسي بكل الذين خرجوا في الثلاثين من يونيو .

اختتم الجلسة الأستاذ قدرى قائلا :

- على التحالف أن يقنع قيادات الإخوان بالقبول بالأمر الواقع وقبول خريطة الطريق والتوقف عن أعمال الإرهاب قبل الاستفتاء على الدستور وانتخاب رئيس الجمهورية حتى يظل لهم هامشا

ضئيلا جدا عند الرئاسة والشعب . ولا تلومون إلا أنفسكم
ببغيتكم وطغيانكم وإرهابكم . ونذكرهم بضرورة العودة إلى
صفوف الشعب المصري وعدم خلق عداوة بين كل من يخالفهم
الرأي وبأن عليهم اعمال العقل للوصول إلى الحقائق وتذكروا ان
حازم ابو اسماعيل المنتمي لجماعة لإخوان قالها صراحة : منذ متى
كنا نأبه للدماء.

تعالث هتافات مدوية في القاعة : تحيا مصر .. تحيا مصر دائما وأبدا .
وخفتت هتافات رابعة تدريجيا إلى زوال .

فرك عبدالرحيم عينيه وتمدد على السرير وألقى نظرة على المنبه فوجد
الساعة غادرت الحادية عشرة مساء بقليل.تثاءب ونام من فوره نوما
عميقا.قامت زوجته نبيلة بجولتها الليلية ومرت عليه.شدت الكوفرتة
عليه وقبلته على جبينه وأطفأت النور ودعت له براحة البال والنوم الهادئ.
اسيقظ على آذان الفجر متكاسلا ولكنه سرعان ما استعاد نشاطه.أزاح
الغطاء من فوقه.أيقن أنه نام متهاالكا وأن نبيلة هي التي غطته. ترك السرير
وذهب ليغتسل ويتوضأ.لمح النور في غرفة نوم نبيلة . ابتسم. وتأكد أنها
أقامت الليل كعهدها منذ أن أدت فريضة الحج في السنة الأولى من عمله
بالسعودية. مر عليها بعد الوضوء وارسل لها قبلة على الهواء ترافقها
ابتسامة ردتها بمثلها. سألتها بكلمة واحدة:

- أحسن؟

- الحمد لله

نادى عبدالرحيم عليها وسألها عما إذا كان حسام استيقظ. سمع صوت ابنه يقول إنه وأمه في انتظاره بعد أن يؤدي صلاة سنة الفجر. صلوا الصبح جماعة. واستبشروا يوما جميلا مباركا بإذن الله.

استهل كلامه معها قائلاً: "إننى بخير ما دمت بخير. الحمد لله كان فيه موضوع قلقني بخصوص الدكتور هاني ... أرجو أن يمر على خير. أرجوكم لا تسألوني عن أي تفاصيل. وانت يا أم الولد اختمي الصلاة ونامى باين عليكي قلة النوم. انا بخير الحمد لله. وقال لزوجته معتذرا: - مهعلش عاوز ماج شاي بس أنا حاقعد في غرفة المكتب ومش

عاوز حد يشغلني.

أتت نبيلة إليه تحمل الشاي وشريحتين من الخبز وبيضة مسلوقة وأصناف من الجبن وقطع من الخيار والجزر المخلل وشرائح من الطماطم وقطع من الكيك. عندما رأى الصنية حافلة بألوان الطعام شكرها وربت على كتفها بامتنان. وقال مؤكدا:

- لا تقلقي يا حب عمري يا أم الصبي. روعي نامي في رعاية الله وحفظه.

أرسل إليها ابتسامة اطمئنان تلقتها وانصرفت بصحبتها في سلام. بدأ يشرب الشاي ولكنه استشعر أن معدته خاوية. أعد لنفسه ساندويتش من شرائح الجبن الرومي والخيار المخلل والجزر التهمه بشهية وأعقبه بآخر من الجبن الأبيض وشرائح الطماطم. كان جائعا وربما كان يعوض حالة القلق بالأكل. جاز! استمتع بشرب الشاي وتمنى لو كان هناك المزيد من الشاي. جلس مسترخيا ومدد رجله على كرسيه مقابل له. أخذ شريط ذكرياته مع د. هاني يطارده .

سؤال وجواب

عاد الشريط إلى يوم الأربعاء 15 مارس 1995 يوم وفاة الحاج ضرغام. لم تنقطع علاقة د. هاني بالحاج ضرغام منذ أن ترك السكن بعد تخرجه في كلية الطب. حافظ على علاقته الودية معه. كان يتردد عليه عندما يحن لأكلة فول واللا طعمية من بتوع زمان وكانت دلال تعلق في كل مرة :

- رحتك بولاق الذكرور.. فول وطعمية الحاج ضرغام
- أنا بروح لسبيين : الوفاء للرجل إللي ساندني . لما كنت أفك الجنيه كنت أفكه بالطبل البلدي ولما ينصرف أودعه واشرب فنجان قهوة سادة . السبب الثاني ياست دلال هو لما بروح هناك بافتكر أنا كنت فين وبقيت أيه بفضل الله . واشكر الله وأحمده علي ما أعطاني من نعم لا تعد ولا تحصى .

كان مرافقا للدكتور هاني في أداء واجب العزاء عندما اقترب من البيت بدأ يبكي وقال وهو يخرج منديلا قطنيا من جيبه :

- شايف الدكة الخشب إللي جنب الفرن ... سبع سنين وأنا في الطالعة والتالزة وأنا أصبَح وأمسي عليه . طالع في الصبح معايا طبق الفول المتين .. راجع من الجامعة معايا قرطاس الطعمية الجميل . صداقتهم لم تفتر أبدا .. أبدا . كنت باتحدى الملل ، وهمه كانوا فرحانين بصحبتني .

كانت الصور والأحداث تتدافع وتتسابق في رأسه وهو يقترب من الدكة .
قال منتشيا وقد انتعشت ذاكرته بأطباق شهية انعكست على حركة لسانه
وهو يمسح به شفتيه :

- آه من المواسم والخير إليّ كان بيصيني منها من الجيران : يا عيني
علي طبق عاشورا بالزبيب والمكسرات إليّ كانت أم فاروق بتبعته
مع بنتها منال حلوة حلوين الحثة..الشباب يتمنوا نظرة منها وأنا
عينها ما تشلهاش من عليّ..وأنا ولا هنا .الحركة مرصودة والخطوة
معدودة والكلمة مسموعة ..يا عبدالرحيم بيه ...أروح من أهل
الحارة فين..؟ خليك مطعم ولا تطمع..

وأضاف قائلاً وهو يتنقل ببصره بين بيوت أهل الحارة وشريط الأيام
والذكريات يجري فيثير بداخله من المشاعر الجميلة ما يثير..وأجمل ما فيها
انها لم تتجاوز لهفة الشوق :

- ما أنا كنت مطعم عند أمهات البنات. مشروع دكتور مش باين له
أهل ولا خلان.طالع في حالي ونازل في حالي . ما أنا ماكانش عندي
حاجة أطلع واللاً أنزل بها غير حالي. واللا فنة كوارع أم حنفي
وعلي حلقات البصل المحمر وحتة الكارع إليّ فوق الفتة وسلطانية
الشوربة جاين على صنية والفوطة مغطياها وشايلاها بنتها سعدية
وتقوللي بدلال مبطن بما خفي من المعاني والكلمات : أمي بعثالك
الصينية ده تدفيك في وحدتك وترمك في البرد إليّ بيجمد
الأطراف كلها وتتبعها بضحكة على قد سَمْعنا .

وعبر عبدالرحيم عن دهشته وسأله مستفسرا بخبث ليفصح د. هاني عن
جوانب مسترة من حياته :

- الله .. الله يا د. هاني يعني عاوز تفهممني كارع وفتة وشورية
وخلص .. ما فيش شوية هشك .. هشك؟
- أيه ده يا عبدالرحيم بيه . كان ممكن طبعاً بس بعد كده المصادر
حتجف لا حيبقى في مواسم ولا غيره. وحيفضل احتمالين عودة
مؤكددة للوجبة الموحدة وجبة الفول والطعمية أو يقطعوني أهل
الحتة في المسمط الموجود جنبنا
واستدرك قائلاً مندهشا :
- بعد توصيلة مرام في 25 يناير 1973 راحت المنح والعطايا وتوقفت
نهائياً . بس في سؤال فضل معايا من الغرفة إلى فوق السطوح
بديكها إلى كان بيان حسب التوقيت المحلي للـ 11 إلى
فقسته ... شئ غريب ... ظرف شهري بداخله 15 جنيه كنت
بلاقيه تحت الباب كلما ضاقت بي الأحوال.
- كان لازم تسأل الحاج ضرغام ما هو تايف إليّ داخل وإللي
خارج.
- سألته وقال لي وهو بيضحك: يا ابني إبقى بخر الغرفة .
- أبخرها من إليّ بيحيب لي فلوس . طيب ليه ؟!
- وعلق عبدالرحيم قائلاً وهو بيتسم :
- معاك حق . خي إليّ بيحيب فلوس بيحيب فلوس .
- دخلا الصوان وقدا العزاء لأبنائه محمد وهاني وأحمد واستمعا إلى ريعين
من القرآن الكريم . وعندما قاما استعدادا للانصراف توجه محمد ابن الحاج
ضرغام إلى د. هاني وقال له :
- أمي عاوزة تشوفك ؟

قدم العزاء إلى الحاجة أم محمد التي قدمت له ظرفا يعرفه تماما. قالت بإيجاز يناسب الظرف :

- الفلوس الباقية بداخل الظرف أمانة كانت ساياها د. مرام مع عمك المرحوم الحاج ضرغام عشان يحطلك 15 جنيه تحت الباب في ظروف زي الظرف إللي معاك .
- الله يرحمه رحمة واسعة.

- تعيش يا د. هاني .. كان بيفتكرك بكل الخير..

أمسك د هاني بيد عبدالرحيم عندما وجده واقفا بجوار السرادق وسارا على مهل وعندما خرجا إلى الشارع الرئيسي وركبا سيارة د. هاني قال:

- تخيل يا عبدالرحيم بيه : ماكانش ينفع نبخر الغرفة. الظرف ده فيه بقية المبلغ إللي سابتته مرام لمساعدتي مع الحاج ضرغام الله يرحمه.

بكى د. هاني بكاء حارا على من أحبته كل هذا الحب وقدمت هذا العطاء دون ان تلمح به حتى ولو من بعيد. وقال عندما كنت أروي لها قصة الظرف تضحك وتقول: هلاوس المذاكر بدأت تظهر عليك

وأضاف عبدالرحيم:

- لا تنسى الحاج ضرغام ومحافظته على السر.

وختم الحديث د. هاني متسائلا:

- وكيف أنسى؟ الله يرحمه ويحسن إليه.



فندق مرمرة : المفاجأة

عندما دقت الساعة السادسة مساء كان عمر وأحمد قد دخلا الحديقة المحيطة بالسويت رويال فوجدا أشجان تضع اللمسات الأخيرة على موائد الضيوف واطمأنت على أجهزة التكييف الصحراوي تعمل على الحد من شدة الحرارة. قالت مرحبة بهما :

- كنت متأكدة انكم حتكونوا أول الحاضرين! أهلا وسهلا .
- لو كان على عمر كان جه من بدري .
- يا ريتكم جيتوا من بدري يا باشمهندس أحمد .
- ياريت أحمد بس من غير ألقاب يا آنسة مرام .
- قُولك أيه يا باشمهندس عمر في إللي بيقلولو ابن عمك أحمد ؟
- القول قولكو ورفع التكيلف يقرب المسافات ويخَلّي التعامل سلس .
- تمام يا عمر. أصل أولاد الأصول لما بيرفعوا التكيلف تبقى المسافات محفوظة على الأقل قدام الأغراب.
- تمام يا آنسة أشجان. المسافات المحفوظة بتبين أولاد الأصول.
- أو أوو أشجان بس . حنقسم العمل. عمر حيستقبل الضيوف وأحمد حيشرف على تنظيم الموائد ... انا عندي الإشراف على المشروبات والطعام. عمر يعمل لنا دي جيه d z عنده سي ديهات لكل الموسيقيين والمطربين. موسيقى شرقية .. غربية .. كلاسيكية

كله موجود. تقدر تقوم بالمهمة واللّا أجيب الذي جيه الموجود في الفندق ؟

- موضوع الذي جيه الd zالأحسن يكون واحد محترف. يعرف يليى طلب الشباب على طول. كمان عشان ما انشغلش عنك طول الوقت...واللّا رأيك أيه؟
- أيه !

بدأ الضيوف في الحضور قدري وأسرته عليه ولديها سامي ويوسف وسميرة ثم أسرة توفيق وزوجته فكرية وأبنائهم محمد وبدرية وماهيتاب وأسرة شقيقه طاهر وزوجته صفية وأولادهم مصطفى وذكي ونورة. الجميع يلبسون ملابس كاجوال. باقة تضم جميع الألوان. من الواضح أنهم جميعاً نفضوا متاعب الأمس إما في الاسترخاء وإما في حمامات السباحة المتاحة في الفنادق. ثم التقى عند مدخل حديقة السويت أنور ابن المعلم صدقة مع صحبة الشباب المتدين بفهم رباعي الجلباب الأبيض عبدالرحمن ومحمود وحسن والفتاح. جلس الجميع ملتزمين بالموائد حسب توجيهات أحمد ولكنهم سرعان ما انفرط عقد النظام وانقسم الحضور إلى قسمين: الكبار في جانب والشباب في جانب ولكن ظلت مائدة لسبعة أفراد لم يشغلها أحد. المائدة محجوزة.

مضت دقائق في تبادل التعارف وساد جو من الترقب تصاحبه همهمة تساؤل: كلنا حضور وما تزال صاحبة الدعوة لم تظهر بعد ثم ما هذه المائدة المحجوزة ولن؟ ووصلت المهممة إلى أحمد فأجابهم:

- بالتأكيد لسوسن هانم والدة الآنسة أشجان وضيوفهما.

وتساءلت فكرية حرم توفيق باستغراب:

- هي الدعوة مش كانت للركاب المتخلفين عن الطائرة المنكوبة ؟

- أنا شخصيا كنت فاهم كدة بس الواضح أن فهمي خطأ.

- طيب... طلعت مش فاهم زينا .

- جرى أيه يا فكرية هانم ما هو أنا واحد من المتخلفين عن...

سكت هنيهة وسط ضحك الجميع ولوم توفيق زوجته لفرط حب
استطلاعها وأكمل أحمد قائلا:

- ...عن الطائفة المنكوبة

مضت لحظات من الصمت دخلت أشجان ترتدي بلوزة قرمزية مطرزة
بحبات متناثرة من اللؤلؤ على الصدر وبنطلون أسود. سمع عمر صوت
تصفيق فاستدار ليرى أشجان جديدة غير التي قابلها منذ قليل. بهرته كما
بهرت أحمد فصفا لها بحماسة. حيث الجميع وقالت:

- أقدم لكم ضيوف شرف اليوم هم ضيوف تربطهم بأمي صداقة

عمرها من عمري ... أميرة هانم والدة المهندس عمر وابنتها

الآنسة ثريا خطيبة المهندس أحمد والأستاذ خالد ابنها ثم بالطبع

أمي سوسن وسوف يشغلون المائدة المحجوزة. أما أنا سأكون

بينكم جميعا لألبي طلباتكم جميعا.

وتساءلت فكرية بخبث:

- والمهندس عمر؟

وأجابت دون تردد:

- سيكون معي وكذلك المهندس أحمد وخطيبته الآنسة ثريا نحن في

خدمتكم جميعا. واسمحوا لي أن أطلب من الذي جيه DJ يسمعنا

أنشودة الفن لموسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب وبعد كده أطلبوا

ما شئتم.

انسابت موسيقى مقدمة أنشودة الفن في وجدان الحضور وهزت مشاعرهم وتجاوب الشباب مع اللحن الرائع كما أحياء في الشيوخ الحنين إلى الماضي. لم يكن عمر مهتما بأنشودة الفن قدر اهتمامه بمعرفة كيف وصلت أمه إلى السويد رويال. حدثته نفسه قائلة : كله من ثريا. وربما من أشجان لتثبت له أنها قادرة على الوصول إلى المعلومات إللي هي عاوزها من مصادرها. وقفت أشجان إلى جواره ولم يشعر بوجودها. همست قائلة:

- أيه انت فين؟ اختياري لأنشودة الفن لم يعجبك ؟
- لأ ... أبدا. هو عبد الوهاب لسه مستني رأيي.
- ليه لأ. أنا نفسي مستنية رأيك ؟
- في أيه ؟
- أنت مش هنا. أنا رايحه أقعد مع الوالدة.
- استني من فضلك.
- في أيه ؟ إللي يسأل ما يتوهش. روح الأول سلم على الوالدة واسأها بعدين...

أفاق عمر على طلب أشجان بأن يتوجه إلى أمه وقال متلعثما :
- معاكي حق ... فعلا معاكي حق.

توجه عمر إلى مائدة والدته ورحب بها وشكر سوسن هانم على دعوة آل بيته إلى هذا الحفل الكريم. قبل يد أمه وتوعد لثريا وخالد بحركة من كفه. وجد أحمد يجلس إلى جوار حماته وثرى وهو يحثها لأن تقف وتشارك أشجان وعمر الترحيب بالمدعوين.

صفق المدعوون كثيرا بعد سماعهم أنشودة الفن. سيطر على الحضور ما يجري في البلد من أحداث بعد تولي الرئيس محمد مرسي الحكم وخلعه في

الثالث من يوليو الحالي .حديث كل بيت ..حديث كل الناس .. استهل
قدري الحديث قائلا:

- لعلنا استبشرنا خيرا بالرئيس محمد مرسى ولكنه وحزبه خذلوا
الشعب وعملوا لصالح الجماعة .
وتساءل توفيق :

- تقصد جماعة الإخوان المسلمين
- نعم أقصد الإخوان المسلمين بصفة خاصة والتيار الإسلامي
بصفة عامة. استراتيجية واحدة وتاكتيك متلون بحسب الموقف.
- يا راجل مبروك عليهم. ده حلم قديم بقالوا حوالي 80 سنة يمكن
أكثر ويمكن أقل مش فاكرو. فرحوا بحلمهم فرحة ما دامتش،
وخلينا نحلم ببيكرة أحسن من النهاردة.
وتساءلت سميرة باستغراب :

- هو الحلم ما يتحققش إلا بالتزوير.
وعقب قدري بدبلوماسية :
- خلينا نسميها تجاوزات لا ترقى إلى الحد الذي يؤثر في نتيجة
الانتخابات .

- مين إللي قال إنها لا تؤثر ؟
أجابها توفيق إجابة مقتضبة ساخرة وهو يضحك:
- هو!!!

غير طاهر دفة الحوار في اتجاه آخر قال:

- بس البدايات كانت مش مطمئنة. فالرئيس مرسي دعا مجلس
الشعب المنتخب للانعقاد اعتبارا من منتصف يوليو قبل الماضي
لممارسة اختصاصاته. ثم ألغى قراره. ما هو الجواب ببيان من

عنوانه.. وأول الغيث قطر ثم ينهمر..ومن ساعتها قطر طلعت من القمم.. وسحبت معها قردوغان..حقيقي شيء يدعو للعجب.. وعقبت فكرية بعدم مبالاة قائلة :

- وده فيها أيه. ما هو الرئيس. يعمل إللي بدا له.

غير أن سميرة اعترضت بحسم قائلة:

- يعني أيه يعمل إللي بدا له. ده كان زمان وجبر. إللي كان مسموح به قبل 25 يناير لم يعد مسموحا به بعد 25 يناير.

وأثنى توفيق على ما أبدته سميرة بقوله:

- الله ينور.

واستطرت سميرة قائلة:

- هو أول ما يشطح ينطح. يخالف حكم المحكمة الدستورية والإعلان الدستوري الصادر عن المجلس العسكري.

وبدأ الشباب بالتدخل في الحوار لأول مرة. قال أنور مزهوا:

- كدة مرسي لعيب. عدي لعيين بلعبة واحدة. هوه ده الكلام.

وأبدى طاهر تعجبه مما قاله أنور:

- يا ابني ده سياسة مش كورة .

وتدخلت أمل قائلة باستنكار:

- إذا كان الدستور والقانون لا يحترم إرادة الشعب فلتسقط القوانين: سواء الدستور أو القانون. فلا يمكن لعدد محدود من القضاة ولا لعدد محدود من المجلس العسكري أن يستغلوا مناصبهم ويتحدّوا الشعب المصري ويصدروا أحكاما قضائية وإعلانات دستورية ضد إرادة الشعب المصري.

وعقب خالد على قول أميرة قائلاً:

- يا آنسة ؟

- مدام من فضلك

- يا مدام الدستور والقانون المعمول بهما يعبران عن إرادة

الشعب. ومخالفة الدستور والقانون وحكم المحكمة الدستورية
يمثل سابقة خطيرة لا يمكن السكوت عليها.

وأضاف قدري :

- يا بنيتي قانون انتخابات مجلس الشعب والشورى عندما تم

عرضه على المحكمة الدستورية قبل صدوره أفتت المحكمة بعدم

دستوريته بس الإخوان أصروا علي صدور القانون وضغطوا علي

المجلس العسكري فأصدره. كانوا مستعجلين الوصول إلى

السلطة.

وعاد خالد معقبا:

- ببساطة شديدة نحن نكرس لخلق فرعون جديد -لأن أحكام

القضاء عنوان للحقيقة وكاشفة لها.

وأكدت أمل على رأيها وقالت بإصرار:

- إذا كانت المحكمة الدستورية المكونة من عدد بسيط من القضاة

لا يحترمون رأي الشعب المصري بالملايين الذي اختار أعضاء

مجلس الشعب ويدعون باطلا ان الشعب ورئيس الجمهورية

خالفوا القانون والدستور فإنه لا شرعية لهم لأن الشرعية هي

للشعب المصري والشرعية الآن هي في الشارع وهي التي اسقطت

النظام السابق. وتسقط أي حكم فاسد في المستقبل.

وخرج سامي من وسط الشباب وألقى الضوء علي بعض ما قالت مدام

أمل:

- أولا : بدأ العشاء يوضع على الموائد وأنا لست مستعدا للتضحية مقابل دردشة لن نحسم شيئا.

ثانيا: أؤكد لمدام أمل أن الشرعية الثورية تنتهي بانتخاب الرئيس مرسي رئيسا للجمهورية.

ثالثا: الرئيس مرسي خالف الإعلان الدستوري الذي انتخب بمقتضاه.

رابعا: الرئيس المعزول هو بنفسه إللي قال لا سلطة فوق سلطة الشعب

خامسا : بون أبتيت. بالهناء والشفاء. اتفضلوا العشاء.

وعندما شرع الحضور في التوجه إلى الموائد التي عليها كل ما لذ وطاب من ألوان الطعام دخل رجل أبيض قارب الستين من عمره ما زال يحتفظ ببعض من ملامح الشباب يقاوم بها عجلة الزمان. لم يشعر بدخوله أحد سوى أشجان. الكل مهتم بملء طبقه مما تشتتبه نفسه. تسلفت من جوار عمر وتوجهت إلى القادم الجديد. قالت مرحبة به :

- أهلا وسهلا.. أهلا وسهلا

تقدم نحوها خطوة وسأها مباغتة :

- ممكن آخذ بوستين؟

رجعت خطوة إلى الوراء وسأها مبتسما:

- مش إنتي أشجان؟

- تعرف اسمي منين؟

رجع خطوتين إلى الوراء وانحنى وقال وهو يشير إلى الأرض وقد قارب أن يلامسها:

- وإنني قد كده. لما كنت تتعرضين لنزلة معوية ويختار الوالد
المرحوم المهندس صفوت برهام ووالدتك سوسن هانم..
قاطعته مندهشة متسائلة:
- عرفت المعلومات ديه كلها منين ؟
- عشتها أنا وطنطك أميرة
- بدأت ملامح الصورة تتضح واستضاء ذهنها بحل لغز هوية الضيف
المفاجأة... قالت :
- أنت ..
- أنا المهندس فتحي عبدالرحيم.. ليّه عندك في الحفلة المقامة
بالداخل أم عمر وأخته وخالد وأحمد.
- يا أونكل ما قولتش ليه من الأول ؟
- قلت. قلت آخذ بوستين ما رضىيتيش ولسه موافقاني عند الباب .
- يا أونكل حضرتك لخبطني... اتفضل. حضرتك نورتنا
- وبينما أخذ المهندس فتحي عبدالرحيم يقترّب من قاعة الحضور كانت
أشجان قد سبقته إليها وشفقت بيدها مرتين وقالت بصوت مغلف
بالبهجة:
- مفاجأة اليوم أونكل فتحي عبدالرحيم.
- وجاء صوت عمر من الداخل مجلجلا:
- بابا! والله أحلى مفاجأة .
- لقيتكم ساييني لوحدي مع مرسى يعك هو وزبانيته في قناة الجزيرة
وقطر وقردغان مع الشعب والجيش قلت سيبو يعك وبعدين
نعرف حكايته أيه. وقلت أقعد لوحدي ليه مع حظر التجول.
- أحسنت يا بابا

- شكرا يا خالد

اتجه المهندس فتحي إلى حيث يجلس عمر وأشجان وأحمد وثرثريا ومر على المائدة الرئيسية وحيا سوسن هانم وزوجته أميرة.

قالت سوسن هانم لأميرة هانم زوجة المهندس فتحي:

- ما شاء الله المهندس فتحي زي ما هو. التغيير شوية الشعر الأبيض

إللي زادوه وقار. طول عمر المهندس فتحي رشاقة و أناقة.

- ما أنا اختارته من بين كل إللي تقدمولى عشان رشاقته و أناقته

وذكائه.

سكتت كأنها تريد أن تنتقي الكلمات التي تقوها:

- زوج نعم الزوج أب حنون كريم علينا كلنا.. هي الست مننا

عاوزة أياه أكثر من كده.

- صفوت جوزي الله يرحمه كان كده. إحنا دنيته. كان بيجري

يسابق الزمن. عملنا كل حاجة بس سابنا وماخدش حاجة معاه.

بتته أشجان صورة طبق الأصل من والدها هي إللي بتدير أعمال

الأسرة.

- شوفي راح فين فتحي.. في وسط أولاده ومعاهم أشجان.

اتجهت سوسن هانم بنظرها إلى مائدة الأبناء وابتسمت ابتسامة رضاء

واطمئنان.



كل ده كان ليه

لم يكن من الممكن أن تمرر فكرية حضور المهندس فتحي دونها تعليق وإلا فقدت أهم ملامح شخصيتها : حب الاستطلاع الذي يصل إلى حد الاستطلاع. قالت موجهة الكلام لأشجان:

- هو المهندس فتحي تخلف معنا على الرحلة 105

- لأ

- هي الحفلة ده مش للمتخلفين عن الرحلة 105

- أكيد. بس المهندس فتحي مش متخلف. قوليلي يا مدام فكرية في

حاجة نقصاكي ؟

- أبدا ... أبدا. حبيت أعرف.. الحفلة ده لنا والّلا..

- لعائلة المهندس فتحي. هو أنا أقدر أعمل حفلة تليق بزميل بابا الله

يرحمه. المهندس فتحي مقامه كبير قوي عندنا.

وتوقفت عن الكلام للحظة ثم تابعت كلامها قائلة:

- الحفلة ده عشان خاطر سلامتكم وسلامة الزملاء.

وعقبت عليه هانم قائلة:

- انت عاوزة أيه؟ متعشيين عشاء فاخر وموسيقى على كيفك

وصحبة الأحبة وليلة من ليالي ست الحسن والجمال أشجان.

أُمن الحضور على تعقيب عليّة هانم وبادروا بالتصفيق، وأكدت أشجان على أن الدعوة مفتوحة في الموعد نفسه للأحبة من كل عام. وأضاف المهندس فتحي ضاحكا:

- مع عائلتي طبعاً ومدام مرام...مؤسسة الخير المتحركة.
- طبعاً. هي ماجاتش ليه؟
- جت معي على الطائرة. كان الله في عونها. ما هو د. هاني من ركاب الطائرة المنكوبة.

تساءلت مستنكرة:

- معقولة!! أنا ما شوفتوش في المطار. غريبة!

وعقب عمر قائلاً:

- لا غريبة ولا حاجة. الحمد لله انك ما شوفتيهوش في المطار وإلا

لا كانت الحفلة وكنت زمانك في الباي باي.

وأردف همساً:

- ولا كنا اتقابلنا ولا كانت ابتدت حكايتنا..

- صح. ده أنت صاحي قوي.

والمح المهندس فتحي إلى وجود أمل في العثور على الركاب والطائرة. قال:

- في جماعة إرهابيه هددت الطيار بتدمير الطائرة بصاروخ أرض جو إن لم تهبط في أرض أعدوها لهبوط الطائرة. بيقولوا من مدة وهي راصدة خط سير الطيران المدني.

وتساءلت سوسن هانم:

- الناس ده عاوزين منا أيه؟

رد المهندس فتحي بهدوء:

- عاوزين حاجتين: الإفراج عن أربعة مساجين مسجونين لارتكابهم أعمال إرهابية في الأقصر.
- وعقبت صفية هانم
- طيب ده بسيطة على قد أيدينا. هم ح يروحوا منا فين؟ هو الإرهابي مصيره فين؟ السجن. يعني راجع راجع طيب الطلب الثاني أيه؟
- يا صفية هانم عاوزين مليون دولار.
- كم؟ مليون دولار؟! مليون عفريت يركبوهم قادر يا كريم.
- ووجه توفيق سؤالا استنكاريا لصفية:
- كنت ح تدفعي المليون دولار لو كان طاهر ضمن الركاب واللاً لأ؟
- أدفع يا جوز أختي.
- وتساءلت سوسن هانم عن حالة الركاب فطمأنها المهندس فتحي انهم بخير وأن معظم ركاب الطائرة من ميسوري الحال ومستعدين لسداد الفدية المطلوبة، وعندما نلتقي مرام هانم نلاقي عندها آخر الأخبار.
- تثاءب المهندس فتحي وقال مستأذنا:
- أرجو المعذرة يوم طويل أجمل ما فيه أنني التقيت سوسن هانم وابنتها الرقيقة أشجان. أترككم لسهرتكم في رعاية الله.
- وسألته سوسن هانم:
- حتظل على الشاطئ زي عوايدك قبل ما تنام واللاً الدنيا تغيرت؟

- أكيد يا سوسن هانم الدنيا اتغيرت بس أنا ما تغيرتش قد تغير الدنيا. ما أقدرش أنام قبل ما أطل على الشاطئ وأشم شوية هواء قطفة أولى.

- أكيد ما تغيرتش يا باشمهندس. زي ما أنت. ما شاء الله... ما شاء الله..

اتجه المهندس فتحى نحو الشاطئ وقام عمر ليصعبه ولكنه طلب منه ألا يترك أشجان وحدها مع الضيوف. انتقلت عدوى مغادرة الحفلة إلى الحضور بعد أن أكلوا ما لذ وطاب وشربوا ما شاءوا واشتهوا. ولم يتبق سوى آل المهندس فتحى وسوسن هانم وأشجان.

بعدما هدأت القاعة وقام عمال الفندق بإعادة الأمور إلى نصابها ورحل الذى جيه الذى أحيا الحفلة بنجاح - طلبت أشجان من أمها أن تصحب ثريا وأحمد وعمر وخالد للتوجه إلى الشاطئ للمسامرة مع أونكل فتحى فأومأت إليها برأسها موافقة واستأذنت أميرة هانم فمئنتها الموافقة بابتسامة.

المهندس أحمد ابن عم عمر أمضى سنوات عمره الجامعية في كلية الفنون الجميلة قسم عمارة. تخرج في سنة 2006 بتفوق. منذ طفولته كان مولعا بالفن وكان يحرص علي حضور المعارض الفردية والجماعية. رومانسي بطبعه. متأمل في الكون حوله. ربما كان لحبه المبكر لابنة عمه ثريا أثر في عزوفه عن هو الشباب. لم يقبل على التيارات السياسية في الجامعة. فرأى فيها تيارات إما لها أجندات داخلية لضرب التيار اليساري كما تجلى في التحالف والتنسيق بين مباحث أمن الدولة والتيار الاسلامى، وإما لها أجندات خارجية يسارية أو ليبرالية. كل هذه التيارات بها على وجه اليقين شخصيات وطنية حتى

النخاع ولكنها ليست على السطح. وربما ليست مؤثرة في قرارات هذه التيارات. فشلت هذه التيارات جميعا في استقطابه. فهذه التيارات ترتدي عباءة مصر ابتغاء السلطة. كان يردد عبارة واحدة ليردهم علي أعقابهم فاشلين : أنا مصري أولا وأخيرا انتمي لأغنيائها وفقرائها .. أنا ابن المدينة والقرية والنجع ... أنا الهلال يعانق الصليب .. أنا ابن افريقيا وآسيا .. أنا ابن الوطن العربي .. أري أوروبا شيالا وأكاد ألامس شواطئها بيدي .. وأري أمريكا في خيالي وألمسها بعقلي ... أنا ابن مصر الحضارة .. لو لديكم تيار ينطوي علي كل هذا فانا أول المنضمين إليه.

توجهت أشجان ورفاقها إلى الشاطئ. الليل حد قليلا من ارتفاع درجة الحرارة وإن كانت الرطوبة المرتفعة تعمق الشعور بارتفاع درجة الحرارة. بين الفينة والأخري تهب نسبات باردة مجهولة الهوية ترافقها رائحة زهور نبات مسك الليل الفواحة. ساروا في هدوء كأنهم نالوا قسطا مشبعا من صخب الموسيقى. كل له شأن يفكر فيه. ظلت أشجان مشغولة بمدى نجاح الحفلة وغمرتها السعادة بقدوم المهندس فتحي واكتست وجهها ابتسامة لم تشأ أن تخفيها. التقطها عمر فقطع حبل السكون متسائلا:

- أياه اللي بيضحكك ؟ خيلنا نضحك معاكي.

أجابت أشجان على الفور:

- مش أنت على أي حال.

- كفاية بابا يكون موجود فيملاً الدنيا بالضحك بمواقفه المفاجئة.

على فكرة بابا الليلة ده خارج نطاق الخدمة.

وعقب خالد على كلام عمر قائلا:

- ما تنساش حكاية طنط مرام وأونكل هاني.

وقالت ثريا متعجبة :

- حقيقي الدنيا ده صغيرة أشجان تعرف مرام، وبابا يعرف مرام، وعمر يتعرف على أشجان، وبابا يعرف أشجان وهي في اللفة..

عجبي

وتشجع احمد قائلا بعد صمت طويل وقد كان محاصرا بين حماته أميرة هانم وخطيبته ثريا :

- هو إحنا لسه عرفنا حاجة. عمي عنده المستخبي المستور: عمي ده صندوق الدنيا. عارفين المرايا المسحورة اللي تبص فيها تلاقي العجب.. عمي فتحي عنده العجب.

جمع الشباب كان قد وصل الى المكان الذي يتمدد فيه المهندس فتحي على الكرسي الشيزلونج عندما أنهى أحمد كلامه. استدار برشاقة إلى الوراء قليلا وتساءل :

- مين يا خالد إللي عنده العجب ؟

رد خالد السؤال بسؤال وهو يضحك :

- مين غيرك يا والدي ؟
- أنا والآ أنت ياللي جايب لنا معاك كل يوم عجبية أغرب من حكايات غرائب الطبيعة.
- أقربها ما عجبتكش قاعدة فكرية وتلسينها ما كلمتهاش وهديت القاعدة وجيت هنا وانت واثق كلنا جاين وراك.
- حصل وتكسب بيريل مثلج على حساب أشجان .
- يا ريت. الكل يشرب أيه ؟
- بيريل مثلج على حساب أشجان

- تخيل يا بابا إن...
- أتخيل أياه يا سي عمر ؟ ده انت حكايتك حكاية يا سي عمر .
- تخيل أسأل أشجان بتضحكي ليه من ساعة ما اتحركنا
ومجاوبتش!!
- انت فقدت لياقتك بأسرع مما كنت أتصور. هى في حاجة كانت
تضحك. ده ناس جايه تتعشى مش جايه تتسامر.
- سكت المهندس فتحي للحظات واستطرد:
- أولا طلبت البيريل المثلج يا أشجان ؟
- طلبته.
- أقول كنت بتضحكي ليه ؟
- اتفضل يا أونكل
- لما أخبروها هناك ضيف في الريسبيشن هلت عليّ بأنافتها تأملتها
جيدا وهي مقبلة نحوي وجدت عينين جميلتين تتأملاني جيدا.
فتعجبت لأمرها وأعجبت بها. سألتني بأدب جم أوامرك.
فأجبت : بوستين.
- وسأل عمر بلهفة:
- وأخذت بوستين ؟ يا بختك ..يا سعدك .
- مش قلت لك ضاعت اللياقة في العيون السود.
- وعقبت أشجان على كلام المهندس فتحي وهي تمسح عينها من الدموع
من كثرة الضحك:
- كفاية.. من فضلك كفاية.

في الوقت الذي أصيب فيه أحمد وثرثا وخالد بالدهشة عاد عمر يسال والده إن كان أخذ البوستين.

- عارف اللخبطة إللي أنت فيها سببها أيه :جواب سؤال مطلع اغنية عبد الوهاب : كل ده كان ليه. ما اعتقدش حد منكم سمعها. كل ده كان ليه.. لما شفت عنيه.

ظل الجميع يضحكون بل إن عمر أخذ يضحك على نفسه، وشرع يتوعد أشجان التي قالت صراحة:

- الليلة ده بس ربنا عوضني الأب إللي افتقدته.يا بابا اتفضل خذ البوستين إللي انت عاوزهم.

احتضنها المهندس فتحي وأخذ البوستين وضم أولاده وأحمد مع أشجان في حضنه وقال:

- ربنا رزقني بنت كمان كل واحدة منهم تملأ الدنيا فرحة، يا أشجان أخذنا البوستين وفاضل البيرل الثلج.

سادت فرحة غامرة وقبلها الجميع قبلتين بما فيهم عمر.وعلقت أشجان وهي تضحك :

- ماشي يا عمر بس ما تتعودش على كده.ما هو ده مهرجان البوس العائلي.

أخيرا جاء الجرسون ومعه ثلاثة ممتلئة بالبيرل وغيرها من المشروبات المنعشة. وطلبت منه ان يحضر تشكيلة من الساليزونات والساندويتشات وقالب توست لوى كانز مخصوص.ومش عاوزه تأخير. وانت جاي هات معاك جردل ثلج.قوام هو أنت لسه ما جيتش.بدأوا في تناول البيرل وطلبت أشجان ألا يملأوا بطونهم بالمشروبات. وقالت:

- لو ما عندكومش مانع أنا عاوزة أكل مشويات.ح أطلب يجيوا لنا
جريل على الشاطئ ونشوي وناكل وأونكل وسطينا يحكي لنا كل
إللي يحب يحكيه.

رحب الجميع بالاقترح وتبرع عمر وأحمد وخالد بأن يقوموا بعملية
الشواء.طلبت أشجان الشيف وأمرته ان يعد لحما وريش ودجاجا
وسوسيس وهامبرجر للشواء. وان يرسل جريل بأدواته الفحم فيه
مشتعل. واختتمت كلامها قائلة :

- شيف نعمان أنا جعانه وريني بقى الهمة ولا تكسفينش مع أعز
الناس. إحنا 6 أفراد قاعدين على الميه.فاهم يعني أيه قاعدين قدام
الميه.

وأضافت وخلجات وجهها مفعمة بالفرحة والأمل:

- حبيبي : سأبقى رغم طول انتظاري حلما يداعبك في الصباح
والمساء.

وسألها عمر في لهفة:

- أنا !

أجابت دونما تردد:

- أناادي علي حبيبي وأنا في قمة السعادة بينكم.

ثم وضعت كفها الأيمن على فمه وقالت:

- أرجوك لا تسترسل.بلاش طمع.مش أخذت بوستين عاوز أيه

تاني؟

وعقب المهندس فتحني وقد شرب البيرل المثلج:

- اسكت يا ولد. مش عارف ليه شكلك كده ح تكون والله وأعلم الليلة ليلتك.

سكت ورفع كأس البيرل المشبر إلى فمه ورشف دفعة كبيرة إلى جوفه ثم قال متأنيا وهو ينظر مليا إلى عمر:

- أنت إللي في دماغى النهارده .

قال أحمد ساخرا وهو في غاية السعادة:

- كده فيلم السهرة" الدونجوان يسلم النمر".

- طيب يا أحمد إن ما كنت أوريك .

- أيه يا عمر هو في شوف أكثر من إللي شايفينه ؟

وأضاف خالد قائلا:

- ترقبوا العرض الأول من فيلم " والد الدونجوان يكشف الأسرار".

- أنت كمان ؟! لو ما كنتش تدخلت ما كانتش عبرتك .

- رسول العشاق يعني واللا طبيب يداوي جروح العشاق ؟ !واللا

مجمع الحبايب..سيتهالك مخضرة ..اشبع بيها .

وشاركت ثريا بعد صمت طويل ربما بعد أن أنعشها كأس البيريل قائلة:

- في أيه ؟ شمتانين ليه في عمر لا هو أول من حب ولا آخرهم.

- يا ابنة عمي المكابرة. المكابرة يا ثريا

- يا أختي حذرناه. فهمناه ما فيش فايده.

في الوقت الذي كانت فيه أشجان سعيدة بما تسمع ذكرت ثريا ابن عمها بما كان عليه حاله وقت أن تقدم لطلب يدها وأنها كادت ترفضه لولا تدخل والدها.

- بتقولي أيه يا ثريا ؟

انتعش المهندس فتحي وقال:

- بتقول أيه يا ولد ؟ بتقول الحقيقة. خلي الطابق مستور.

- عمي ! ؟

وصلت الشواية ومعها كل اللوازم للحوم والدجاج والكاتشاب والمستردة مع الشيف الذي قال:

- أشجان هانم كل اللحوم والدجاج متبلة والفحم جاهز المطلوب
الانتباه على الشواء. وبالهناء والشفاء يا ست هانم لك ولضيوفك.
انا رهن الإشارة.

شيف نعمان قل لخدمة العملاء يشوفوا لنا جهازين والّا تلاته تكييف
صحراوى الدنيا ح تبقى حر من الجريل وهي مش ناقصة. بسرعة. شكرا يا
شيف.

انصرف الشيف وقام عمر وأحمد وخالد ليتولوا عملية الشواء وعمر
يتوعدهم وقام المهندس فتحي للتريض وأخذ معه أشجان وثرىا. قال عمر
مداعبا أباه:

- ماشيه معاك حلاوه

- طبعا ماشيه معايا.. معايا الحب والحب..هو في أحلى من

الحب.سلام يا ولدي.خالي بالك على المشويات.وأنا معايا
الحلويات.



يا روجي عليه

أشجان صفوت برهام فتاة رقيقة ربما أرق من نسمة تتمناها في يوم خائق عبوس لثُرُوح عنك ما تلاقيه. كفاك منها ابتسامة أمل مشرقة عندما تلاقيك. الرضا عنوان شخصيتها ومفتاحه. القلب لم تلوثه البيئة الاجتماعية أو الاقتصادية الطاحنة. روح تهيم شوقا بعمل الخير ولا تتوانى لحظة لإدراكه . متصوفة زاهدة في سلوكها، ربما. تلاقت مع مرام في مؤسسات عمل الخير. لم تدهمها مؤثرات الحياة إلا قليلا. مات والدها المهندس صفوت وهي على أعتاب التخرج من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. لم تبهرها مباحج الحياة في الجامعة. عضو مؤسس ناشط وبارز في لجنة النشاط الخيري. نظراتها الحاسمة كفيلة بأن تردع من تسول له نفسه الخروج عن مقتضيات الزمالة. تخرجت ولم تخرج من الجامعة بحبيب أو زوج. عمها حاتم برهام تكفل برعاية ثروتها إلى سلمها لها كاملة غير منقوصة.

سارت أشجان وثرى والمهندس فتحي فترة يغلفهم الصمت والليل في صفحات من الظلام الحالك يكسر سكونه صوت ارتقاء الموجات التي أنهكتها رحلة السفر لتصل إلى أحضان رمال الشاطئ متهالكة خائرة القوى. سكون الليل يحفز خيال الشعراء والكتاب والقمر يدعو العشاقين لمؤانسته في خلوته بين الكواكب. الليل مكنم الأسرار ولو نطق البحر لروي من العجائب ما روى.

نسبات باردة تطل عليهم على استحياء بين الحين والآخر. قالت ثريا:

- هي التمشية في الليل بجوار الشاطئ إبحار في سفينة المجهول؟
قال المهندس فتحي متسائلا:

- الخيال جميل يا ثريا بس ده الخيال في شئ من القلق على بكره

- لا يا بابا. مجرد خيال من وحي الزمان والمكان.

وعقبت أشجان قائلة:

- طيب يا ثريا ليه ما تقوليش إبحار في سفينة المعلوم.

- ليه لا؟ كفاية معانا بابا ربان في أعالي بحار الحياة.

- أكيد يا ثريا.

لم يجد المهندس فتحي ما يقوله وهو يسير. عقله يقلب ما يجري في البلد من أحداث تثير دهشته وفضوله. وصول الإخوان إلى الحكم حلم راود الكثير من المسلمين بل راوده شخصا عندما نجحت الجماعة في فترة الستينات من القرن الماضي في الترويج لفكرة أن اضطهادهم وملاحقتهم أمنا مرده قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله وتطبيق شرع الله عندما طالبت مجلس قيادة ثورة 23 يوليو بعرض كافة القوانين والقرارات التي سيتخذها مجلس قيادة الثورة قبل صدورها على مكتب الإرشاد لمراجعتها من ناحية مدى تطابقها مع شرع الله والموافقة عليها. كأن الإخوان والتيار الإسلامي يختصر تاريخ مصر وحضارتها التي تمتد جذورها في أعماق التاريخ في فترة دخول الإسلام في مصر وحدها. فالتأكيد والتركيز على هذه الحقبة أمر جيد. ولكن إغفال بقية الحقب يبرر الصورة الكاملة للهوية المصرية. وقد غلب على ظن الكثيرين بعد ثورة 25 يناير حتى من بين النخبة السياسية أن جاهلية مصر آن لها أن تنقش لتحل محلها خلافة إسلامية تعيد أجداد الدولة الإسلامية.. دولة العدل و المساواة... دولة ترد مواطنة فيها أمير المؤمنين عمر ابن

الخطاب... فلا يجد غضاضة أن يقول أصابت امرأة وأخطأ عمر. وبعدما انبلج فجر الحلم فإذا بالحلم يتحول إلي كابوس.. ضاعت أحلام الخلافة مع الفوضي الخلافة. لم تنطل على المهندس فتحي ألاعيهم .. عاش في دروبهم في مطلع شبابه، وأدرك بفطرته أنه من غير المقبول أن يرهن الإنسان نفسه وروحه للآخرين من أجل مبدأ السمع والطاعة.

مسك المهندس فتحي بعضا وجدها على الشاطئ أخذ يعث بها على الرمال بلا مبالاة. قفزت على سطح ذاكرته واقعة مر عليها أكثر من عقد ونصف العقد من الزمان. كان عائدا من أداء واجب العزاء في إحدى قري الدقهلية وسأله أهل بيت المتوفي أن يصطحب معه في السيارة شابا متجها إلى القاهرة. رحب بالفكرة. بعد فترة من الصمت سأله الضيف :

- إن كان مسلما ؟

قال له :

- نعم وأظنك كذلك من الملابس التي ترتديها .

هز رأسه موافقا ثم سأله سؤالا لم يخطر على باله :

- هل تعترض أن يحكمنا كتاب الله ؟

أجابه بسؤال استنكاري:

- كيف تجرؤ على توجيه مثل هذا السؤال لشخص مسلم... السؤال

الصحيح من سيطبقه ؟

أجاب دون تردد :

- شيوختا.

- وماذا عن علوم دنيانا ؟

- الآخرة خير وأبقى. إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.
- أحسنت. وماذا نعمل في الدنيا حتى نبلغ الآخرة ؟
- نحسن العبادة .
- والعمل ؟
- نعمل كما كان يعمل السلف الصالح بما لا يخالف شرع الله.
- هل تعتقد أنه يمكن التعامل مع العالم الحديث بفكر ومفاهيم عصر الخلفاء الراشدين العظام ؟
- مين إللي قال إن المطلوب التعامل مع العالم الحديث بفكر ومفاهيم عصر الخلفاء الراشدين. المطلوب تنقية فكر العالم الحديث من كل ما يتعارض مع فكر ومفاهيم عصر الخلفاء الراشدين. نريد أن ننهل من ينابيع الفكر الإسلامي في مهده قبل أن تلوثه الإسرائيليات، وأنصار العلمانية الشواذ!
- تفتكر انه من الممكن إعادة تشكيل عالم اليوم البالغ التعقيد دولياً وفكرياً وإعلامياً وثورة معلومات وثقافياً وسياسياً واقتصادياً بما يتوافق مع عصر الصحابة الأجلاء ؟
- كله بأمر الله. علينا إعادة حكم الله ونتخلص من القوانين الوضعية.
- معقول في حد لسه بيفكر أن التاريخ يجب ان يقف عند عصر الصحابة رضي الله عنهم. عصر الفطرة والقبلية.
- طبعاً، عباد الله المخلصون.
- والعلم ؟

- فتوحات على عباده الصالحين .
- يعني إديسون وماركوني ونوبل واينشتاين وماري كوري وفورد
وعشرات الآلاف من المخترعين من غير المسلمين اختراعاتهم
كانت فتوحات من الله على عباده الصالحين . وبقية العباد يبقوا أيه،
الله يفتح عليك؟

- الفتوحات التي أقصدها فتوحات في علوم الآخرة. أما الفتوحات
التي تعنيها عرض لاجدوي منه. وتأمل ماذا آلت عليه الدنيا.
انهيار في كل شيء.

- طيب أنت راكب العربية ليه ما دامت عرضا لاجدوى منه؟ يا
رجل شد الرحال على جمل أو حمار.

التزم الصمت ويعد قليل طلب منه أن يقف ونزل من السيارة قائلاً:

- طريقنا مختلف.

- يمكن. بس خليك فاكر بلاش العربية و شد الرحال على جمل أو
حمار.

رأس المهندس فتحي مملوءة بالأفكار والخواطر والذكريات التي تراوده
ولا تفارقه ولا سيما مع الليل والبحر. فيجد في الليل صفاء عندما يبتعد
به عن صخب النهار ومشاغله ويجد في البحر مدادا يكتب بها الذكريات
في خاطره وعندما يحل الصباح تداهمه. الآن بعد أن ألغى الرئيس مرسي
حكم المحكمة الدستورية بحل مجلس الشعب ورفضه الانصياع لإرادة
الشعب بعد سنة من الإخفاقات كنت أشك في أن طريقنا مختلف ولكن
الآن تأكد لي ايها الشاب الذي رافقتني منذ أكثر من 15 سنة أن طريقنا

مختلف. أنتم تتحدثون عن بيعة لها شرعية أبدية ونحن نتحدث عن شرعية دستورية تمتد إلى فترة ولاية الرئيس مادام ملتزما بالقانون والدستور. سارت ثريا وأشجان إلى جوار المهندس فتحي أحيانا وتقدمتا عليه أحيانا وتستديران تراقبانه وهو يعبث بعصاه في الرمل وتتأخران عنه قليلا وتتهامسان سويا في شؤون شتي.. أحلام البنات...، البيت الجديد مع وجه جديد له عاداته وأفكاره التي ربما لا تتوافق مع أفكارها وظروف نشأتها. طمّنتها ثريا عن سلوكيات عمر وقالت كنت اتمني أن أجد شابا في أخلاق عمر.. صحيح هو دونجوان من طراز فريد.. حلو اللسان.. كريم الخلق.. واختتمت حديثها قائلة:

- أنا حبيبتك عشان عمر حبك . كنت خايفه عليه قوي ما همه بيقولوا وقعة الشاطر مش بس بمية ولا بألف .. وقعة الشاطر بعمره كله .

- وعمره عندي أغلى من عمري أنا ما حبيتش قبل كدة . ما كنش فيه عندي وقت لرفاهية الحب. ما تخافيش عليه .. إحنا حقيقي وقعنا... بس حباينا سموا علينا ...

سكتتا و تركتا الليل يهمس إليهما بخليط من أفراح وأحلام وأسر لهما بما يعرفه من أسرار وأحزان ألقت كل منهما بها في اليم لكي تنساها ولكن ها هو الليل يحملها إليهما على صفحاته مجددا الأمل . لايشغل بال ثريا سوى غيرتها على خطيبتها أحمد التي تصل إلى حد المضايقة غير المبررة. ثريا على يقين من حب أحمد وأنه ليس من الشباب المحب للمغامرات . وهذه نقطة ربما تحبذها كثير من الفتيات عند الزواج مخافة أن يعاودهم الحنين إلى الماضي برغبة منه أو من محاولة الطرف الآخر إعادة الطائر إلى عشه

القديم. كانت تحلم بدونجوان مثل عمر يجعل وسادة نوم الفتيات مبللة بالدموع. تسمع قصص الحب على جميع المقامات الموسيقية، ولا تجد لقصتها مع أحمد مكانا بين هذه المقامات. تجد فيه المحب المطيع الذي لا يجرؤ على مناوشتها فما بالك فهو المحب الذي لا يطرأ على ذهنه ما يجعل الوسواس تلعب بها.

قفز إلى ذهن أشجان ذكريات أيام حزينة طردتها من محطات حياتها لكي يسير بها قطار حياتها دونها عقبات أو بالأحرى حيث تسيره فلا يقف بها إلا حينما تشاء. ومع ذلك انفتح دفتر الذكريات على الصفحات التي ضمت في طياتها الأسابيع الأخيرة من حياة والدها المهندس صفوت برهام وهو يكافح المرض اللعين. لم يكن يشتكي من المرض أو الألم وربما أخفى عليها وعلى أمها سوسن هانم مرضه اللعين عندما اكتشف أنه في مرحلة متأخرة منه، وأصبح التبقّي هو تخفيف الألم قدر المستطاع.. ظل صامدا صامتا لا يشكو حاله إلا لربه الذي استجاب لدعائه فرفع عنه الألم والأطباء في دهشة من هذا المريض الذي لا يشكو وطلب إليهم أن يوقفوا جرعة المورفين لأنه لا يعاني ألما. قالت أشجان بصوت متهدج سمعته ثريا وأخرج المهندس فتحي من تأملاته.. قالت :

- بابا لم يطلب مني سوى أن أحسن الاختيار.

أجابها دون تردد:

- أحسنت الاختيار يا حبيبتي الصغيرة.. ولا تقلقي. والله يا بنيتي

الريقة أحسنت الاختيار.

ضممتها ثريا إلى صدرها واحتواهما المهندس فتحي بين ذراعيه، وأخذ يربت بيده على كتفيهما بحنان الأب الحبيب وقال:

- على طول الطريق تتقاذفني أمواج بحر الذكريات. عاوز من وسطها أختار اللي يسر خاطركم. في مواقف طريفه تطّري على القلب تشبه النسيم العليل والآ حته بطيخة متلجة في عز الظهر في عز الصيف.

صاح قائلًا كأن الجوع قرصه فجأة:

- الكلام يسلي والليل يولي. الأولاد زمانهم خلصوا على المشويات. همة يا بنات عشان نلحق المشويات والمثلجات.

عادوا على عجل فوجدوا الشباب يعمل بهمة ونشاط. لم يتبق سوي الهامبرجر وواضح أن الكميات بوفرة. وقال عمر وجدنا المشايخ عبدالرحمن وحسن ومحمود والفتاح ومدام أمل ومعهم.. وأضافت أشجان قائلة :

- أبوه معاهم منصور الطباخ وزوجته شفيقة وأنور ابن المعلم ظلطة. منصور استاذن مني وأنا أدبته الإذن. في مشكلة بيحلوها. ربنا يهيا لهم الخير.

انتفض المهندس فتحي عند سماع اسم المعلم ظلطة وقال بطريقة عفوية:

- ده حرامي ونصاب وجاسوس وكمان تاجر مخدرات...

حاولت أشجان أن تحول دون خروج الكلمات من فم المهندس فتحي ولكنها انطلقت تعبر عن الحقيقة. حاول خالد ان يطمئنهم بأنهم يحلسون على مسافة ليست قريبة، ومن المحال ان يصل اليهم الصوت. وقال عمر:

- شبابا لم يحدد اسما. الكلام كلام عام

وبدلا من أن يحسن أحمد الصورة زاد الطينة بلة:

- الأوصاف ده لا تنطبق إلا على شخصية بعينها.

وعقبت ثريا قائلة بسخرية:

- طول عمري بقول عليك فالح ! يا راجل جيت تكحلها عميتها..
وأضافت ترطيبا لجو المناقشة :

- نبتت لهم طبق مشكل ومشروبات. الأكل كثير.

- طيب يا ثريا إديني دقيقة وحشوف.

اتصلت بالموبايل بالشيخ نعمان واستفسرت منه إن كان منصور الطباخ طلب أكل أو مشروبات للضيوف الى معاه فأجابها بأنه من فترة طلب عشاء لثمانية أفراد. شكرته ودعتهم للاستمتاع بالمشويات مع أجهزة التكييف الصحراوي .

قال المهندس فتحي بعد أن وضعت ثريا تشكيلة من المشويات على طبق وأعدت له كويا مثلجا من البيريل:

- سمعت أشجان وهي بتقول لعمر عاوز أبه تاني ما أنت خدّت

بوستين في مهرجان البُوس العائلي. بالمناسبة عمر خدّ منك بوس

يكفيه العمر كله. لا هو ولا أنت فاكرة. كل ما كان يبجي البيت

عندكم يجري ويقول أنا أبوس النّوّ. الغريب ما كُنتيش تعطي.

وعلقت أشجان وقد تورّد خدّاها:

- ده كان زمان وجبر يا بابا.

وتساءل عمر مازحا:

- أنتِ قلت أنا خدت بوستين في مهرجان البوس العائلي.. مين

عارف ما يمكن تكوني انتِ كمان عاوزة بوستين في مهرجان

البوس العائلي؟

وعقبت أشجان قائلة

- كده يا سبي بابا فتحت باب البُوس مين بقى يقفله ؟

تطوعت ثريا بالإجابة قائلة ومتوعة:

- أيه في أيه. خلاص قفلنا باب البُوس زي ما في المحكمة لما بيقللوا

باب المرافعة.

وأردف المهندس فتحي قائلًا بحزم:

- خلاص إللي باس باس .. قفلنا باب البوس بالضبة والمفتاح. بس

الليل والبحر زي بعض ... كلاهما مستودع للأسرار. كان لازم

استأذنهم قبل البوح بالأسرار. هي حكاية من حكايات قبل النوم

نرويها للأبناء. زمان من عشرين سنة أو أكثر رحت مدرسة إبني

عمر تماما زي كل يوم. يومها استوقفوني شوية بنات صُغَيرين من

عُمر عمر إبني وسالتي بنت زي القمر... قمر أيه أحلى أحلى من

القمر.. سألتني : أنت بابا عمر؟ قتلها أيوه. قالت لي أيه ؟ يا

روحي عليه! سألتها تاني أنت قلتي أيه ؟ قتللك يا عمو : يا

روحي عليه.

وداعبت أشجان المهندس فتحي وسألته:

- هي البنت الأمورة قالت لك أيه ؟

- يا روعي عليه.

- معاها حق يا روعي عليه.

ضحك الجميع وقال المهندس فتحي بجدية وهو يغالب النوم:

- اليوم كان طويل ولازم نشكر أشجان على أيامها الجميلة وكرمها

وده مش غريب على بنت المهندس صفوت الله يرحمه ويرزقه

الجنة. هي البنت الأمورة قالت أيه ؟

قالوا قولة رجل واحد:

- يا روحي عليه.

وأنا بقول لكم والشاطر يفهم:

- يا روحي عليها.

- مين يا بابا ؟

- أشجان يا سي عمر.

وتساءل المهندس فتحي عن موعد افتتاح المعرض فأجابه عمر:

- في موعده 26 أغسطس

- النهارده كام

- بقينا 25 أغسطس

- في وقت كفاية. أشجان النهارده على العشاء أنا عازمكوا جميعا مع

سوسن هانم وأميرة ومدام مرام على العشاء و عاوزك أنتِ وعمر

ترتبوا للعشا ده.

- مش حينفع الكلام ده يا بابا. أنا متأكدة أن ماما مرتبة للعشا ده.

- على أي حال تصبحوا على خير ده الساعة بقت الواحدة صباحا.

أحمد؟

- نعم يا عمي.

- خالي بالك على ثريا

- هو أنا عندي حاجة غير أني أخالي بالي على ثريا. يا ريت ترضى

عني.

- كده. برضه تصبحوا على خير.

ساروا مثنى مثنى عندما غادروا الشاطئ.. شغل المهندس فتحي المقدمة
ومعه خالد ثم ثريا وأحمد واحتلت أشجان وعمر المؤخرة. صخب البحر
يتباعد فيخفت والنجوم في السماء تزداد تألقا. سألها عمر هامسا:

- مش إنتي قلتي :معها حق يا روجي عليه.

- أبوه قلت ما هي عيلة لا تعني ما تقول .

- وإنتي؟

- أسكت يا ولد

عادوا إلى غرفهم وكل واحد منهم يحمل أحلاما تجعل النوم حلما بعيد
المنال. والذاكرة تحيي أمام مخيلتنا أوقات كم كانت جميلة مرت بنا ونشتاق
إليها فتملاً برحيقها حياتنا عطراً يطوف بنا مع نسمات من الأمل في غدٍ
مشرق. وآه منك يا بحرُ بهمساتك وبها تحويه من أسرارٍ تحملها أمواجك
المتتالية في همة وانتظام والمتلاحقة في خفة رشاقة والمتتابعة في جدية ونشاط
وكأنها ألحان تعزفها الطبيعة فتسمعنا أحلى النغمات والكلمات.

جلس عمر في شرفة الشاليه يحدق في النجوم قال مناجيا:

- حبيتي ... لو حاولت أن أصف لك ما بقلبي من حب لنفدت

الأوراق وما زال القلم يكتب والقلب ينبض وليلة وراء ليلة تمضي

و القلم مازال يكتب والقلب مازال ينبض.. هل تسمعين ما

أكتب وتقرئين نبض قلبي ما زال القلم يكتب والقلب ينبض.

أخاف من الليل أن يحاسبني، فلا أغفو. وأخاف البحر يراقبني،

فيفضح أمرى. أخاف من سيل الأفكار يدهمني، فيتشتت

عقلي. أخاف من عيوني تبوح بأسراري... آه منك يا قلبي تحفك لما

خيالها يداعبني... وآه منها عندما تتدلل وتراوغني.

أما خالد فقد تعجب لحال الدونجوان. أشكذا الحب يُحوّل الناس من حال إلى حال. رافق أمه أميرة هانم وشقيقته ثريا في رحلة شرم الشيخ هربا من فشل علاقته مع "دارين" التي عرفها عمر عليه كتب يقول معاتبا وهو على ظهر الطائرة:

دارين ! طعنت في القلبِ خنجرا فما عدت أجدر رجاء من رجوعك رأيتك مع هذا ورأيتك تخونني مع غيره فما عادَ ينفعُ اعتذارك. شممت رائحة عطري في ملابسه وشممت رائحة عطره في ملابسك. تجرعتُ آلام الغيرة كأسا بعد كأس بعد كأس والقلب يدمي. هانت الدنيا بما فيها للحظات ولكنني تذكّرت أنك فيها فتمسكت بها لأنك ستشربين من الكأس بعد حين. كأس الخيانة دوارة يتجرعه من شرب منه ولو بعد حين. أعلم أن الحبَ يغيّرُ ما في النفوس ومثلك خائن ظالم للحب أنى يكون. اشربي من الكأس واشربي عندها تعرفين كم أضرم الشك النار في مضجعي.

كرامتك يا خالد تهدر وأنت تبكي قلبك الجريح.. أتبكي وقد غطى نرفك سماء هذا الكون الفسيح.. فلا جدوي أن تنادي على حبيب في واد غير واديك.. أو تقيم في قصر لم يعد فيه من يريد أن يحاكبك.. تخطى يا قلبي بعزم آلام فرقة ووحشه تحتويك. واجمع من دفاترك وأوراقك كل كلمة جميلة تشجيك.. واسمو بنفسك بكل كلمة صدق قلتها لمن تحب ولا تناجيك.. دعها في غيها وشططها وانتظر غداً ربما تجد فيه كل ما يعينك. عكف خالد على قراءة ما كتب مرات ومرات حتى حفظها عن ظهر القلب. نام مستلقيا على ظهره وهو ممسك بالورقة. دخل عمر الشاليه ليشرّب. سحب الورقة بهدوء وقرأها وتعجب وقال:

- ما قلت لك!؟

سار أحمد وثرى متجاورين ولم ينطقا ببنت شفاة كأن الليل غلفهما في صحائفه.. كانت تسترق نظرات خاطفة ممن يجاورها المسير فيرتبك ويعدل من ملابسه وينفض ما علق بها من رمال. وبين الحين والحين يختلس أحمد نظرات لعله يستشف سببا لهذا الصمت المريب. حالة من القلق الرهيب. لم يعد أحمد يحتمل المزيد. قال لها بصوت ظن أنه يصلها دون غيرها ولكن سكون الليل والابتعاد عن الشاطئ خيبا ظنه فالكل أذن صاغية حتى للهمسات :

- متضايقه من أيه ؟

- منك

- مني؟!؟

- أيوه منك. لم تتحدث معايا كلمة واحدة لله

تلجلج أحمد ولكن أنقذه عمه المهندس فتحي متسائلا:

- وانتى لسانك فين يا ست ثريا ؟ على الأقل أشكركه وقف على

الشواية مع أخواتك و إحنا بنتمشى على الشاطئ لا شغلة ولا

مشغلة. مش كده واللا أيه ؟ يا بنت أنا أبوكي وأنا عمه.

واصلا السير صامتين وعندما وصلا إلى الشاليه أنعمت عليه بتحية المساء

قائلة:

- تصبح على خير يا حبيبي .

- تصبحي على خير يا ست البنات الحلوين .

- أهو كده الكلام يا باشمهندس.

صعد درجات الشاليه طائرا ونام نوما هائتا سعيدا.

دخلت أشجان السويت رويال وبصحبتها المهندس فتحي وثريا فوجدوا
سوسن هانم وأميرة هانم في انتظارهم قالت أشجان بدهشة :
- ماما لسه صاحبة ومسهره معاها طنط أميرة ؟!

أجابتها والفرحة في عينيها:

- عشان خاطر عيونك وعيون عمر.

وأضافت أميرة هانم مؤكدة:

- ماكانش عندنا سيرة غيركم وبدأنا الحكاية من أولها. من لحظة ما
كان يدخل البيت عندكم ويجري ويقول أنا أبوس النونو إلى تعلقه
بك ونسي مسابقة الصيد إللي بيرتب لها من ثلاثة شهور. والبيت ما
لوش سيرة إلا مسابقة الصيد.

وأضاف المهندس فتحي مبتسما:

- بس..بس ما هو اصطاد عروس البحر. عاوزين أيه ؟

- ولا حاجة انا اختصرت الطريق أنا خطبت ابنك لبنتي ومراتك
خطبت بنتنا لإبنك. إللي فاضل موافقتهم.

- كده يا ماما.. كده يا طنط ؟ مالناش رأي

وعلقت ثريا قائلة وهي تقبل أشجان:

- رأي أيه ؟ ده الحب تفضحه العيون.

- والله يا بنتي نشفتي ريقى وغلبتيني وأخرجتيني مع الأصدقاء

والإحباء. رفضت شبان كثير وحجتك كانت : مش مستريحة

له... مفيش قبول.. رائع وجميل بس مش ليه.. مش وقته .. إنتي

مستعجلة ليه.. خلاص زهقتي مني .

- خلاص يا ست ماما. إنتي أخترت وأنا وافقت.

وقالت ثريا وهي سعيدة:

- أروح أصحّهلك ؟

- لا بلاش يا ثريا. حرام خليه ينام.

- يا حنّين. طيب أروح أنا أنام.

قالت أشجان سعيدة وممتنة وهي في طريقها إلى غرفة النوم وبصحبتها ثريا :

- حقيقي عملتوا اللي عليكموا. تصبحوا على خير.

تبادلت أشجان وثرىا بضع كلمات راحت بعدها أشجان في سبات

عميق. جاوزت الساعة الواحدة صباحا بقليل وخيم على السويت رويال

السكون. لا صوت سوى نبضات ساعة الحائط التي لا تسمع لها صوتا

عندما تستيقظ الحياة. الكل استسلم للنوم ما عدا ثريا. أبى النوم أن يداعب

جفونها. صارت تتقلب على جنبها فلا تستقر على حال. عقلها الباطني

يحاورها حواراً جاداً. تسائلها نفسها ربما معاتبة وربما مستوضححة عن طبيعة

غيرتها على أحمد وهل هي مبررة وهل هو يطيقها ويرى فيها دليلا على

الحب من منطلق أن الحب من سماته الغيرة على الشريك فلا يوجد حب بلا

غيرة .

وجدت هاتفها يناديه قائلا:

- يا ثريا ليست كل غيرة دليلاً على الحب. ده ممكن حب تملك

وفرض سيطرة وممكن يكون حاجة تانية زى تبرير معرفة تفاصيل

حياته..

- بس نسيج حياتي مع أحمد أريد أن أغزل خيوطه وأحبكه بنفسي.

عاد الهاتف إلى محاورتها:

- هذا أمر جميل بس ده تسلط واستحواز علي حياته.

- انت بتسمي مشاركتي تفاصيل حياته من أفراح وأحزان وأفكار
وخطط تسلط واستحواز... ما هي حياتي أنا أيضاً.. أفضل أن
تسميها مشاركة .

قال الهاتف الكامن بداخلها معبرا عن مخاوفه:
- أخاف من غيرتك على نجاحه فترين نفسك مجرد متفرجة تراقبين
الأحداث.

ردت عليه ثريا بانفعال:
- حيرتونا إن مشاركتهموش قلتوا سلبية وإن شاركته قلتوا متسلطة
وغيورة. أنت مين قوللي؟
أجابها على الفور:
- أنا إنتي المستخينة جواكي
سألته مستنكرة:

- لأ. أنت صوت أحمد؟
- أحمد؟ يقدر؟ ! ده يتمالك الرضا عشان ترضي. أنا نفسك
اللوامة التي لا تثبت على حال واحدة. فأنا كثيرة القلب والتلون
فأتذكر وأغفل من أشياء، وأنيب وأجفو على هواي، وأحب
وأبغض حسب المزاج، وأفرح وأحزن على كيفي، وأرضى
وأغضب وقتما يحلو لي، وأطيع وأعصي حسب ما يروق لي، وأتقي
وأفجر أهوده ما ليش فيه، حالاتي تستعصى على الحصر.
بدأت أشجان تتململ بفعل الساعة البيولوجية التي بداخلها تناديا لصلاة
الصبح. نظرت إلى الساعة وهي تفرك عينيها فوجدتها الثالثة والربع
صباحا ووجدت ثريا تكلم نفسها وهي تقول:

- لأ. أنت صوت أحمد
 - صباح الخير يا ثريا. واضح انك ما نمتيش.
 - ولا ثانية.
 - تغيير مكان النوم؟
 - لأ. النفس اللوامة
 - موضوع كبير. هو ههو ده موضوع كبير قوى.. عاوز مشايخنا الأفاضل قبل عودتهم للقاهرة. من أخطر الأسباب جهل الشخص بحقيقة النفس، وأنها خُلقت من ماء مهين، وأن الكمال لله وحده. سبحانه وتعالى، وأنها بدون معية الله تعالى وفضله لا تساوي شيئاً يُذكر (ألم نخلقكم من ماء مهين)
- وتابعت كلامها قائلة:
- سأتوضأ وأصلي واثمسي وإن لقيتك صاحبة نتكلم مع بعض لحد ما يصحوا على راحتهم.
 - أوكى.



المفاجآت

خرجت أشجان لتصلى الصبح في ردهة السويت رويال فوجدت المهندس فتحي وحرمة وأمها ومرام وصديقتها إيناس وقفوا استعدادا للصلاة. قرأ المهندس فتحي سورة القيامة في الركعة الأولى وقرأ سورة الفجر في الركعة الثانية. صلت مرام سنة الفجر ثم حيت الجميع وشدت على يدَي أشجان التي صحبتها معها ورافقتها إيناس في رياضة الصباح وسبقهم الكلب اللولو في الخروج من الباب منطلقا نحو الشاطئ ولم ينس أن ينبج أمام شاليه عمر. نزل عمر من الشاليه مسرعا ورأى الثلاثي النسائي قادمات نحوه. صبح عليهن بابتسامة مشرقة. لم تمهل عمر ليستفسر عن بصحبته وأجاب من تلقاء نفسها :

- مدام مرام ومدام إيناس .

وأضافت وقد استضاء وجهها بالسعادة :

- المهندس عمر خطيبي

لم يصدق عمر ما سمع واستفسر وقال :

- قولها ثاني من فضلك

- المهندس عمر خطيبي. أيه كثير عليّ ؟

- لا. إن كان كثير... يبقى ده كثير عليّ أنا .

نظر إلى مدام مرام ومدام إيناس وقال مستأذنا :

- اسمحوا لي أن أحضنها وأقبلها ده لحظة فارقة في حياتي.

اقترب من أشجان وسط دهشة الثلاثي النسائي وحملها من خصرها وأخذ
يقبل خديها ويدور بها حول نفسه ويصيح :

- بحبك يا أشجان... بحبك يا أشجان

وبينما كان يدور بأشجان ويقبلها كانت تربت على كتفيه وتقول والسعادة
تغمرها :

- نزلني يا مجنون... نزلني يا ولد.

- أنا المجنون بحبك..وأنا الولد اللي أحبك.

واستدرك قائلا :

- انتم وشكم حلو عليّ.وأنا عندي خبر حلو لك يا مدام مرام.

- خير إنشاء الله.أيه الخبر الحلو؟

- أولا أنا ابن المهندس فتحي عبدالرحيم .

- معقولة؟!!!

- ثانيا المفاوضات حول الإفراج عن ركاب الرحلة 105 انتهت

بنجاح بفضل الكتور هاني عبدالفتاح وربما الطائرة أقلعت فعلا

وهي في طريقها إلى شرم الشيخ. لكن الأغلب سيكونوا جاين

علي أوتوبيسات

- أنت بتقول أيه ؟ معقول ده إللي أنت بتقوله يا عمر؟

- أيوه. إللي سمعته يا مدام مرام.

- أشجان ممكن أبوسه ما هو زي أبني ؟

- اتفضلي ما هو رزقه في رجليه .

ثم نظرت إلى إيناس وأضافت :

- اتفضلي !

وأردفت قائلة وهي تضحك :

- امبارح كان مهرجان البوس العائلي والنهاره مهرجان البوس الصباحي... ما قولتيلكم رزقه في رجليه .

سمعت أشجان نباح كلبها اللولو ووجدته يجري عائدا إلى السويت رويال. ثم ها هي تتلقى مكالمة على الموبايل علمت منها أن د. هاني عبدالفتاح في الطريق إليهم. تحولت أشجان نحو مدام مرام وحضنتها وقبلتها وهنأتها على سلامة وصوله. استداروا جميعا عائدين ليستقبلوا بطل الطائرة المخطوفة. المسافة التي تفصل بينهم وبينه ربما لا تتعدى المائة متر ولكنها كانت أبعد عن ذلك بكثير بالنسبة لمن قاربت أعمارهم الستين عاما ناهيك عن شوق اللقاء بعد فقدان الأمل في نجاة الركاب عندما فُقدت الطائرة ثم بارقة أمل عندما أُعلن عن اختطافها وأعصاب محترقة ترقبا للأخبار وانتظاراً للنتائج - هكذا كانت الصورة تبدو بالنسبة لمرام والدكتور هاني عبدالفتاح وإيناس. أما أشجان وعمر فهما يروّنه بوضوح - خطوات ثقيلة مرهقة يشد من أزرها شوق لقاء الحبيبة وما أروعه لقاء. فما أجمل لقاء الحبيب بعد طول فراق وبعد سيل عارم متدفق من القلق والأشواق. انها لحظه تجسد أحداثها بذاتها فلا حاجة إلى لوحة ولا إلى مسرح ولا إلى ألوان... فيها نبض القلب يزداد وتتطلق المشاعر الفياضة من إسارها فتحطم القيود وتفتح الحياة مع الأحلام وتطوى صفحة الأحزان... لحظه ربما عندها تعاود الحياة هديرها ودفئها... لحظه تفرح القلوب فيها لعودة الحبيب فتكشف عما فيها من لبيب الأشواق.

تلاقت القلوب قبل أن تحتضن الكفوف بعضها بعضا. فرحوا بعودته ولقائه ولكنهم قلقوا برؤيته على صحته. اقترحت أشجان أن يتوجهوا إلي

السويت رويال للإسترخاء في الردهة وسوف تأمر خدمة العملاء بإعداد طبق فواكه مشكلة وعصائر طازجة وشاي ونسكافيه والفطور لمن شاء. قال د. هاني عبدالفتاح بهدوء:

- أنا بخير. لا تقلقوا على صحتي يا آنسة أشجان. شوية إرهاق مع شوية عيال حيروحووا لحالهم. أنا دكتور .

وعقبت عليه مرام قائلة:

- من فضلك ماتنساش أنا كمان دكتورة .

- ده كان زمان. أيام ما كان بيحطوا الششم في العين .

- مش قوى كده. ما تنساش طبيبتك حبيبتك.

- أكيد مش ناسي والدليل أنا طلبت من دلال والأولاد ما حدّش

ييجي. وده عشان أقعد مع حبييتي. أنا محتاج راحة... راحة.

عبرت مرام عن ترحيبها بتيسير سبل الراحة كلها له بأن فتحت ذراعيها واحتوته في حضنها. وقالت أشجان بمودة واعتزاز:

- كلنا تحت أمرك. فأنت تعرف معزتك عندنا. وبالمناسبة أقدم لك

خطيبي عمر ابن المهندس فتحي عبدالرحيم. هو كمان مهندس.

- معقولة. الدنيا صُغِيره كده. طبعا عبقري زي بابا.

- والله يا دكتور أنا بأقول كده .. بس هو بينكر ده بشدة. مش

عاوز حد ينافسه .

خرجت إيناس عن صمتها:

- ده بـ يخزي العين عنك يا باشمهندس.

- أنا بـ أقول كده برضه يا مدام إيناس.

وصلوا مكتب الاستقبال واطمأنت أشجان على راحتهم وأكدت على طبق
الفواكه وعلى العصائر..

- تعبت يا عمر؟!
- معاكي ما بتعيش
- طيب نتمشى لحد الشاطئ يا خطيبي وحبيبي يا سي عمر
- الله... الله الله وأنا حشَّه البحر والدنيا على حبنا.
- أنا استخرت الله وشفّت بعدها حلم مش محتاج تفسير.
- خير
- شفت زهرة كبيرة يمكن تكون عباد الشمس. طلع لي ملاك وقال
لي : البتلة إللي تقطفها هي نصيبك.. قطفت بتلة وسميت بسم الله
وقبل ما اقلب البتلة وأقرأ الاسم إللي على ظهرها ظهر الملاك
وسألني: حترضي بنصيبك ؟
- طول عمري راضية بقضاء الله.
- طيب شوفي يا بنتي نصيبك.. الغريب الملاك إللي كان بيكلمني
اتغيرت ملاحه وكأنه بابا الله يرحمه كان مبتسما وقال وصورته
بتتلاشى : أحسنت الاختيار.. أحسنت الاختيار..
- ناديت عليه. قَلَبَت البتلة لقيت عليها صورتك.
- كانا قد وصلا إلي الشاطئ. التزم عمر الصمت وبدأ مهتما بكل كلمة بل
بكل حرف كانت تنطقه. ظل صامتا الدهشة المفاجأة.. صفاء قلب أشجان
عقد لسانه... ربما. ولكن المؤكد أنه كان مأخوذا بما سمعه. نطق أخيراً قائلاً
بجدية :

- تخيلي كانوا بيوصفوني بملك التعليقات إللي بتعجب البنات. أنا خايف أقول تعليق يطلع أقل بكثير من الحلم اللى شُفّتيه.
 - قول أي حاجة بدلا من "لا تعليق!"
 - أنا كنت جاي أشهد البحر علي حبي لك يا أشجان بس البحر مش كفاية.. الدنيا بـ أشهدّها علي حبي. أنا كنت خايف.. خايف يكون قلبك بعيد بعيد عني بعد النجوم.. بس لقيته قريب.. قريب إلّي أقرب من جبل الوريد. قالوا "الحب فصل من قصة حياة الرجل، وهو القصة كلها في حياة المرأة"..وأنا أقول: الحب هو قصة الحياة كلها لمن عرف الحب رجلا كان واللا امرأة.
 - خلاص عبّرت عن أحلى مشاعر كنت أتمنى سماعها.
 - والله ما قلتها قبل كده.
 - والله مصدقك.
- عادا إلى السويت رويال على أمل لقاء في التاسعة صباحا لتناول الفطور مع العائلة.



الشیطان یبکی

غادر الدعاة الأربعة عبدالرحمن وحسن ومحمود والفتاح حوالي الساعة الواحدة والنصف صباحا، واتجهوا إلى الفندق الذي يقيمون فيه. وعادت أمل وأبوها منصور الطباخ وزوجته شفيقة إلى مقر سكن العاملين في الفندق. وعاد أنور ابن المعلم صدقة إلى قصر الأمير. أمضوا سهرة ممتعة علي شاطئ فندق مرمرة أعاد أنور بمقتضاها زوجته إلى عصمته. استرد ثقته في نفسه وانشرح صدره عندما أنبأته زوجته أمل أنها تنتظر ولدا للعهد. ربما لم ينم المعلم صدقة انتظارا لابنه أنور وربما من سعادة غير عادية غمرته. صفقة مخدرات عبر الأنفاق مررها داخل البلاد لحساب المعلم قرني الذي حاول بشتى الطرق تخفيض نسبة عمولة صدقة دون جدوي. ظهر الشيطان فجأة وتظاهر صدقة بأنه لم يره. وقال الشيطان متوددا :

- زعلان ليه ؟ عاوز أیه ؟ ألین لك جمجمة المعلم قرني؟
- أنت مين ؟
- قوام نستني ؟
- لأ. مانسيتاكش. بس ما تلزمنيش .
- طرح الشيطان عرضا سخيا لإغراء صدقة:
- ولو زودت النسبة 1 %.
- ما حدش يقدر يغير النسبة.
- أنت ما تقدرش بس أنا أقدر على إللي ما تقدرش عليه. واللا ناسي؟ إن كنت ناسي أفكرك..

واستدرك الشيطان قائلاً:

- يا خسارة. عدى بالصفقة حلاوة وأنت هنا قاعد تهوي على الدرة. يا خسارة المعلمين إللي كانت كلمتهم كلمة ملوك ما تنزلش على الأرض .
- ما تحاولش. المعلم قرني في جيبى وما يقدرش يلعب بديله. مصلحته معايا .

ضحك الشيطان ساخرا وقال :

- كان زمان قبل ما تزهره الدنيا معاه وتفتخ سيالته بالملايين . وعبر صدقة عن عدم مبالاته وقال غير مكرث.
- ومالو.الدنيا تساع من الحبايب ألف.
- عاوزك ما تسيش السوق له لوحده.. ده مارد لسه ما طلش من القمقم ..
- وبعدين ؟
- قلت لي وبعدين.السوق ده ما يسعش أكثر من اتنين. وأنا بـ أقول انت زبون قديم والى تعرفه أحسن من إللي ما تعرفوش.
- مش لازمى السوق ده ولا غيره ...
- بلاش بطر..لقمة طرية تعبت فيها وجيالك عل صنية تسيبها له ليه؟
- هات من الآخر ؟
- مش عندكو بيقولو البحر يحب الزيادة..
- أجاب صدقة وقد بدأ صدره يضيق :
- بيقولوا... خلصني !!

- البحر يوفى من قيراط ...واللّٰى أنا جاييهولك على الأقل قيراطين..
- يعنى حنوفي..ونوفي البحر بزياده حبتين ..
- طيب وبعدين ..
- آه. أو عى تفتكر أن القرشين إلّٰى معاك تسميها فلوس.على
- بعض كده لو كانوا لسه فاضلين في مكانهم.. دول شوية فكة عند
- المعلم قرني.ما أنت عارف اللى على على.
- استشعر صدقة قلقا على أمواله وتساءل ليتأكد أن ما فهمه يتطابق مع ما
- سمعه:
- أنت قلت أيه ؟
- إن كان على القول أنا قلت كثير
- أراد صدقة أن يستفسر بوضوح عن مخاوف زرعها الشيطان. تساءل
- بوضوح :
- أيه هو إلّٰى لسه فاضلين في مكانهم ؟
- تقصد القرشين إلّٰى طاروا من حسابك
- أيوه.تمام..
- همه طاروا بس مش بعيد
- يعني أيه ؟
- مش أنت عملت توكيل عام لآبنك وأنا حذرتك
- ده أنا اقتله ..
- تبقي خسرت نفسك وابنك ومالك.القتل يمنع الميراث والإعدام
- في انتظارك.وشوية الفكة اللّٰى حيلتك يتوزعوا على إحسان أمه
- ومراته أمل.

- ما هو طلقها.
- لآ، رجّعها
- رجّعها ؟!
- هو أنت ما تعرفش .
- والحل ؟
- تبندي من جديد وتتفق مع المعلم قرني، وترجع لطوعي زي زمان. أدلك على مغارة على بابا.
- ومالي ؟
- ما راحش بعيد. حـ أرد لك إللي حـ أقدر عليه. أنا ماشي بس مش بعيد. ابنك أنور على وصول. أياك تقرب منه و إلا خسرت كل شئ.. نفسك وابنك ومالك.
- عاد أنور إلى قصر ابيه المنيف سعيدا برده لزوجته. استرد الكثير من معنوياته وتسليح بردود معدة من قبل. لم يتوقع مطلقا أن يجد والده صدقة أمامه ينتظره عند الباب.
- شرفت يا حيلة أمك
- مساء الخير يا والدي
- تقصد صباح الخير
- كنت مع المشايخ عند الأنسة أشجان
- طبعا قابلت إللي ما تتسمي أميني وأمها ووالدها
- ورجعتها
- قلت رجعتها ؟
- أيوه رجعتها لعصمتي

- بـ تعصاني يا ولد ؟
- بـ اطيع الله في رفع الظلم عنها ..
- وطاعة أبيك ؟
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
- قول لي عملت أیه بالتوكيل ؟
- كل خير
- نقلت كل إليّ في حسابي إلى حسابك ؟
- حصل. وهو في فرق ؟ ما أنا إليّ واقف في السوق. ولزماً أكون متغطي.
- تتغطي يا روح أمك بـ فلوسك.
- هي فلوسك مش فلوسي !؟
- لأ وألف لأ
- يعني أنا أشتغل وأتعب والرصيد يكبر، وبعدين تتدني المصروف زي العيال. لا، ماينفعش يا والدي. أنا عندي بيت ومسئوليات.
- وبكرة حيكونلك حفيد ينور عنيك.
- والله باين حفظوك الدرس كويس.
- ابنك وتفرح له.
- ابني وبـ يشتغل بمالي واسمي.
- تريث أنور قبل أن يجيب وبدأ يتشاءب:
- أكيد ابنك، وأكيد بـ اشتغل بمالك ومالي، وأكيد اسمك في السوق هو إليّ تعبني.
- بـ تقول ايه يا ولد ؟

- ب أقول إلّٰي سمعته... يا والدي السوق ب يسمّع...وب يقلب الماضي علي الحاضر...السوق بحر قلاب ..
- يعني أيه ؟
- السمعة كنز على راس إلّٰي ب يشتغل في المعمار وبالذات كارنا كار المقاولات.

همس الشيطان في أذن صدقه:

- سيبك منه خليك معايا.معمار وظلط ورمّل كلها فكة خليك في حضن الملايين ..
- هو أنت جيت
- أبوه، هو أنا سيبك. الواد ملوا دماغه وحـ يحطك في عبّه.
- والدي ؟ في أيه ؟
- ما تخدش في بالك.ب أكلّم نفسي.ب أدور الكلام إلّٰي قلته في دماغي بصوت عالي.

عاد الشيطان يوسوس في أذن صدقه :

- ما قلت لك سيبك منه خليك معايا.أنا كلمت المعلم قرني ووافق على الزيادة وعلى كل طلباتك وقال بس يرضي .
- والدي أنت فين ؟
- هو عقلك طار كمان.روح نام باين عليك التعب.بكره نكمل كلامنا. النهارده مش فاضي.

صعد أنور إلى غرفته منهكا. يوم طويل فيه من الساعات أكثر من 30 ساعة. وضع رأسه على الوسادة فنام على الفور.

جلس صدقة يقلب في رأسه ما قاله ابنه بشأن حسابات البنك واستبعد من ذهنه أي محاولات للخيانة. وحدثته نفسه قائلة:

- أنور زي أمه ما يعرفش يخون.

قفز الشيطان يلعب برأسه قائلاً:

- مش لازم الخيانة تكون معششة برأس أنور

- تقصد مين ؟

- ما أعرفش حد بالتحديد .

رد صدقة بعنف غير متوقع:

- تبقى نحرس.

- يمكن منصور الطباخ أو شفيقة مراته!! ؟

وتساءل مندهشاً :

- ليه ؟

- لألف سبب وسبب. الحسد..الحقد.. الانتقام

- من مين ؟

- منك

- مني أنا. ده أنا أكرمتهم وعلمت بنتهم و عيشتهم عيشة الأسياد

مش عيشة الخدم.

- وبعدين ؟

- وبعدين أيه ؟

- عيشتهم عيشة الخدم.

- تقصد عشان رجعتهم لعيشة أهاليهم. ده ناس ما حمدتش ربنا على

النعمة إللي كانوا عايشين فيها.

- جازيز بلاش نظلمهم. يمكن في حد تاني
 - عضوا الإيد إللي اتمدت لهم.
 - جازيز .. بلاش نظلمهم. يمكن الجلايب البيضة زنت على ودانهم
 - واختتم صدقة الوسوسة والظنون السوداء قائلا وهو يهز رأسه:
 - جازيز .. جازيز .. جازيز
- رن الموبايل بينما كان صدقة يقلب احتمالات جازيز التي صدرها له الشيطان وخرج منها خروجاً آمناً ببساطة شديدة بادعائه " بلاش نظلمهم ". ربما كان على الشيطان أن يضيف : ده الظلم حرام. عشان تكمل.
- انتفض صدقة من رنين الموبايل الذي أخرجه هو مما فيه. تأمل الرقم ليس غريباً عليه ولكنه ليس مشفوعاً باسم صاحب الرقم. تبقى المسألة تشابه أرقام. عاود الموبايل الرنين. رد على المكالمات غاضباً:
- يا فتاح يا عليم
- جاءه الرد بصوت لا يخطئه فقد تكرر اللقاء عبر التليفون في الفترة الأخيرة:
- يا رزاق يا كريم
 - أهلاً يا معلم قرنى .. صباح الخير.
 - صباح الخير والهنا. تصدق
 - لا اله إلا الله.
 - بقالى يومين أعاتب نفسي. إزاي تحسر ولي نعمتك إللي فتح لك باب الرزق إللي أنت عايش فيه. ما عرفتش إزاي أصالحك وارضيك لحد ما جالي صاحبنا واقترح علي تزويد النسبة 1% قلت له بس كده ده عربون محبة ورجوع التعاون تاني. ده إللي يؤمر به

المعلم صدقة سيف على رقبتني. ده أنا طلعت واللا نزلت صبي من صبيان المعلم صدقة.

برز الشيطان للمعلم قرني وأثنى على حديثه. ورد المعلم صدقة الذي شعر بعودة هيئته بعد تأكلها في الآونة الأخيرة قائلا :

- استغفر الله. مش لحد كده. أهني نزوة وراحت لحالها وما بين الخيّرين حساب.

وفي لمح البصر ظهر الشيطان مبتسما وهو يقول:

- قلت لك : أنا أقدر على إللي أنت ما تقدرش عليه صدقت؟

- طيب يا معلم قرني. تحب نخلص إمتي ؟

- أنا جاهز وخير البر عاجله.

- بعد العصر وقبل الضلمة.

- على البركة

- سلام.

صعد صدقة إلى غرفته ليلتقي زوجته إحسان. الساعة قاربت على السابعة

صباحا. سألت بعد أن فركت عينيها وشرعت تتمطع :

- الولد رجع ؟

- أيوه ورجع مراته ..الظاهر إنها حامل ..

- خير ما عمل

- أيوه فعلا خير ما عمل

وأردف قائلا:

- أنا حـ اتكلم شوية بلاش تقاطعيني. إللي حـ أقوله فصل الختام أو

زي ما بـ يقولوا البشاوات : نقطة فارقة.

- مش مقاطعك. وسمعك بقلبي وعقلي.

وتابع صدقة كلامه قائلا:

- ما هو إللي بـ يشيل قربة مقطوعة بـ تخر عليه. كلمته قبل ما يدخل
ينام لقيت قدامي راجل ملو هدومه بـ يدافع عن بيته وحقوقه.
وبعد ما سابني دوّرت الكلام إللي قاله جوه دماغى. لقيته
زين. والله لقيته زين. هو إحنا أحسن منهم في أيه؟ شويه فلوس ما
هوه حوّل الفلوس كلها في حسابه.

- يعني...

- مافيش مقاطعة .

- حاضر. نَسِيت.

- وسألت نفسي هي الأملة ده كلها لمن. ولقيت الإجابة الوحيدة :

له. طال العمر واللا قصر الأملة ده له. طيب ليه أعكّن النهارده
عليّ وعليه. ما نعيش كلنا في سلام ويمكن نشوف أحفاد.

سكت وقد استضاء وجهه بنور خفي وربما استراحت قسّات وجهه
الصارم عندما انتهى للمصالحة مع ابنه وقرني صبيه الشارد ومقلب القلوب
عليه وقال :

- حضري الفطور. نفسي آكل طعمية.

- خلاص السواق يجيب فلافل .

قال مازحا:

- قلت طعمية مش فلافل.

- فلافل تأكلها في المواني والطعمية تأكلها في القاهرة أم الدنيا.

- كلمتين حطيمهم حلقة في ودانك وتعلقهم في سلسلة حوالين رقبة
أنور : حط قرني قدام عنيك. وقولي له ده وصية والدك.

جاوزت الساعة الثامنة صباحا بقليل. تمدد على الجلسة العربية. نام تراوده
الشكوك حول تحول قرني المفاجئ. حط رأسه على الوسادة ونام. رأي في
نومه حية الطريشة وقد أخفت جسمها وترفع رأسها مزهوة وتحملق فيه
مليا غير خائفة. رأي في وجهها وجه قرني بعينه الجاحظتين. قام من نومه
مفزوعا مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم.

راودت صدقة فكرة العدول عن الذهاب لمقابلة صبيه قرني ولكن الشيطان
سرعان ما صور له هذا العدول على أنه مزيد من تآكل هيئته ومكانته وسط
الخارجين على طاعته. كما أنها فرصة لا تُعوض لإثبات ما يلحق غير
المنصاعين لإرادته من ضرر.

ركب المعلم صدقة عربته ذات الدفع الرباعي واتجه إلى منطقة وسط سيناء
وسط وساوس داخلية مردها مخاوف ظل الشيطان يؤكد أنها غير مبررة ولما
اطمأن أنه اقتنع تماما قال له الشيطان إنه يخشى صدق وساوسه (صدقة)
جاوزت الساعة الرابعة عصرا بقليل. عمرات ومدقات حفظها صدقة ايام
تهريب المخدرات والسلاح. لم يلفت نظره شيئا غير عادى وهو يقترب من
مكان اللقاء. كان يسمع اغنية محمد عبدالوهاب " يا مسافر وحدك " وعند
أحد المنحنيات الحادة وجد ثلاث سيارات دفع رباعى تعرض طريقه. نزل
من إحداها ثلاثة أفراد ملثمون يحملون بنادق آلية. لم تتهز لصدقة شعرة
وباغتهم بثقة قائلا :

- فين معلمكم قرني ؟

رد أحدهم متجاهلا السؤال :

- إحنا هنا لحمايتك يا معلم صدقة.مقامك كبير. انزل من السيارة.سلم سلاحك.وربط أحدهم غترة حول عينيه.
- دقائق معدودة ووجد نفسه أمام صبيه قرني وهو ينهر صبيانه للإجراءات التي اتبعوها مع المعلم صدقة قائلا:
- لو الاجراءات ده اتعملت مع كل الناس ما تتعملش مع معلمي صدقة.العين ما تعلاش على الحاجب.فك يا ولد انت وهو الغترة من على عين سيد المعلمين.
- السلام عليكم يا قرني
- سلام يا معلمي. أنا عارف وقتك ومشاغلك كتيرة.يا سيدي المليون جنيه بتوعك في الحفظ والصون في الشنطة السوداء.. ده حقك بالتمام والكمال.وده الشنطة الحمرة فيها 1% عربون المحبة وعودة العلاقات.
- نادى المعلم قرني على أحد صبيانه وأمره أن يوصل المعلم صدقة إلى سيارته ولا داعي لتغمية عينيه.وقال بجدية :
- ما خلاص المعلم صدقة صوّر المكان بعنيه.
- عاد المعلم صدقة إلى سيارته وهو يلوح لصبيه قرني مودعا.تحرك مغادرا المكان وعبدالوهاب يغني " له تشغل بالك له له على بكرة وتبكي عليه " ووابل من الرصاص يفجر عجلات السيارة وينهال على كابينة السيارة فيصاب في الرأس والصدر. وقفت السيارة بعد اصطدامها بشجرة كأنها تبحث عن ظل بعد هذا الهجير.التقط أحد القتلة الشنطة الحمراء دون أن يلمس شيئا.وقال مودعا وهو يضحك في هيسيرية:

- معلمي أخذنا حقنا. وتركنا لك حقك تأخذه معك إلى جهنم

وبش المصير. أنتم السابقون ونحن اللاحقون

صعد الشيطان إلى سطح العربية وشرع يضحك بجنون وهل عليه شيطان
مريد يؤنبه قائلا:

- ألا تخجل. بش المعلم. تعاونت في قتل من تراوده نفسه أحيانا

الرجوع إلى طريق الخير. وهنا تبرع مهارتك.

سكت الشيطان المريد ثم أضاف معاتبا:

- أولى بك أن تتقاعد. قرني مش محتاج أي مجهود. بيزني.. ما هو

مرافق مرات واحد من صبيانه وواحدة من جيرانه. يسرق ويقتل

ما هو شيخ منصر على أبوه. خاين حدث ولا حرج. تاجر

مخدرات لا يُعلى عليه. أنا عاوزك تبكي على خيبتك وتفرج خيبتك

علي الشياطين اللي تسوى واللي ما تسواش بش المثل.

قاربت الساعة على التاسعة صباحا الإعداد للفطور يجري على قدم وساق
في قاعة الطعام الكبرى في فندق مرمرة. احتلت مائدة سوسن هانم وسط
القاعة. وصلت أشجان مبكرة لتستقبل الضيوف مع أمها وفي أعقابها جاء
عمر وتوجه مباشرة إلى سوسن هانم وقبل يدها وشكرها فربت على كتفه
مرحبة ثم تعاقب الآخرون المهندس فتحى وزوجته أميرة هانم وثرى
وخالد وأحمد وأخيرا انضم إليهم د. هاني ومرام وإيناس. قاعة الطعام على
غير عادتها ممتلئة بالنزلاء.. قلة من المشاركين في الصالون السنوي للفنانين
التشكيليين ومسابقة شرم الشيخ العالمية لصيد السمك بسبب حظر
التجول وما تشهده البلاد من أحداث. التقت أشجان صديقتها الجميلة
أنجى وشقيقها الأكبر رجل الأعمال المشهور لطفي الجيار وزوجته الحسنة

ميار المهدي. وبين الفينة والأخرى تتبادل أشجان أو مرام أو عمر التحية مع أحد النزلاء. تبادل خالد وإنجي نظرات تساؤل واندهاش. كل منهما يستغرب وجود الآخر في هذا المكان. وأومأت أشجان بالإيجاب لأنجي ففهمت من إيماءتها أنه الشخص الذي حدثتها عنه. راقب خالد النظرات والإشارات وفهم تماما أنه موضوع الحديث الصامت. قام خالد واتجه إلى بوفيه السلطات وأخذ طبقا ووضع فيه شريحتين من الطماطم ومثلهما من الخيار وشريحة بنجر. وقفت وراءه إنجي في طابور الخبز. وسألته باهتمام:

- عملت أیه في موضوع العريس ؟

- عريس أیه یا آنسه ؟

- العروسة الكانیش سألتني ؟

- إنتي فاكرة ؟

- اتحرك خلی الطابور يتحرك ؟ هو أنا نسيت أصلا.

- طيب یا..

- تقدر تنادينني إنجي.

- خالد .

- عارفة .

- طيب یا آنسه إنجي إنتي عاوزاني أجيب عريس لكلبتك الكانیش

واللا أتحرك. ما أقدرش أعمل الحاجتين في وقت واحد.

بينما كانا يتناقشان كان الطابور الممتد أمامهما قد أخذ أفراد الخبز وبقية الطابور خلفهما ينتظر أن يفرغا من النقاش. وتوجهت أشجان وعمر وهما يضحكان نحو الطابور وطلبا منها التحرك. نظر خالد خلفه ووجد الطابور لم يتحرك فقال معاتبا:

- ما أنا قلت لك إنتي عاوزاني أتحرك واللأ أجيب...

- أيوه واللأ تجيب أيه...

تحرك الطابور والقاعة تعج بالضحك بما فيهم شقيقها رجل الأعمال المشهور لطفي الجيار..وتساءل المهندس فتحي عم جرى.وشرع خالد وإنجي الإجابة في وقت واحد. ولكن رجل الأعمال لطفي الجيار طلب من خالد أن يروي سبب تعطل حركة الطابور. قال خالد:

- كان في موضوع معلق بيننا وأصررت الآنسة إنجي على فتحه وأنا قلت لها إنا مش فاكروه.. نسيته.

تدخلت إنجي قائلة وقد حبس خالد أنفاسه :

- أنا قلت له أنت تنسى أنت حر.

سكتت إنجي ونظر إليها خالد متوسلاً ألا تستطرد وأشار إليهِ بأن ينتظر وأردفت قائلة:

- أنا قلت له أنت تنسى أنت حر بس صاحبة الشأن مستنية الرد ؟

بدا على الجميع الاهتمام وبدأوا يتهايمسون : هو في أيه ؟ مين صاحبة الشأن إللي مستنية الرد ؟ . تشاغل خالد بتناول الطعام. وألقت إنجي القنبلة ولم تنزع فتيلها وتلاقت نظراتها مع أشجان التي وجدت علامة استفهام كبيرة على جبين ثريا. وجدت إجابة قاطعة بوضعها كفها على فمها " لا تعليق" . روت إنجي لأشجان قصة شاب لطيف لاطفها بغير مضايقة كان يتمدد وحيداً على الشاطئ وهو يعبث بالرمال أحياناً ويوشوش ودعة يمسكها بيديه أحياناً أخرى كأنه يُودعها سرّاً تمهيداً ليقذف بها في البحر. فجأة وجد كلبتي الكانيش أمامه تنتلط وتدور حوله. كنت متأخرة عن كلبتي. وعندما اقتربت سمعته يسأل الكلبة وهو يقول:

- طيب أنا رميت بياضي ومستني جنية البحر تختار لي حورية من
حوريات البحر وأنت عاوزاني أسألك على كلبة بحر علشانك ؟
قلت له:

- لأ. ده كلبة كانيش خليفها تجيب لها كلب بحر جدع.
وعندما استدار إلى الخلف في اتجاه صوتي رأيت شابا وسيما لم يتخط العقد
الثالث من عمره. عيون سوداء أخاظة. يرتدي قميصا أبيض على اللحم
يكشف عن غابة من الشعر الأسود الكثيف. سماره سمار ابن النيل. من
الواضح أنه كان مستغرقا في التفكير بس جابوب بتلقائية وهو ينظر إلي مليا
مندهشا:

- بسم الله الرحمن الرحيم. جنية البحر أنا سألتك حورية من البحر
جيبتي لي ملاك ماشي على الأرض ! قوام كده. هي كانت عندك
مستنية واللا أنا إللي حظي في رجولية ؟
- أنت بتعمل أيه ؟

- زي ما أنت شايفة — بيّن زين ووشوش الودع. وبـ جمع البنت
مع الجدع

- بس ده شغلة العجرية مش شغلة الجدع

- إنتي مين وطلعتي مين ؟

- أنت إللي مين وجيت مين ؟

- أنا طرح البحر إللي الموج رماه على الشط.. وجي من بعيد مهزوم

..مكسور الحاطر.. رمانى قبطان سفينة الحب فى البحر.. عشان

وحيد ما ليش وليفة. والحب حبيب وحببة. طيب إنتي مين وجيه

مين ؟

- أنا ..! أنا الهوي إللي فضل يدفع الموج بشويش لحد ما رماك على الشط . كان مكن تكون في الباي باي.
- إنتي الهوي إللي هوه الحب ..وآلا إنتي الهوي إللي هوه الطيش بعينه؟
- طيب أنت شايف أبيه ؟
- بعيني شايف ست الحسن والجمال ..وبقلبي شايف ملاك نزل من السماء.
- أنا الحب .. لو كنت الطيش كان زمانك في الباي باي.أنا هدية الودعة .
- وأنا قبلت الهدية .

لا هوه جاوب ولا أنا جاوبت وطلع خالد زي ما ختتي يا أشجان .
 ضمت قاعة الطعام مجموعة من مندوبي الصحف القومية والمستقلة الذين تنامى إلى علمهم نزول الدكتور هاني وبعض ركاب الطائرة المحررة في فندق مرمرة.فرغت عائلة المهندس فتحي وعائلة المرحوم المهندس صفوت برهام وضيوفهم من تناول الفطور وأعلن المهندس عمر عن خطوبته للآنسة أشجان وأن الدبل وخاتم الخطوبة ستختاره العروس بعد العودة للقاهرة إن شاء الله.صفق الجميع وتبادلوا التهاني والقبلات. سادت موجة عارمة من البهجة والسرور لا سيما أن الأخبار الواردة من قاعة العرض مبشرة بمعرض متميز.

اتفق د. هاني عبدالفتاح مع زوجته مرام ألا يظهرها سويا أمام الجمهور في المؤتمر الصحفي وتفهمتم الوضع كعادتها ما دام في هذا راحته وطلب

المهندس فتحي أن تكون مرام في معية زوجته أميرة هانم وسوسن هانم
وثرى وأشجان وعمر وخالد.



الحقيقة

طلبت مجموعة مندوبي الصحف عقد مؤتمر صحفي لتغطية أحداث خطف الطائرة وتحريرها في قاعة السلام بالدور الأول في الفندق الساعة العاشرة صباحا. وطلبت من المختطفين التفضل بالحضور.

قبل العاشرة صباحا كانت القاعة ممتلئة. احتشد من الناس ما يعنيههم الأمر ومن يستهويهم حب الاستطلاع. جاءت اسرة الأستاذ قدرى البحيري ممن فاتتهم الرحلة 105 كما توافد الشيخ عبدالمقصود والراكب كرم عزيز والراكبة نجية عزمي وأخيرا دخل لطفي الجيار وزوجته الحسنة ميار المهدي وشقيقته إنجي وفي أعقابهم وصل الدكتور هاني عبدالفتاح بمفرده وسط عاصفة من التصفيق الذي شاركهم التصفيق ملوحا بعلامة النصر بإصبعيه ومشيراً إلى زملائه الركاب الموجودين بالقاعة ولا سيما رجل الأعمال لطفي الجيار والشيخ عبدالمقصود قال د. هاني عبدالفتاح بصوت هادئ فيه نبرة إرهاق :

- كانت العملية باختصار بين طرفين غير متكافئين من حيث القدرة على الإقناع وتبرير عملية الخطف، ومن حيث إدارة الأزمة والحوار. دوري كان محدودا ويمكن أهم عنصر فيه كان تهدة الركاب واقناعهم بالتظاهر بالتعاطف مع عدالة قضيتهم زيهم زي أي حد في البلد. أنا سأترككم الآن مع رجل الأعمال لطفي الجيار يروي ما حدث في صورة عرض حي. نرجو عدم المقاطعة. وسنجيب قدر المستطاع على أسئلتكم كلها.

أكد رجل الأعمال لطفي الجيار أنه لولا توفيق الله ولولا تفتح بعض عقول المختطفين ما كانش من السهل إنهاء العملية دون خسائر. فجر رجل الأعمال لطفي الجيار مفاجأة مدوية في مستهل كلامه قال:

- لم تكن هناك عملية اختطاف ولا إجبار الطائرة على الهبوط... إللي حصل خلل في المحرك الأيمن للطائرة. كان من الممكن تجاوزه لأننا كنا نستعد للهبوط من أقصى ارتفاع. ربما كنا على مسافة 100 كيلو متر من مطار شرم الشيخ. ولكن تعرضنا لعاصفة جوية هزت الطائرة هزا عنيفا كاد المحرك الأيمن أن يسقط.

سكت رجل الأعمال لطفي الجيار وسط همهمة وتساؤل عن حقيقة ما حدث. قيل إن الطائرة أُجبرت على الهبوط وهي في الجو. ويقال الآن إن الطائرة اضطرت للهبوط. وأضاف الشيخ عبدالمقصود وقد بدت عليه أمارات الإرهاق الشديد:

- كنا على وشك الاستعداد للهبوط واترجت الطائرة بعنف واتشهدت على روحي. كلنا اتشهدنا على أرواحنا. كانت علامة ربط الأحزمة ما زالت مضاءة. أعلن الطيار عن الهبوط الاضطراري وعلى ضرورة الالتزام بالهدوء التام، والتأكد من ربط الأحزمة. فجأة نزلت على الركاب موجة خشوع وإيمان. سمعنا صوت احتكاك شديد. من لطف الله بينا لم يحدث لا حريق ولا انفجار. توفيق الله ومهارة الطيار. ثم توقف محرك الطائرة تماما.

وعقبت إحدى الركابات قائلة:

- نجونا بفضل من الله من كارثة جوية. بس لقينا نفسنا متحوتين بمجموعة مسلحة. ما تعرفش جم منين ولا بيعملوا هنا أيه ؟

المكان من شباك الطائرة مكان قفر.. مكان الصمت والوحدة.. لا أنيس فيه ولا ماء ولا كلاً، ولا أي شيء سوى رمال وصخور تفكر مفيش بشر جاؤا هنا منذ بدء الخليقة. الغريب إللي محاطنا مش ناس وبس.. لأ، ومسلحين كمان.. عشان الحوسة تكمل.

أشار قائد المسلحين المثلثين لنا بما يفيد طلب نزول أحد الركاب للتشاور معه. تشاور الركاب ووافق د. هاني عبدالفتاح على النزول. وبعد قليل انضم إليه الشيخ عبدالمقصود ثم رجل الأعمال لطفي الجيار. قادم قائد المجموعة إلى خيمة متوارية خلف أكمة أو تل من الرمال ويحيط بها بعض أشجار الاراك. وجدوا أمامهم رجلا ملتحيا بلحية بيضاء يخالطها بعض الشعر الأحمر، يغطي رأسه بطاقة وفوقها غرة كانت بيضاء فيما مضى. العينان نافذتان كعيني الصقر والأنف أقني ينم عن الفراسة والنشاط. يتحرك الرجل جيئة وذهابا بعرض الخيمة. كان في حالة من القلق. قال في اقتضاب :

- هبطت طائرتكم اضطراريا على أرضنا وهي فرصة لأن لنا مطلبا لدى دولتكم الكافرة.

تقدم د. هاني عبدالفتاح وعرفه بنفسه وبرجل الأعمال لطفي الجيار وبفضيلة الشيخ عبدالمقصود لعلنا نسعد بالتعرف عليك. أجابه غير مكترث:

- الشيخ مفتاح .

رد عليه الشيخ عبدالمقصود ببشاشة:

- انشاء الله مفتاح الخير .

- هذا يتوقف ؟

سأله د. هاني عبدالفتاح بهدوء وبترث:

- على ماذا ؟

- على تنفيذ مطلبين دون تأخير أو مساومة أو تسويق.

واستفسر الشيخ عبدالمقصود:

- إنشاء الله الاستجابة تكون حاضرة طالما المطالب معقولة

وأردف قائلاً في جدية:

- كلنا أذن صاغية. هات ما عندك يا شيخ مفتاح ؟

- الإفراج عن أربعة أبرياء محكوم عليهم بالمؤبد ومليون دولار فدية.

وتساءل د. هاني عبدالفتاح:

- ما شأننا بهذه الطلبات ؟ وهل الدولة على علم بها ؟

وأضاف لطفي الجيار مبدياً استغرابه من هذه الطلبات :

- أفهم أنك شيخ عربي شيمتك الكرم وأفهم أنك شيخ الجماعة

وتعلم أن الإفراج لا يكون إلا في القضايا السياسية .

- ومن قال لك انها ليست سياسية ؟

وطلب الشيخ عبدالمقصود الإيضاح فقال الشيخ مفتاح:

- عملية هجوم علي سيارة شرطة وقتلنا ضابط وثلاثة جنود من

جنود النظام العلماني الكافر. النصر للإسلام.

عقب الشيخ عبدالمقصود باستخفاف واندهاش قائلاً:

- بس كده ! لا، بسيطة. كده يبقى النصر للإسلام!!!!

وأردف متسائلاً:

- بمن تقصد يا شيخ مفتاح النظام العلماني الكافر؟

- بلدك... رئيسك
- هي بلدك مش بلدي؟
- يقينا لا
- هي سيناء مش أرض مصرية ؟
- الأرض أرض الله. ونحن ندافع عن أرض الله. وإعادة الحكم بما أنزل الله. دولة الخلافة الإسلامية ستحمل رسالة نور وهداية إلى العالم أجمع، وتعمل على رعاية شؤونهم، وضمه إلى كتفها، وتطبيق أحكام الإسلام عليه.
- ما شاء الله. يعني الأرض أرض الله عندما نتحدث عن أرض مصرية. وماذا يا مولانا عن بقية الكرة الأرضية ؟
- هي أرض الله اغتصبها العلمانيون الكفرة وسنقيم عليها الدولة الإسلامية والنصر للإسلام بإذن الله.
- وتساءل الشيخ عبد المقصود بسماحة :
- طبعا معاكم تفويض من الله !
- أجابه الشيخ مفتاح بثقة واقتدار يحسد عليهما :
- تفويض أيه يا ابو تفويض .. نحن جند الله. فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان.
- وعلق لطفي الجبار قائلا:
- ما دام فيها نظام علماني كافر وجند الله والنصر للإسلام يبقى الموضوع لا دخل لنا بيه... ده موضوع كبير. الكلام فيه يبقى مع كبار رجال الدولة... مش كده واللّا أيه يا د. هاني. ده إحنا أول عن آخر شوية مواطنين لا نقدم ولا نأخر.

ورأى الشيخ عبدالمقصود أن يأخذ الحوار منحى آخر:

- يا شيخ مفتاح ألم يتوصل الإسلام في عصر النبوة، وعصر الخلفاء الراشدين إلى نزع الأحقاد من عقول الناس لأنّ اختلاف الناس ببساطة شديدة سنة من سنن الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تحويلاً "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين."

- ماذا تقصد يا شيخ عبدالمقصود؟

- قصدي واضح الخلاف بينكم وبين أطراف المجتمع لا ينبغي أن يفسد للود قضية.

عاد إلى الحوار د. هاني عبدالفتاح بقوة وقد التقط الخيط على طبق من ذهب:

- يا شيخ مفتاح لأنّ الخلاف قائم قائم بين الناس مهما فعلوا. "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم."

وعضد الشيخ عبدالمقصود ما قاله د. هاني بقوله تعالى:

- "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين".

اعتدل الشيخ مفتاح في جلسته وقال:

- ولكن أليس علينا على الأقل النصح والتعليم والتبليغ، وليس الإكراه، فهذا أصل واضح لا لبس فيه.

وعقب لطفي الجيار قائلاً في هدوء وروية:

- لك هذا.. ولكن بالهدوء واللين وليس برفع السلاح ولا تنسى

أبداً قول الله تعالى الي رسوله الكريم "فبما رحمة من الله لنت لهم

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفرهم.." أود أن أؤكد لك يا شيخ مفتاح على النقاط التالية :
أولا نحن ركاب الطائرة لسنا على خلاف معكم لا من قريب ولا من بعيد. ثانيا الخلاف مع أولي الأمر لا يدخلنا في أتون صراع لا ناقة لنا فيه ولا جمل. ثالثا حللنا عليكم ضيوفا ولسنا أسرى أو مجرمين فأولى بك وبرفاقك أن تعاملوننا ضيوفا كراما. رابعا إذا كان التسامح مع غير المسلمين مطلباً شرعياً، أفلا يكون أولى بين المسلمين. معنا نساء وأطفال في حاجة للترويح والراحة وليس للترويح أكرمكم الله.

وأضاف د. هاني وقد نال منه التعب والإرهاق ما ناله :

- لك أن تشاور رفاقك بس أريد أن أقول أن الوقت يداهمكم لأن طائرات البحث لا بد أن تكون بدأت عملية البحث عنا وعن الطائرة. وهذا يشكل خطورة علينا وعليكم.
- ليه يشكل خطورة علينا ؟

وأضاف في زهو المتغطرس:

- إن كان على الجيش واللا الشرطة فهم يعملون لنا ألف حساب وحساب. لا تنسى أنتم تحت رحمتنا.
- انتفض لظفي الجيار وقال منفعلا:
- إحنا لا تحت رحمتك ولا رحمة غيرك. لا تنسى نفسك. إحنا تحت رحمة الله.

وأيد الشيخ عبد المقصود كلام لظفي الجيار:

- يا شيخ مفتاح : إحنا شفتنا الموت بعيننا واتشهدنا. إحنا في رحمة الله. بلاش الكلام إللي مالوش عوزة. يا رجل وخذ الله وشوف أهل دارك حيزيئقونا أيه ؟

نزل كلام لطفي الجيار و الشيخ عبدالمقصود بردا وسلاما على قلب وعقل الشيخ مفتاح. قام ليشاور أنصاره فيما يجب عمله وأوضح لهم وساوسه خاصة إذا رصد الجيش أو الشرطة موقعهم كما أن استبقاءهم رهائن لن نطبق تكاليفه من مأكّل ومشرب إذا كان عددهم كبيراً. أشار إليه احد مساعديه أن يأذن له لمقابلة هؤلاء المفاوضين ومن يراه مرافقاً لها. خرج الثلاثة لمقابلة د. هاني و لطفي الجيار و الشيخ عبدالمقصود وقدم الشيخ مفتاح مساعديه قائلاً:

- أبو وليد وأبومساعد

رحب الشيخ عبدالمقصود بالمساعدين

- يا مرحباً بالوجوه الشرحة. والله يا شيخ مفتاح معرفة الرجال كنوز.

رحب د. هاني و لطفي الجيار بالمفاوضين الجدد ودخل لطفي الجيار مباشرة في الموضوع وسألهم فيما انتهى رأيهم. تساءل أبو وليد عن عدد الركاب. جاءته الإجابة على الفور من لطفي الجيار:

- 150 تقريباً بالإضافة إلى طاقم الطيارين وطاقم الضيافة.

وعلق أبومساعد قائلاً:

- والله العدد ما قليل يصلح في المفاوضات .

رد عليه د. هاني مستغرباً :

- إحنا مش أسرى عشان تفاوض علينا إحنا ضيوفكم ولنا عندكم حق الضيافة.

جاء رد أبو مساعد تلقائيا:

- يا خوي ضيوفنا على خشمنا لما ندعوهم أما...

استهجن الشيخ عبدالمقصود وقال بلهجة اللوم:

- يا أخى ده مش كلام بدوى جاب البراري والصحاري إحنا إن

كنا مش ضيوفكم إحنا ضيوف الرحمن في ملكه... مش كده يا

شيخ مفتاح. والّا ده مش أرض الله كمان!

- هذا كلام طيب يا شيخ عبدالمقصود

واستطرد الشيخ عبدالمقصود قائلا:

- شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بأنها سوق أقيم ثم

انفض.... ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر. ألا تريدون أن

تكونوا من الرابحين؟

قالوا جميعا:

- بلى

وعقب لطفي الجيار قائلا:

- يا سادة قال الإمام علي رضي الله عنه "الوقت كالسيف إن لم

تقطعه قطعك" فاحزموا أمركم لأن التأخير فيه هلاك لنا

جميعا. نحن في حاجة لأن نعود إلى بيوتنا.

وتساءل أبو وليد:

- كيف؟

- بطلب سيارتان سياحيتان أو أكثر حسب العدد من شرم الشيخ أو الحسنة..

- وكيف تيجي السيارات ؟

- نتصل بشركة سياحة تبعت السيارات

وتساءل أبو مساعد

- تقصد مين إللي يتصل ؟

- ما تفرقش أنتم إحنا في كل الأحوال حندفع للشركة الحساب

- وإحنا ؟

- مشكورين وسنذكركم بالخير لأننا ما لقينا إلا الخير.

وتدخل أخيرا الشيخ مفتاح متسائلا:

- ومصير زملائنا ؟

- بالتفاوض مع الحكومة ومع شركة الطيران

- آه تقصد على الطائرة

- أيوه

تبادلوا النظرات بينهم واستقروا على الموافقة على أن يكون الاتصال بشركة السياحة بمعرفتهم.

التزم الحضور بعدم المقاطعة وقال د. هاني مختبأ المؤتمر الصحفي:

- عرضنا عليكم بالتفصيل مجريات ما حدث. و الآن أي أسئلة مع

مراعاة أننا مرهقون.

السؤال الأول للدكتور هاني : لماذا أفرجوا عنكم ؟

- الناس ديه لم تفرج عنا لأننا لم نكن مقبوضا علينا. الحاجة الثانية أقنعناهم اننا لسنا في صراع معهم من أي نوع وأعتقد ان إليّ قاله الشيخ عبدالمقصود كان واضحا وكافيا.

السؤال الثاني للشيخ عبدالمقصود : ما رايك في هذه الجماعة السلفية ؟

- ما صادفناه مجموعة مرتبك فهمها عما يدور حولها في العالم. فهي تمسك في يدها بينادق سريعة الطلقات وموبايلات وغيرها من المستحدثات التكنولوجية التي ابتكرها أهل الطاغوت في الوقت الذي يريدون لعبلة الزمان ان تعود الي زمن الصحابة الإجلاء. لا يغيب عن ذاكرتي قول احد الكتاب المتقدين لفكرة احياء الدولة الإسلامية" : يكفي أن نستعرض شلال الدم الذي سال في جسد الأمة الإسلامية، بدءاً من عصر الخلفاء الراشدين، مروراً بالدولة الإسلامية الأموية والدولة العباسية، وأخيراً الدولة العثمانية. "

توقف عن الكلام واستدرك قائلاً بدهشة واستغراب:

- الغريب عندما واجهناهم الحجة بالحجة اقتنعوا وسمحوا لنا بالرحيل !

هل هذا معناه نحن بحاجة لمقارعة الحجة بالحجة. جايز!!!!

السؤال الثالث لرجل الأعمال لطفي الجيار : ما أصعب لحظة مر بها الحوار؟

أجاب لطفي الجيار دون تردد:

- عندما قلت غاضبا للشيخ مفتاح إحنا لا تحت رحمتك ولا رحمة غيرك. لا تنسى نفسك . إحنا تحت رحمة الله.

صفق الحضور تصفيقا حارا وشكر رجال الصحافة استفاضة المتحدثين
الثلاثة في توضيح الحدث. وبينما كان الشيخ عبدالمقصود يهم بالخروج من
القاعة لحق به سامي ابن الأستاذ قدري ونادى عليه:

-أحسنت يا فضيلة الشيخ بس من فضلك لا تنسى كل واحد يخلي
باله على أنملته .

ربت الشيخ عبدالمقصود على كتف سامي وقال له بسماحة وهو يغادر
القاعة:

- تبقى أنت الغفريت إللي خلتنا نلحق الطيارة !



العزاء

خلت القاعة من المدعوين ولم يبق سوى أشجان وعمر كانا آخر المغادرين. سألته أشجان:

- أنا ما سمعتش صوتك.
- يعني أنا إللي سمعت صوتك .
- انت الراجل .
- ماشي. أدكي سمعتي صوتي ورينا الهمة .
- بحبك
- قديمة شوفي غيرها .
- حبي هو أنت . أنت الحياة بنعيمها وأفراحها
- حبي هو أشجان بسحرها ورقتها ودلاها .
- عجبت لك يا قلبي لا أسمع منك شكوى إذا مرضت وأسمعها وأنا بقرب من أحب. مش عاوزه حاجة.. عاوزه بس الهدوء والأمان مع من أحب.
- مش كتير على أشجان. صدقيني حياتي بلا أشجان حياة كلها أحزان. زرعت في قلبي الأمل فلا داعي لوساوس الشيطان. مش حاكون لك غير الحب والهدوء و الأمان. من فضلك مش عاوز أحزان.
- أووووه فكرتني ؟
- بد اللّي قالته أمل بنت عم منصور الطباخ .

- عرفت منين؟
- هو أنا سبيت إيدك ما أنا بجدة بأسمع نبض قلبك في إيدي.
- يا سلام ؟ !!
- قِلقتي ؟
- أيوه..
- الخبر مش حلو ؟
- ده حقيقي..المعلم ظلط مات مقتولا وجاري البحث عن الجنة.
- المشكلة : أعداؤه كثير وكان الله في عون ابنه أنور.ثانية واحدة، أرد
- على الموبايل. جنبنا سيرة القط طلع ينط .
- أيوه يا أمل.
- ردت أمل بصوت متحشرج:
- من فضلك قولي لي أعمل أيه ؟
- تقفي جنبه
- مش لقياه ؟
- قافل على نفسه وقافل الموبايل
- روحيله القصر وعزي أمه
- أمه بتقول مش حآخذ عزى إلا لما ولدي يجيب لي خبر إللي قتل
- أبوه .
- طيب أنا جايا لها وحجيب معايا الشيخ عبدالمقصود...راجل
- عافل وموزون.
- سكتت ثوان قليلة ثم أردفت متسائلة:
- فين الشيخ عبدالرحمن وزمايله

- يمكن في الفندق
- خُدي عربية وروحي لهم واسبقيني على القصر. سلام.
- نظرت إلى عمر معذرة وقالت:
- أخذتنا المكالمة مما كنا فيه
- أبدا يا ملاكى الواجب والمسئولية.. ماتنسيش إحنا بقينا قدام
- الجناح إللى إنتي فيه بعيدة عني..
- أنا أهو بين إيديك
- نلتقي بعد قليل بعد اتصالك بالشيخ عبدالمقصود باي... إلى لقاء.

مضى ما يقرب من نصف الساعة ليتجه الرباعي سوسن هانم والشيخ عبدالمقصود وأشجان وعمر وقد اكتست وجوههم الجلدية لزوم تقديم واجب العزاء لزوجة المعلم ظلط. كانت قد سبقتهم أمل ومعها الشيخ عبدالرحمن وزملاؤه. القصر هادئ. لا صراخ ولا عويل.. جرس الباب كسر حاجز الصمت الرهيب.. دوي الرنين في الفراغ مهولا. فتحت الباب أمل التي قادتهم إلى حيث تجلس إحسان. قامت المكلومة تتلقى العزاء من سوسن هانم وأشجان. أما الشيخ عبدالمقصود وعمر فقد انضموا إلى الصالون المقابل وفيه يجلس الشيخ عبدالرحمن ورفاقه.

طلبت إحسان من أمل أن تأخذ الرجال إلى غرفة ابنها أنور. لم يكن الباب مغلقا كان مواربا. طرقت أمل الباب ودخلت وأنبأت بأن المشايخ والمهندسين عمر جاءوا لتقديم واجب العزاء والتحدث معه. خرج على الفور من الغرفة لاستقبالهم. الحزن والكآبة على وجهه والدموع لم تفارق عينيه. تقبل العزاء منهم ونزل إلى الردهة حيث تجلس أمه وانضم الجميع في صالون

واحد تم تدعيمه بمقاعد وثيرة من الصالون المقابل. قالت إحسان بعد فترة غير قصيرة من الصمت:

- قتلوه غدرا ولاد الأبالة ؟ ليه.. ليه ؟ عمل لهم أبه؟

قال الشيخ عبدالمقصود مهدئا من روعها:

- وْحَدِي الله

- لا اله إلا الله. يا مولانا قضيت عمري معاه أحاول أدله علي طريق

الخير ولما اتهدى راح مني. ليه غدروا بيه ولاد الأبالة.

عقب الشيخ عبدالرحمن لتخفيف حدة روعها:

- عُمْرُه يا حاجة. قال تعالى: "أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ

فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ". هنا أجله المكتوب ولا فكاك لأحد من أجله

ملكا كَانَ أو صعلوكا.

أطرقت إحسان للحظات وقالت كمن وجدت ضالتها:

- نار جَوَايا قايدة ما يطفئها إلا ولدى. ما هُمَّه يقولوا إِلَيَّ خَلَّفَ ما

ماتش. ولدى ياخذ بتار أبوه.

وأخذت تصرخ صراخا هستيريا:

- يا ناس ما حدش حاسس بيه.. نار جَوَايا قايدة ما يطفئها إلا

ولدى..

انتابتها حالة تشنج وبدأت ترتعش وأخذها أنور في حضنه وشرع يدعك

في يديها وأخرجت أشجان زجاجة البارفان من حقيبتها فأشاع شذاها جَوَا

مريحا مؤقتا غير مناخ الحزن والعويل. وأحضرت أمل قطعة من القطن

مبللة بالنشادر وقربتها من أنف إحسان التي بدأت تستعيد وعيها ثم

انخرطت في موجة من البكاء. صعبت عليها نفسها ولا تعرف ولا تجد من يجارها فيمن حولها فيما يجري في عروقتها من عادات وتقاليد. هذأت تدريجيا وفتحت عينيها فوجدت القلق باديا على من حولها جميعا. تطلع إليها الفاتح مبتسما وقال:

- عدتي إلينا يا أم أنور.. عدتي إلى الدنيا لتنورها. اسمحي لي أن أروي حكاية فيها موعظة جميلة لعلها تسري علينا جميعا وتخفف من أحزاننا.

- قول يا ولد.

- يحكي أن امرأة كانت في أشد حالات الطلق ولم تكن أحد من النساء إلى جوارها والظلام من حولها دامس. ولم تجد من تناديه سوى أجبرها سمعان ليحضر لها قبسا من النار. خرج مسرعا وفوجئ برجل لم يره من قبل. قال له الغريب: لقد ولدت المرأة بنتا ستكون من أجمل النساء وستزني بمائة رجل.

توقف الفاتح عن السرد من استهجان الحضور وطلبت إحسان منه أن يواصل الحكاية وقالت:

- أهى حكاية من الحكاوي. احكي يا ولد. أهو كلام.. هو الكلام بفلوس

- ثم يتزوجها أجير أمها. وصاح سمعان غاضبا مستنكرا: تتزوجني أنا ؟ اثم تموت بسبب عنكبوت. هذه المولودة لا تستحق الحياة. ورجع سمعان إلى سيدته فوجدها وضعت بنتا فطعن بطن الصغيرة وفر هاربا. واختفي الرجل الغريب أيضا. وظن سمعان أن المولودة ماتت.

انفعلت السيدات وصحن:

- جبان.

ابتسمت إحسان ابتسامة فاترة وقالت:

- كمل يا ولد.

- ورغم آلام الوضع نشطت الأم وخاطت بطن ابنتها بنفسها،

وبرئت البنتُ وشُفيت بإذن الله. أراد سمعان أمرا وأراد الله العلي

القدير أمرا آخر.

وتمتم الشيخ عبدالمقصود في خشوع:

- لا إله إلا الله

واستطرد الفاتح راويا:

- وشبت وترعرعت وعُرفت بعد ذلك بالفاتنة . وفتح ذلك لها بابًا

شديدًا من الفتنة، لم تستطع أن تغلقه. ورويدًا رويدًا تركت نفسها

للطامعين. أما سمعان فقد ذهب بعيدًا في أماكن لا يعرفه فيها

أحد. وبمرور الوقت تكوّن لدى "سمعان" ثروة. ورجع إلى بلده

التي هرب منها. بدأ تاجرا كبيرا، وبنى بيتًا مهيبًا، وهابه الناس.

ومع هذه الأموال الطائلة أراد سمعان أن يتزوج بأجل امرأة بهذه

البلدة. دلّته امرأة عجوز على حسناء فقال سمعان : أخطبها. وفي

ليلة لا تُنسى تم زفاف هذه الفاتنة حسناء إلى ذلك التاجر الكبير

سمعان فدخل بها وأحبها كما لم يحب رجل امرأة. وتعلقت حسناء

هي الأخرى به تعلقًا شديدًا..

وبينما توقف الفاتح عن الاسترسال قليلا طلبت إحسان من أمل أن تأمر

بإعداد قهوة وشاي وماء مثلج من الأوفيس .

وفي حديث صادق قال لها سمعان :

- يا حسناء . لو أني تزوجت بامرأة أخرى ما أخبرتها أبدا بالحقيقة .

وأخبرها قصته . وأريد منك أن تكتمي سري . سألته حسناء : أتدري

أين ذهب البنت الصغيرة التي طعنتها ؟

- لا ادري

قالت مبتسمة :

- إنها أمأمك يا سمعان بشحمها ولحمها وكيانها ! إنها أنا حسناء

زوجتك . وأرته مكان السكين فتحقق منها .

خاف سمعان على زوجته . فاتخذ لها قصرا منيعا شاهقا ، بناه في منطقة لا

يسكنها العناكب . وصمموا القصر بحيث لا يدخل إليه حشرات ولا

هوام . الرجل خائف على زوجته . وفي أحد الأيام .. وبينما هم يجلسون في

القصر الحصين ، فإذا بعنكبوت تراه في السقف سألته : أهذه التي تخاف منها

على ؟ ! والله لا يقتلها إلا أنا . فأنزلوها من السقف . فوطئتها بيها

رجلها ، فقتلتها . وهي تقول : أهذه التي أموت بسببها . وما علمت حسناء

أن هذا العنكبوت كان نوعا ساما مميتا . حيث قد طار شيء من سمها فوق

بين ظفرها ولحمها ، واسودت رجلها ، وكان في ذلك أجلها . فماتت . ترحم

الحضور على حسناء وعلمت إحسان على الحكاية قائلة :

- يا وليد عاوز تقول لي قول الله عز وجل " أينما تكونوا يدرككم

الموت ولو كنتم في بروج مشيدة "

وقال الشيخ عبدالرحمن رحم الله الشافعي حين قال :

- أرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضاء ضاق الفضاء .

وأضاف الشيخ حسن :

- إن لله وإنا إليه راجعون لكل أجل كتاب.

سادت دقائق من الصمت المهيب كان الجميع في حالة من التأمل والخشوع. واقعة الفراق مازالت تعتمل بداخل إحسان تقذف بعقلها في شتى الاتجاهات. الثأر من قاتل زوجها.. القصاص ممن سلبها رفيق حياتها. وتتساءل بينها وبين نفسها هل أنور قادر علي مواصلة المسيرة دون حماية من جبروت أبيه؟... صحيح صدقة كان راضيا لأول مرة عن ابنه قبل المشوار المشثوم.. آه صدقة قال لي قبل أن يخرج ولم يعد إن أنور نقل كل ممتلكاتنا باسمه.. ده زين واللآ ما هو زين ؟ شين واللآ ما هو شين ؟ فين أنا من ده كله ؟ والله أنا ما عارفاش.

أخذت إحسان تبكي بكاء حارا وتقول كلاماً حروفه مبللة بدموعها:

- كل ده كان مستخبي لك فين يا إحسان ؟ آه يا ويلك من

الأيام. أيام وراحت لحاها وعُمر إليّ فات ما حيرجع تاني.

قالت شفيقة أم أمل مواسية:

- وحدي الله يا أم أنور. حس ابنك في الدنيا يكمل المشوار.

- يا أم أمل.... الوليد ده يقدر يصلب طولہ في وجه إليّ قتلوا أبوه؟..

أجابت سوسن هانم بثقة :

- يقدر طبعا وكلنا معاہ .

- يقدر يا خد تار أبوه .

عقب الشيخ محمود مهدوء:

- بإيده لأ. بالقانون أبوه.

ابتسمت إحسان ابتسامة ساخرة وقالت وهى تهز رأسها يمينا ويسارا
رافضة:

- النيابة يا وليد تحتفظ القضية ضد مجهول.

وخرج عمر عن صمته متسائلا:

- طيب يا أم أنور لو أن النيابة حفظت القضية ضد مجهول... أنت

عارفة مين المجهول ده؟

- عارفاه وخبراه يا وليد!

- طيب مستنيه أيه؟

- مستنية ابن بطني يجيب لي تار أبوه يا وليد. ليه كنا خلفناه وربناه

وتعبنا معاه ووراه ويورث شقاننا وتعبنا... عشان يوم زي ده. ده

كلام أنتم ما تعرفهوش ولا تفهموش.. كلام بـ يجري في دمننا

يمكن قبل ما نتولد.. صبي واللا صبية.

انتفض حسن عند سماع كلام إحسان وهى الأم التي استشعر خوفها على

ابنها وحرصها على تربيته زي ولاد الباشاوات إللي بتشوفهم في السينا قال

معاتبا برفق:

- يا أم أنور... الثأر صورة من صور الجاهلية وجاء الإسلام فأبطل

هذه العادة الممقوتة، فجعل المؤمنين كلهم منزلة النفس الواحدة.

وأردف الشيخ عبدالكريم قائلا:

- كمان حق إقامة القصاص للحاكم أو من ينوب عنه. فلا يحل لإبن

القتيل أن يقتل القاتل ولا لأحد من أقاربه وإلا انتشرت الفوضى.

وقد حرم الإسلام أن يؤخذ المرء بجريرة غيره، قال تعالى "وَلَا تَزِرُ

وَاِزْرَةَ أُخْرَى".

وعقبت أشجان متعجبة:

- إزاي عاوزه يا أم أنور تدفعي بإبنك الوحيد في معركة لا أمان لها.
انتي عارفة ان القاتل وإن كان مجهولا لنا فإنه متحفز لأبنك فهو
يعرفه يقينا وابنك يعرفه ظنا واللي بين اليقين والظن هلاك لا قدر
الله على ابنك. كده لا قدر الله خسرنا الأب وعملنا على خسارة
الابن.

وقالت سوسن هانم متوسلة:

- من فضلك خلى الحكومة تشوف شغلها وسيبي ابنك يعيش
حياته.

وعقبت أم أنور في أسى:

- ده كلام انتم أهل البندر ما تعرفهوش ولا تفهمهوش.. كلام
بيجري في دمنا يمكن قبل ما نتولد.. صبي واللا صبية. أنا
الحارسة على التقاليد والتار أهمها. عندنا المرأة تكاد توهب حياتها
بالكامل للتار لأب أو زوج أو أخ أو ابن قتل غدرا، وتتصدى
لأي محاولة من أفراد أسرتها للتهرب من الدم. فالمرأة الصعيدية
ترضع ابنها وتربي شقيقها على أن التار مرادف للرجولة، وأنه قدر
محتوم لا مفر منه.

واختتمت كلامها قائلة:

- العزاء أعزكم الله لما ولدي ابن بطني يجيب لي تار أبوه.

شرع الجميع في الاستعداد للإنصراف وانتابتهم مشاعر مضطربة لا يعرفون
لها تفسيراً. أخذت سوسن هانم تضرب كفا على كف وتصرخ مندهشة
محدثه نفسها " معقولة أم ترمي ابنها وحيدها في أتون التار.. معقولة يا

ناس". ويرد عليها هاتف يقول : تعلمي أيه في عادة معايرة أهالي وسكان القرى لأهل القتل مما يدفعه دفعا إلى التفكير في الأخذ بالثأر.

تعجب الشيخ عبدالرحمن من شأن هذه المرأة الصعيدية وصلابة تفكيرها وتحجره وتمسكها بتقاليد بالية عفا عليها الزمان. فمفهوم العار عندها وعند أمثالها لا يجعل من واقعة القتل حدثا منطقيا يخضع لحسابات المكسب والخسارة، فلا ينصب العزم على قتل القاتل شخصا، بل طلب الثأر من عائلته برمتها وينسون قول الله عز وجل في سورة النحل " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للمصابرين .واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون."

عادت سوسن هانم وابتتها وخطيبها إلى الفندق وقد ارتدوا عباءة الصمت والدهشة. وعلى طرف لسانهم سؤال محير :يا ترى هل تستطيع إحسان إقناع أنور بأخذ تار أبوه ؟

دخلوا الردهة فوجدوا المهندس فتحي عبدالرحيم وزوجته أميرة هانم ومرام والدكتور هاني يشربون بعض العصائر المثلجة فانضموا إليهم. كان الصمت سيد الموقف لدقائق معدودات ربما ليلتقط القادمون أنفاسهم ..ربما استشعرا الجالسون حالة الإحباط على وجوه القادمين ..ربما أرادوا إلا يفسد القادمون عليهم حالة الانتعاش والمرح التي كانوا ينعمون بها قبل وصولهم. قطع الصمت المهندس فتحي موجهها تسائله إلى ابنه عمر :

- سيع والآن ضع يا باشمهندس ؟

- لا سبع ولا ضبع. كان في توهان.. حيرة تقدر تقول.. كان في حديث الطرشان ما حدش سمع الطرف الثاني تقدر تقول .. كل واحد منا لما كان بيكلمها كان بيكلم نفسه وهي ولا هنا .
قال د. هاني متسائلا :

- يعني كل واحد كان بيتكلم في وادي. وهي ولا هنا. يعني الوفد الرفيع المستوى لم ينجح في مهمته.
- ما كانش عاوزة تفهم .. ربما لم تكن مؤهلة للفهم .
- مين؟
- إحسان زوجة ظلط يا دكتور.

عقبت سوسن هانم قائلة :

- إحسان ورثت التار وبقى جزء منها زي إيدها...عينها ..إزاي تتخلص منه. العيب مش فيها العيب في اللى زرع التار فيها الخيار عندها إما أخذ التار وإما العار. وكلاهما خيار أمر من الخيار الآخر..

وأضاف عمر :

- دور الأسرة غايب هنا . فهي للأسف ما بتقومش بواجبها ورسالتها.. للأسف تورث أبناءها ظاهرة التار إللي فيها مقت الله وغضبه..

واستطرد باستياء على ما تجري عليه الأمور :

- المفروض أن الأسرة تقوم بغرس مكارم الأخلاق وكظم الغيظ والعفو والتعاون على البر والتقوى .وده كلها أمور بتدعو إليها كل الأديان.

وأكدت أشجان على كلام خطيبها :

- لما الأم واللا الأب يفرح لما ابنهم يسرق بيضة واللا فرحة يبقى مش غريبة إن الابن يطلع حرامي.. نفس الحكاية لما الأم تغرس في وجدان ابنها كراهية وحرمانية النار حتلاشى تتدرجيا أو على الأقل أو حتحد من هذه الظاهرة البشعة بمرور الوقت .إحنا عاوزين دعاة في الصعيد من نوع ثاني. مش عاوزين نسيب الصعيد في قبضة دعاة من التيار المتشدد إللي غالبيتهم بيستغلوا فقرهم في استمالتهم لأفكارهم ومعتقداتهم المتشددة .

وأدلت مرام بدلوها محذرة :

- بس ما تنسوش إن النار من الموروثات الشعبية اللى لها مواويل وحكايات. يمكن ما فيش بيت واللا عيلة في الصعيد إلا وعندها قصة واللا قصتين من قصص النار إللي أبطالها من الجدد، وده قصص تتناقلها العائلات جيلا بعد جيل .
تريث هنية لتجمع أفكارها ثم استطردت قائلة:

- الغريب إن للأخذ بالنار له قواعده وأصوله الملزمة للجميع، ومن يقتل أخذا بالثأر هو“ رجل مقدم ”في نظر عائلته والعشائر الأخرى.

وأضافت قائلة :

- على العكس تماما من محترفي الإجرام الذين يطلق عليهم في الصعيد اسم“ المطايد”، فهؤلاء يعتبرون مصدرا للعار، ولا يحق لعائلاتهم المطالبة بثأرهم إذا قتلوا في حوادث تتعلق بنشاطهم الإجرامي.

وأكد المهندس فتحي على كلام مرام بقوله:

- على فكرة، حكايات التار في الصعيد ما تخلّاش من عناصر ملحمة للسيرة الشعبية، الرواة يضيفوا على حكاياتهم الكثير من الأحداث التي تنتصر للبطل إلّليّ بيحسد شرف العيلة وهبتها بين القبائل، زي ما كانت القبيلة بتعمل زمان في الجاهلية.

طرح عمر سؤالاً منطقياً على الحاضرين:

- والحل يا والدي ؟
- الحل لا بد أن يشارك في وضعه أطراف المشكلة كلهم. بس في حاجة مهممة دور الإعلام إلّليّ بيتجاهل مجتمع الصعيد ومشكلاته الاجتماعية، واللي بيحرص على ترسيخ صورة ذهنية واحدة عن مجتمعات الصعيد ربما ما بتتغيرش في الأعمال الدرامية والمسرحية والبرامج التلفزيونية وأفلام السينما، وربما في سائر الأعمال الأدبية. صورة الجهل والتعصب.. فين قصص التسامح والعفو عند المقدرة.. هذه القيم وغيرها من القيم السامية لابد أن تتخلل نسيج الأعمال الدرامية بلمسات منها تدريجياً

وأضافت مرام مستغربة:

- غريبة الصعيد إلّليّ فيه أكبر كمية من الآثار إلّليّ العالم بيعجي يشاهدها ويدفع ملايين الدولارات وأحفاد هؤلاء القدماء ماهومش نصيب كاف من الدولارات ده عشان تنميتهم... عشان تحسين حالهم... عشان يبقوا طرف فاعل ومؤثر في العمل السياحي. مش بس طرف نتفرج عليه.. طرف يقول أحلى قول عن حضارة بلده.

وعقب المهنس فتحي قائلا:

- الأغرب ان كل الحكومات تتكلم على ضرورة تنمية الصعيد.
- والكلام عن تنمية الصعيد الظاهر مدهون بزبدة لما يطلع عليه النهار يسبح. لابد يكون لهم دور في تنمية البلد.
- أما الشيخ عبد الكريم فهاتفته نفسه قائلة: لا تظلموها، فالقتيل جوزها الله يرحمه ظلط، وهي دماغها حجر صوان من تقاليد بالية بعيدة تماما عن الدين.
- ويرد عليه هاتف قائلا:

- ثقافة التار يا مولانا مرتبطة بالمجتمع البدوي وده مجتمع بـ يقوم على القبلية بكل قيمها وبالذات قيمة العار فقتل فرد من إحدي العائلات يعني سبة في جبين تلك العيلة تنال من تاريخها ومستقبلها... ويصبح الهدف محو العار، ورد الاعتبار لتاريخ العيلة وهيبتها.

- الله انت مين يالى بتكلمني ؟

- أنا صوت التار يا مولانا.

- طيب قيم الدين من عفو وتسامح و صفح ومحبة.
- انسي يا مولانا! انسى الكلام ده ما ينفعش تقوله في مجتمع عايش تحت خط الفقر.. ده ناس عايشة جوة الفقر.. والفقر محوَّط عليهم لاعارفين يفارقوه ولا لاقين من الدولة إيد تخرجهم من كماشة الفقر..

- لا..لا..التار لا دخل له بالفقر ولا بالغنى.... ولا بالجهل ولا بالعلم.

- له دخل عندهم بالكرامة والفخر والي ما يا خدش بتاره لا كرامه له.
- والحل يا صوت التار؟
- التعليم والأمن ونشر تعاليم الدين على أساس سليم مش بشوية دقون وكلمتين محفوضة وعقول مصدية عفا عليها الزمان. ناس عايشه في الماضي عشان الحاضر بيكشف جهلهم وقلة حيلتهم. . ده ناس عايشه في الماضي عشان الحاضر بيكشف جهلهم وقلة حيلتهم. والاهتمام بتنمية الإنسان في هذه المناطق عشان تتحول تدريجيا من حياة القبيلة إلى حياة المدينة .
- تقصد تصبح حياة الفرد غالية عليه وعلى إلى ربُّوه..
- ما هو البني آدم لما يبقى عاطل العقل يتعطل معاه ويدور على القوة.. القوة ده تتحول لبلطجة للأخذ بالتار ولأي شئ مخالف للقانون... ما هو القانون عملوه عشان الناس تحترمه وتحترم الدولة. لو هو بيعمل وكسيب حيفكر ألف مرة قبل ما يخالف القانون.... في حاجة يا مولانا حيخسرها ..على الأقل.. الخروج من دايرة الفقر...
- تقصد العاطل.. البلطجي.. المهمش.. المنسي ما عندوش حاجة يخسرها.. زى ما بيقولوا في الأمثال : ضربوا الأعور على عينه قال ما هي خسرانة خسرانة ..
- ده كلام سليم
- لا سليم ولا حاجة. يا عمنا يا إلهي أنت همنا لا البطالة ولا البلطجة ولا التهميش ولا الإهمال لها دخل بالتار.. التار له دخل

بالتقاليد والعادات إلّٰي رَسَخَتْ قِيمٌ بالية مثل قيمة العار. اسمع الحوار ده وشوف عظمة العفو والتسامح " دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام صبيحة يوم فتح مكة ووجد رجالا قريش ينتظرون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء فعفا عنهم بعد ما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا قدره يقدر وما لا عدده يحصى، مع هذا فقد عفا عنهم. ولم يضرب ولم يقتل، ولم ينتقم من تعذيبهم له قبل الهجرة.



صالون الفن التشكيلي

الأثنين 26 اغسطس 2013 لم تكن الأحداث التي شهدتها القاهرة أو شمال سيناء خلال الأسبوع الماضي بعيدة عن شرم الشيخ . فقد تم القبض على محمد بديع المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين برفقة أحد قيادات الجماعة في وقت مبكر من صباح الثلاثاء الماضي في شقة سكنية في منطقة رابعة العدوية شرق القاهرة . وتم تنفيذ قرار إحالة محمد بديع إلى محكمة الجنايات لاغتهامه بالتحريض على قتل المتظاهرين أمام مكتب الإرشاد بمنطقة المقطم يوم 30 يونيو 2013. استيقظت مصر على حادث إرهاب جديد في شمال سيناء، اغتالت فيه يد الغدر والخيانة 25 مجندا من خيرة شباب مصر جادوا بأرواحهم الطاهرة، وهم يؤدون رسالتهم السامية في حماية أمن الوطن والمواطنين، وكشفت مصادر أمنية بشمال سيناء عن أن إرهابيين مسلحين أجبروا الجنود على النزول من سيارتى ميكروباص بمنطقة أبوطويلة برفح في الساعة السابعة والربع صباحا، وأمروهم بالانبطاح أرضا، وأمطروهم بالرصاص .ومن ناحية أخرى، فجرت قوات الجيش برفح رابع أخطر نفق حدودى يربط بين مصر وقطاع غزة كان يستخدم لتهرب السيارات وغيرها من السلع المهربة.

في تمام السادسة مساء افتتحت أشجان المعرض وسط حضور أدنى من المتوسط يكاد يقتصر على الفنانين المشاركين في المعرض وبعض الأهالي

وعدد لا بأس به من المواطنين والأجانب وأصدقاء عائلة أشجان .. وبالطبع كان لهذه الأحداث نصيب في عزوف كثير من الفنانين عن المشاركة أو حضور افتتاح المعرض الرابع للفن التشكيلي. توجست أشجان خيفة من عدم إقبال الجمهور حضور المعرض مما يشكل انتكاسة لحركة الفن التشكيلي في مصر وفكرت ملياً في تأجيله أو حتى إلغائه من منطلق أن هموم الناس وظروف البلد وحظر التجول والإرهاب الأسود تدعو إلى ذلك. ولكن أثنائها عن ذلك الالتزام أمام الفنانين والجمهور.

وزعت أشجان جوائز النقاد على الفائزين وقالت لعمر ببساطة :

- ممكن نختار اللوحة إلى حنشرها مع بعض ؟
- مش إنتي لفيتي المعرض وشوفتي اللوحات كلها ؟
- حصل. بس شوف اللوحات معاك حيقي لها طعم ثاني.
- يا سلام ! بقى كدة . بينا ناخذ لفة كمان .
- أمسكت مرام بيد عمر فاستشعرت دفناً وقالت مبتسمة وهي تنظر في عينيه:
- يقولوا إلى إيده دافيه جيبه عمران.

قال مداعبا :

- لا يا أشجان أنا بأقول إلى إيده دافيه لازم عيان ..
- واستدرك قائلاً بجدية :
- لا..لا. إلى إيده دافيه بيعحب وعقله في الطريق للمورستان.
- كده يا عمر ؟
- ماتخافيش حنقى سوا هناك.
- ضغط عمر على كفها ضغطة خفيفة وهي تضحك وجاءت إنجي الجيار من خلفها بصحبة خالد وقالت مداعبة :

- ضحكونا معاكم ..

- أمشوا معانا نتفرج على اللوحات سوا.. والفرجة تحلى وتحلى لما
نضم لجمعنا أحمد وثرىا.

انتظم السداسي في مشاهدة اللوحات بعد انضمام أحمد وثرىا .وقفت إنجي
أمام لوحة من لوحات التصوير الزيتي اللاموضوعي وضحكت وتساءلت
بسخرية:

- حد يقولي أية حكاية اللوحة ده ؟ وأيه كمان تمنها عشرة آلاف
جنيه ؟ هي اللوحة فيها أية عشان حد يدفع الثمن ده ؟

قال أحمد مجيبا على تساؤلاتها ؟

- اللوحة ليس فيها موضوع تتناوله.. يعني ليست منظرا طبيعيا ولا
هي لوحة تجمع ناس في السوق مثلا فهي لا تعتمد على مرجع
بصري في الطبيعة. ببساطة الفنان لم يعتمد علي مفرد من مفردات
الطبيعة في اللوحة.

وأضاف قائلا :

- ثمن اللوحة ما لو ش أي صلة بالعناصر المكونة للوحة. يعني
لوحة بوكيه ورد ربما يتجاوز ثمنها الملايين من الجنيهات مثل لوحة
عباد الشمس للفنان فان جوخ... في حين زهور عباد الشمس ثمنها
لا يتجاوز بضعة جنيهات.

أدرك المهندس فتحي عبدالرحيم والد عمر المهندس أحمد وهو على وشك
أن ينهي توضيحه . قال وقد اتخذ الجمع السداسي شكل الهلال أشجان عن
يمينه ثم إنجي وثرىا وعن يساره عمر فأحمد وخالد :

- اللوحة إليّ قدامكم تعتمد على تكوينات فنية مترابطة لا يمكن إدراكها إلا بالحس الفني الصرف. هذا النوع من الأعمال الفنية تتعايش معه وفقا لحالتك النفسية... فهو متجدد الرؤية دائما.

لاحظ المهندس فتحي شابا يقف مستمعا باهتمام للحديث الدائر. التفت إليه وسأله باهتمام :

- يبدو لي أنك الفنان صاحب اللوحة الجميلة إلى إحنا واقفين قدماها؟

لم تمهل أشجان الشاب فرصة الإجابة وقدمته بابتسامة رقيقة كعادتها قائلة :

- الفنان فكري توفيق وهو من المشاركين في معرضنا السنوي. وفي كل معرض لا يبخل علينا بعمل أو عملين من إبداعاته المثيرة للاهتمام والجدل.

عقب الفنان فكري عن شكره وتقديره لرأي أشجان وقال :

- سمعت ما دار بينكم واسترعى اهتمامي حواركم الفني الحساس. اسمحوا لي أن أضيف لي قولتوه بعض الإضافات الطفيفة. اللوحة ذات الموضوع المحدد تفرض ذاتها على المتلقي إلى درجة أنه بمرور الوقت ينظر إليها المتلقي ولا يراها لأنه استوعب مفرداتها استيعابا كاملا. الفنان فرض بمهارة فائقة قدرته وإمكاناته علي نقل الواقع .

قاطعته إنجي متسائلة :

- هو الفنان مش بيتناول موضوع محدد في لوحته ؟

- جميع الفنانين بيتناولوا موضوع محدد في لوحاتهم . بس في فنان ينقل لنا الواقع بمهاره وفي فنان يبصوّر إليّ هو شايفه على طريقته

في فنانين يشوفوا إن التصوير اللاموضوعي له القدرة علي إثارة
واستثارة خبرة روحية، معتبرين أن الفن هو في المقام الأول بحث
ميتافيزيقي عن الحقيقة العليا.

عقبت ثريا قائلة :

- معذرة يا فنان أنت ابتديت تتكلم كلام كبير قوي .زي إللي
عاوزنى أصدق إللي بيقول إنه بيرسم في الفراغ.
- ده موضوع تاني يطول شرحه. من فضلك نخليه للمعرض القادم
بإذن الله.

وأكد أحمد علي أن الرجوع إلى العالم المادي قد يعوق قدرة الفنان على نقل
إحساسه ومشاعره وانفعالاته بصورة مباشرة وقوية. واختتم كلامه قائلا :
- هذه المدرسة من مدارس الفن بتهتم أصلا بالجواهر والأشكال
والألوان والأنماط .

همست ثريا في أذن أحمد قائلة بسعادة :

- ما أنت بتتكلم حلو قوي..فين الكلام ده معايا.
- همس أبوها في أذنها قائلا :
- هو أنتي مدية الولد فرصة يتكلم يا مفترية.
- واستطرد الفنان فكري قائلا :

- أنصار المدرسة ده يصرون على الأشكال الهندسية المسطحة
والألوان الصريحة دونها تعديل.وبالتالي استغنوا عن الموضوع .

تساءلت ثريا باستغراب :

- يعني أيه ؟
- يعني اللوحة لا تحاكي الأشكال إللي بنشوفها في الطبيعة.

وتساءلت إنجي باندهاش :

- أَمال حنشوف فيها أيه ؟

أجاب المهندس فتحي قائلا :

- علاقات فنية بين الخط واللون والمساحة وهذا واضح في العمل

إللي أمامنا. العمل الفني هنا مبني على التصور وليس على المحاكاة

... وما دامت اللوحة لا تعبر عن موضوع بذاته، فإنها تصبح هي

ذاتها موضوعاً، قيمتها في بنائها الداخلي وفي تنظيم عناصره

وتماسك أجزائه.

وأضاف وهو يسير في اتجاه لوحة بعنوان ابتسامة بعد أن شكروا الفنان

فكري وأشار قائلا :

- ما تنسوش كمان إن الفنان لما يبالغ ويصبح العمل خالياً من معالم

الأشياء المعروفة، يسمى تجريدياً غير تشخيصي

وخرج عمر عن صمته قائلا :

- أساتذتنا كانوا يقولوا لنا إن الفن التجريدي والفن اللاتشخيصي

واللا موضوعي ده مصطلحات مش محددة تحديداً دقيقاً قد تكون

متماثلة ولكن معانيها ربما تكون غير متطابقة. والله أعلم.

عقبت أشجان مداعبة :

- أخيراً نطق يا عمر.. ده أنا قلت إنك ما لكش في الفن. يس

حقيقي أحسنت يا مولانا.

- لأ.. لأ.. أنا كنت عامل فيها سهن.. أسمع.. أدقق.. استوعب ..

وبعدين أغطي إللي ما تغطاش .

بدأ الجمهور يتوافد .. وبدأت حلقات النقاش تدور رحاها..المعرض لم يكن مقصورا علي الحدائة في الفن.بل معظم المدارس الفنية ممثلة فيه تقريبا.قال عمر وقد وصل الجمع أمام لوحة ابتسامه :

- العمل هنا بورتريه لفلاح بسيط ابتسامته تشيع السعادة على من في القاعة جميعا. الفنان هنا نجح في تصوير الابتسامه. شوفي يا أشجان مش مجرد انفراجه شفتين.. لأ..العينين بتضحك وعضلات الوجه بتضحك.

طرح المهندس فتحي سؤالا على مجموعة الملتفين حول اللوحة والذين ازدادوا بعد ما لمسوه من شرح وتحليل :

- عارفين الفنان ناجح في العمل ده ليه ؟

لم يمهل المهندس فتحي أحدا.الإجابة قال بعد أن وضع يده على كتف الفنان الذي بدت سعادته من تحمس عمر :

- عشان رسم الشخصية من الداخل.مش مجرد ملامح تعطينا شئ أقرب ما يكون إلى الشبه..وليس الشخصية ذاتها.

واستدرك قائلا وهو يربت على كتف الفنان وهو ينظر إلى الجمع الواقف منصتا بانتباه بينما انضمت إليهم فتاة إيطالية لفتت الأنظار إليها...بشرة خمرية لفحتها شمس الغردقة. عيون عسلية داكنة والشعر كنيش وربما لم يمشط من زمن غير بعيد. والصدر نافر يغري على القطف وليكن ما يكون.والخصر نحيل على أرداف ممتلئة في غير ترهل يمكن تطويقه دونما أي صعوبة.والساقان مشدودتان. الملابس قليلة...المختصر المفيد. ولعل أصدق تعليق ماهمس به أحد الوقوف إلى جوارى قائلا:بقية هدومها فين !:

- واللا أيه يا سي عمر؟

- أياه يا بابا.

عقب الفنان صاحب اللوحة قائلا :

- باختصار الابتسامة هنا ابتسامة من القلب مش مجرد شد الشفتين زي ما بيحصل لما المصور الفوتوغرافي يقول للي قاعد قدامه قول : تشيز cheese ده ابتسامة مصطنعة مزيفة.

وأردفت أشجان قائلة :

- جميل قوي تحليلك يا شادي.شادي فنان واعد.

قادت أشجان تحرك المجموعة ورافقتهم السائحة الإيطالية في تحركهم.وقفت أمام منظرطبيعي لمركب راكن قرب الشاطئ في بركة من المياه الضحلة قالت :

- الفنان ده فنان مش أكاديمي ..مش خريج كلية من كليات الفنون الجميلة بس لوهاته تشد الانتباه...في عنده حاجة تخليك تتشد للوحاته.

قالت الفتاة الإيطالية بلهجة عربية دارجة :

- أنا باعرف عربي تعلمته في الجامعة واتحسن بالممارسة هنا في مصر. جدي هبني في مصر. كان عايش في بورسعيد . كان بيشتغل مرشد بهري في قناة السويس. مشي مع المرشدين الأجانب إللي مشيوا وقت تأميم قناة السويس أنا كدة جاوبت على كل الأسئلة إللي دارت واللي بتدور في دماغكم.

تريثت قليلا وقالت وسط اندهاش الجميع :

- الفنان ده مختلف عن كل الفنانين العارضين..وده نقطة تميز . هو لم يدرس دراسة أكاديمية .. هو فاهم تعاليم الأكاديمية بس لا

تقيده...ياخذ منها زى ما هو عاوز .. ويسيب منها إللي مش عاوزه
ويكسر إللي مش عاوزه. عشان كده هوه متميز.
وأضاف عمر تصديقا لكلامها :

- فعلا يا سينيورينا ..

قاطعته الفتاة الإيطالية قائلة :

- أوه ! أنا اتكلمت كثير وما قولتش اسمي .زي بعضه أنا اسمي
ماريا.. أنت بقى كمل كلامك.

- فعلا يا سينيورينا ماريا منظور المركب غير دقيق .. مش مهم ..
وده خلى أحد النقاد في جولة الافتتاح يقول : المركب ده ما
يعومش.

وأضافت أشجان قائلة :

- وأنا سمعت الفنان أحمس نجيب صاحب اللوحة يرد عليه دون
تردد : اشتري اللوحة وأنا أعلقلك على البرواز فردة كاوتش.

قال أحد النقاد الذين استرعاهم اهتمام أشجان والسينيورينا ماريا بلوحة
المركب محللا أعمال الفنان بإيجاز :

- الفنان أحمس يمزج بين المدرسة التأثرية والتجريدية بمهارة .لديه

قدرة على تجريد المنظر الطبيعي بالكامل ... التجريد أحيانا في
الخطوط وأحيانا في اللون . وأحيانا في الاثنين.

همست أشجان في أذن عمر تسأله :

- المركب واللا الابتسامة ؟

أجابها عمر بسؤال :

- القلب واللا العين

- احنا حنلعب؟! .
- لأ. حنحب .
- تعبت واللامليت ؟
- لا تعبت واللامليت بس...
- بس أيه ؟
- شبع من الفن وجعان حب.
- نستأذن ؟

استأذن عمر في الانصراف وقال لوالده أنه سيأخذ أشجان للعشاء . المهندس فتحي سعيد بحب عمر ويعتقد أن حياتها ستكون حافلة بالحب والتوافق. يتناغمان سويا . أشجان صبرت لتختار الشخص الذي يناسبها وعمر عاش حياة تبدو عبثية ولكن من الواضح أنه كان يبدق في الاختيار... وجاء لقاءه بأشجان لحظة فارقة بين العبث والجد .

ألقي نظرة على ابنته ثريا وابن أخيه أحمد... ربما في العلاقة بعض الخلل. ثريا مفرطة الثقة بسيطرتها على أحمد الذي يطاوعها على هواها .. فهو يشتري حبها برضاها ... يشتري الحب بالعذاب.. وليتها ترضى.. تشتري . يصحح مسارها من حين لآخر أملاً أن تفهم . مطمئن عليها مع أحمد .. فهو ببساطة يحبها.. وهذا درع واق من تقلبات الزمان.

وجد خالد في علاقة جديدة مع إنجي .. علاقة مبشرة في ظاهرها.. ربما يقدر لها النجاح . حقيقى إحنا لسة في أول الطريق. خالد صحفي شاب يعرف كيف يجري وراء الخبر ليمسك به.. أما في العلاقات الغرامية فهو قليل الخبرة بل قليل الحيلة . يجيد الكتابة بالقلم أكثر مما يجيد التحدث. عقله أكثر تدبراً من لسانه . الحوار بين إنجي وخالد هو الحوار بين القطة والفار... ربما

مهارة الفار في المراوغة .لم ينطق كلمة واحدة ولكنه سجل ماجريات ما حدث سواء بالقلم أو بالصوت. خالد مهندس الكلمات المكتوبة. اقترَب منهما المهندس فتحي وقال مبتسماً :

- عاوزين مساعدة ؟
- يا ريت يا أونكل . ما بيتكلمش .أنا باتكلم مع نفسي.
- كده يا إنجي !
- بس برضه لما بيتكلم بيقول كلام حلو قوي..أحلى وأرق من كلام أغاني عبدالحليم حافظ.
- أهه . هي إللي بتقول .
- صحيح هي إللي بتقول يا خالد .بس فك لسانك شوية ..مع القمر إللي قصادي.البدر من غير ملاغيه يبقى هلال.والهلال بالملاغية يبقى بدر.
- أيوه .. أيوه . قول له يا أونكل .. فينك من زمان.أونكل لعب مخضرم وأنت يدوب من الناشئين الهواة.
- وتساءلت إنجي مستوضحة :
- طيب البدر بالملاغية يبقى أيه ؟
- أجاب خالد دون تردد
- يبق شمس يملأ الدنيا حب ودفا
- تقدمنا في الملعب خطوتين ..بس مصيره يا إنجي يحترَف على إيديكي .ولو منطقتش للجمال ده يبقى كفاية عليه يعيش على الكتابة.

- لا، يا أونكل و حياة حبي و حبه حيحترف و يوقع عقد الاحتراف معايا. أنا لقيته على الشط ضايع .. ما صدقت لقيته .. كلام الحب حينطقه .. وإلا يا ويله من حبي.

- كده يا إنجي مش ح خاف عليه ..بس بشويش ده الواد ما طلعلوش ريش.

الغريب كل هذا الكلام والحوار ده داير وهو مش هنا غير كلمتين رماهم ..كان سرحان في دنيا تانية ..سقطت منه كلمتان، قالها أقرب إلى التمتمة منها إلى الهمس : البنت الطالمانية .

تظاهر المهندس فتحي أنه لم يسمع شيئاً وخرج من المشهد وانضم إلى أحمد وثرى التي تزايد إعجابها بقدرة خطيبها على استحواز انتباه الحضور .وانتفضت إنجي لما سمعته وسعت إلى التوضيح متسائلة بازدراء:

- مين ؟!! قلت أيه ؟

توجس خيفة واستشعر توتراً من استسفارها وسألها مستنكراً باندهاش:

- في أيه ؟

- أنت قلت أيه ؟

رد عليها متلجلجاً بارتباك :

- أنا ؟! أنا ما نطقتش بكلمة واحدة .

- لأ. قلت كلمتين يمكن في سرك ..همسا جايز...بس خرقوا طيلة ودي.

- انتي بتنصتي علي واللا بتتصلبتي ؟

- أنا لا بتصنت عليك ولا بتصلبت . أنا باسمع خواطرك ..

سكنت إنجي وتلا لأت دمعتان حائرتان في مقلتي عينيها رآهما خالد ولطالما
خدعته الدموع وقال مداعبا :

- أياه، ح نعيط من الأول ؟
- لا، عاوزه أكون العين إللي بتشوف بيها .. عاوزه أقعد جوه قلبك
الطيب وأعيش دقاته.
- ما أنتي زعلتي من مجرد خاطر مر على بالي.
- ده انت لما بيعد طيفك عن عيني ب عاتب فكري.. لا، مش مجرد
خاطر يا خالد.. ده خاطر جردها من القليل الباقي من هدمها.
- أياه ده .. غيرتك أخذتك لبعيد.
- غيرتي ؟!! أنا ؟ أنا غير من واحدة بتاجر بأنوثتها على طريقة إللي
ما يشتري يتفرج..
- لا، ما تخلنیش أندم علي ساعة حب يمكن عيشتها لوحدي مش
عاوزه لحظة تضيع مني.
- من فضلك امسحي دموعك. مرت البنت الطالينيه على خاطري
واستوعبتها عشان ح اكتب عنها .. ساعتها ح تعرفي إنتي مكانتك
في قلبي قد أياه.. يا أنجي انتي بنت بلدي خفة ورقة ومكانك في
القلب زايد حبة.. لا. حبتين.

اختلطت الدموع مع الابتسامة ولربما مسحت الفرحة الدموع فشع منها
البريق. أقترب منها المهندس فتحي وقال مازحا :

- امسحي دموعك يا أmaal
- أجابت وهي تمسح دموعها :

- فعلا يا أونكل ليالي العمر معدودة.. وليه نبكى على الدنيا ..وناس
فى الدنيا موعودة ..نصيبها يروح لناس تانية
احتضنهما المهندس فتحي وخرجوا من القاعة وهو يربت على كتفيهما وقال
مستبشرا :
- إللي جاي أفضل .



عشرة بلدي

استعدت أشجان للعشاء مع عمر وقضاء بعض الوقت في رحلة سفاري في صحراء شرم الشيخ. طلبت من الريسبشن ترتيب الرحلة وتأجير سيارة 4×4 لزوم الصحراء. ارتدت بنطلون أصفر ليموني، وبلوزة قطنية خفيفة لونها أزرق فيروزي، وحذاء رياضي نايك. أما عمر فقد ارتدى بدلة تدريب بيضاء اللون. التقيا في الريسبشن بعد اتصال غرامي خفيف على الموبايل. قال متنهدا :

- أخيرا حنقنى لوحدنا .
- لأ، الملايكة حارسانا وحارسه حبنا.و القمر منور في السما..البدر لسة ما بعدش عننا.
- مش لازم قمر في السما يراقبنا ..مش كفاية بدر في ليلة تمامه كل يوم جنبي يشاغلنى .
- اقتربت منهما ماريا وقالت وهي تنهج تلاحق أنفاسها بصعوبة :
- أنا عرفت من الريسبشن إنه مافيش رحلات سفاري دلوقتي .. بس واحد من إيلي واقفين قال لي إنتو رايحين تعملوا سفاري. قلت..

سألها عمر باقتضاب :

- قلتي أيه يا سينيورينا ماريا ؟

- قلت يمكن ترضوا تاخذوا واحد زبي معاكم.. في حظر تجول ..
بس لسه في وقت على حظر التجول يكفي الواحد يعمل واحد
سفاري..

تعجبت أشجان من جرأتها على فرض نفسها عليها دون سابق معرفة سوى
دقائق معدودات في المعرض.. لم تشأ أشجان أن تفرض رأيها على عمر.. سألته
وهي تضحك :

- الظاهر مش حنبقى لوحدنا. أيه رأيك يا حبيبي ؟
- ما أقدرش أقول آه .. وما أقدرش أقول لأ .. يمكن أقول آه
أشجان تقول لأ.

حزمت أشجان أمرها ودعتها للركوب معها. جلست ماريا في المقعد
الأمامي بجوار السائق والتفت وراءها وقالت :

- خدوا راحتكم.. أنا مش هنا. باين عليكم عرسان جداد.

قالت أشجان :

- مخطوبين بس.

- مبروك.

- الله يبارك فيكي. شكرا.

- قرايب؟

- لأ، معارف.

- بتجيبه ؟

- بيحبني

- وهو ؟

- اسأليه ؟

- بتحبها يا..
 - اسمي عمر... أشجان بتحبني.. قوليلي.. متزوجة
 - لأ. مرتبطة.. سينيور عمر
 - يعني مخطوبة
 - لأ، عايشين مع بعض لحد ما نقرر الزواج.
- توقف الحوار لأن أشجان وعمر غير راغبين في الخوض فيم هو أبعد من هذا لاسيما قد وصلوا إلى منطقة السفاري.
- أرض منبسطة تحيط بها تلال مرتفعة لا ترقى إلى حد الجبل . خيام وجلسات عربية ..تستقبلك رائحة الشواء عن بعد.رقصة التنورة يؤديها بعض الشباب بتنورات مختلفة الألوان ترتفع التنورة إلى مستوى الصدر بفعل الدوران ...دوران ..دوران وألوان كل تنورة تتمازج لنرى لوحة لونية رائعة. بعد فترة وجيزة من جلوسهما وراقصوا التنورة يتبارون فيما بينهم في سرعة الدوران لتقديم بانوراما لونية وحركية على خلفية الصحراء والسماء منيرة بالقمر وقد أوشك أن يقترب من الثلث الأخير من شهر شوال..ألقت أشجان بنفسها دون وعي علي صدر عمر شبه مغشي عليها وقالت قبل أن يفيق عمر من المفاجأة :
- ما تخافش مفيش حاجة ..دوخت من دوران راقصي التنورة.
- قال مداعبا وهو يتطلع في وجهها الصبوح بعد أن اطمأن عليها :
- انت مبسوفة كدة.
- هزت أشجان رأسها موافقة.وأضاف قائلا بسعادة غامرة :
- وأنا كمان عندي سؤال ممكن أسأله.
 - اتفضل .

- في حد قالك عنيكى جميلة قوي؟
- في.
- مين؟
- انت.
- أنا؟!
- أيوة .. لسة حالا.
- يعني ما حدش سبقني .
- أكيد ما حدش سبقك. مين ده إللى ممكن أقرب منه أو يقرب منى
- غيرك أنت ؟ أنت عنيك بتلمع قوي.
- انتى شايفه ضى عنيكى فى عنية.
- سعيدة ؟
- فوق ما تتصور .
- وأنت ؟
- من فرحتى نسيت زمايلى إللى فى البحر فى مسابقة الصيد.
- من إمتى ياعمر ؟
- قبل المعرض بثلاثة أيام .
- كنت على اتصال بيهم طول ما الشبكة مغطياهم .
- يا ترى انت فىن يا مرزوق زى ما قال سعيد صالح فى مدرسة
- المشاغبين.
- ده الشبكة ما كانتش مغطياهم .. ده الموج إللى كان مغطيهم.
- وده منه بكام ؟
- نشوة الفوز .

- تساوي المغامرة بالحياة.
- المغامرة مغامرة فيها متعة الانتصار على الصعاب. شوفي متعة الفوز وقهر الأمواج والتشبث بالحياة وأنت علي حافة الغرق.. والرضا ينهمر لا أنت عارف ده مطر واللا رذاذ الموج. ما هو مفيش وقت عشان تميز إن كان ده رذاذ مطر واللا رذاذ الموج.
- فوقتني ..
- تفويقت سهل... شوية تشويق متبيلين بالخوف والقلق.
- وأضاف قائلاً بندم :
- أنا إللي فوقتك
- ندمان؟
- أكيد ندمان
- على أيه
- خرّجتك من حضني .
- يا سلام !
- يا مين يعيش لحد ما يطول المنى .
- أنا قتلتك أنت حظك في رجلك .
- أشجان ؟
- يا عيون أشجان
- طيّب ليه ما تقوليش إنتي إللي حظك في رجلكي.. الله.. الله !؟
- في ايه ؟ البنت الطالمانية ..
- ما لها

- الرقاصة البلدي ما بتعرفش ترقص .. ملظظة وعندها مغص.
أهى ده إللي تعلم الشيطان الاستقامة. والبت الطالمانية نازلة هز من
فوق ومن تحت.. بس بعصية.. ما فيش تناغم للحركة مع إيقاع
الموسيقى

- عجبك ؟

- لا، ده مالهش في الرقص ... ده لها في الهجص.

استعدا للقيام والتوجه للبوفيه المفتوح حيث يتم تقديم وجبة العشاء الشهية
والمشويات بالإضافة إلى المشروبات والعصائر الثلجة والشاي البدوي
الصحي اللذيذ الذى تشتهر به القبائل البدويه. وحين قاما وجدا ماريا قادمة
باندفاع نحوهما وأمسكت بيدي عمر وتمزهما يمينا ويسارا والناس تصفق
وهي تصرخ بهستيرية : عمر .. عمر والناس يرددون وراءها عشرة
بلدي. سيطر عمر على الموقف بحسم خاصة أنه وجد أشجان مرتبكة أمام
هذا الموقف الصاخب .. قال :

- ماريا ده مش عشرة بلدي .. ده بكتيروا واحد بلدي .. لا، لا.. ده

عجين الفلاحة..

ترك يدي ماريا وتحرك ممسكا بيد أشجان ومتجها إلى البوفيه وتعالى
الصياح: عجين الفلاحة .. وقالت ماريا بخيبة أمل :

- أوه .. عجينة الفلاحة ... القرداتي .. ومالو سينيور عمر : قرداتي ..

قرداتي. إديها قرداتي .

خرجوا من الخيمة ولم يتناولوا أي طعام .. التوتر الذي تسببت فيه ماريا أفسد
شهيتهم .. ليس لأشجان نصيب ولا خبرة في هذا الصخب. استشعرت

خرجنا وتمنت أن تكون أكثر تحمرا بعض الشيء.استقلا السيارة قالت
أشجان بعد فترة من الصمت :

- بوظت عليك السهرة مرتين..مرة لما دخت ومرة بسبب موافقتي
على ركوب ماريا معنا.

- ركوب ماريا ما أنا بسكوتي يعني موافق عليه..آدي أول براءة.
الدوخة ..ما تعرفيش مدي سعادتي وإنني بترمي روحك بين يدي
مطمئنة.

- وصل لك هذا الإحساس ..

- طبعاً وصلني...باحبك .

- وأنا كمان.

وصلت السيارة إلى مدخل الفندق .بدا عليهما الإرهاق .يوم طويل حافل
بالفاعليات .سالته وهي تتجعد نحو السويت رويال :

- حتعمل أيه يا حبيبي ؟

- حاخذ دش وأتوضا وأصلي العشاء واسأل على زملائي إللي في
البحر.

- ممكن أطلب منك طلب .

- تحت أمرك .خذ الدش واتوضا وتعالى نصلي العشاء سوا.نكسب
ثواب الجماعة. عاوزه نتكلم مع العيلة عن ترتيبات الأيام إللي
جاية.

- يا ريت .بس أنا لازم أسأل على زملائي إللي في البحر. وأنا جاي
على طول.

دخلت أشجان السويت رويال فوجدت العائلتين مجتمعتين.. ومعهما عائلة لطفي الجيار والدكتور هاني ومرام. فركت عينيها لإنتقالها من الضوء الخافت خارج الشالية إلى ضوء مبهز بداخله . قالت بدهشة أعقبتها تمطية فتأؤب لا إرادي :

- مش معقول أمي لسه صاحبة لحد دلوقتي .يعني خايفه عليّ يا أمي..

- مستنياكي يا ست البنات.

- ما تخافيش علي وأنا مع عمر سيد الرجالة.

ونظرت إلى أميرة هانم والمهندس فتحي وقالت بفخر:

- حقيقي ربيتوا راجل والرجالة في الزمن ده قُليّة.بعد النهارده ما تخافيش علي يا أمي.

روت أشجان باقتضاب مع حدث مع عمر والبت الطالانية ماريا وسط خليط من الدهشة والتقدير. قالت :

- تخيلوا أنا مش مصدقة إلى الآن منين جاب الكلام إلّي قالوها بكبرياء وهو يتراجع بعيدا عنها حتى لا تلمسه

تساءلت ثريا وإنجي في نفس واحد :

- يعني قال لها أيه ؟

دخل عمر السويت رويال متعشا بعد الحمام البارد وسمع أطراف الحديث وازداد إعجابه بأشجان.وسألهم :

- عاوزين تعرفوا قلت لها أيه ؟

- يا ريت

- ده مش عشرة بلدي.. ده بكتيرو واحد بلدي..ده عجينة الفلاحة

وأضاف وسط ضحك الجميع قائلاً باندعاش :

- الغريب أن بنت الجنّة كانت عارفة حكاية عجينة الفلاحة..

سمعناها بتكلم نفسها وتقول : أوه .. عجينة الفلاحة ... القرداتي.

ومالو سينيور عمر : قرداتي.. قرداتي.. إديها قرداتي.

وتساءلت ميار الحسنة زوجة لطفي الجيار :

- الله، مش انتم أخذتوها معاكم للسفاري وتركتموها هناك؟

أجاب المهندس فتحي قائلاً :

- لأ، هم سابوها مع القرداتي!

كانت أشجان قد تركت الجمع ودخلت لتتوضأ وعادت وأشارت إلى عمر

الذي استأذن لأداء صلاة العشاء. قام معها المهندس فتحي يشاركهما

الصلاة. انضم الثلاثي بعد أداء الصلاة إلى الجمع.

بادرت مرام والدكتور هاني بالقيام استعداداً للعودة إلى غرفتيهما. مرام هنأت

أشجان على خطبتها وعلى نجاح المعرض وأخبرتها بأنهما سيعودان باكراً على

أول طائفة وأن اللقاء بينهما موصول باذن الله . كما أعلن المهندس فتحي

سعادته لقراءة فاتحة ابنه خالد على الجميلة إنجي. وعلقت أشجان قائلة

بمرح :

- ما تسبيبهوش يقعد على الشط ويوشوش الودعة.

وبارك عمر لأخيه خالد متمنياً لها السعادة وقال مبتسماً :

- مبروك . يعني راجع وفي إديك القمر .

ونظر إلى إنجي وقال ضاحكاً :

- هدية ولاقيتها على الشط أوعي منك يشط.



رحلت أستاذ صادق

يمضي الليل حثيثا هادئا تتخلله نسائم باردة تحمل فيها نكهة ملامح من
نسائم سبتمبر حيث ينحسر الحر ويعتدل الجو رويدا رويدا. الناس نيام بعد
الاستمتاع بصحبة الأهل والأحبة بتمشية بين خلق الله من شتى بقاع الدنيا
من مغاربها إلى مشارقها ومن جنوبها إلى غربها.. تستمتع بمن يحبك بمساء
الخير بكل لغات الدنيا.. جود إيفيننج.. جوتن آبند.. بونا سيرا.. جوت
آفتن.. روز بخير.. بونسوار.. تختلط هذه التحيات مع بعضها بعضا لتعبر
عن مشاعر واحدة للبشرية الخيرة للجميع.. الكل يتمنى الخير للكل
لا فرق أفريقي وأوروبي وآسيوي وأمريكي وأسترالي..

أما عمر فيتنقل جيئة وذهابا ممسكا بالهواتف يستجديه ردا من رفاقه الأربعة
دون جدوي. كره عبارة التليفون المسجلة : "الهاتف المطلوب خارج نطاق
الخدمة". ينظر إلى أحمد ويغبطه على ما يغط فيه من نوم عميق كأن الرباعي
التائه وسط البحر لا تربطه بهم رفقة أو رباط. ثم أخذته به الشفقة وقد بدأ
وصلة من الشخير المتقطع. قال له هامسا : كفك يا ابن عمي ثريا
وعمايلها!

قرر أن يرتدي ملابس للخروج. خرج من السويت واتجه إلى الريسبشن
وطلب سيارة. اتصل الريسبشن بالآنسة أشجان التي ردت منزوعة.
علمت الرسالة وطلبت من موظف الريسبشن الملاحظة في تنفيذ طلب
السيارة بلطف لحين وصولها.

ارتدت علي عجل ملابسها وتوجهت الى الريسبشن .بأدراها عمر متسائلا
بدهشة واستغراب :

- إنتي رايحة فين في أنصااص الليالي؟
- أنت إللي رايح فين في أنصااص الليالي؟ ناسي حظر التجول
- لأ مش ناسي ..بس في البحر أصحابي وناسي...يجيلي نوم منين ..
- وكل ما أغمض عين الثانية تصحيني ..
- سكت برهة ونظر اليها يتأملها وسألها مباغتا :
- كنتي حتعملي أيه لو كنت معاهم ؟
- كنت ح أقلب الدنيا عليك.
- ورينا الهمة .

طلبت أشجان ورقة وقلم من الريسبشن وكتبت جميع البيانات الخاصة
بالرباعي واسم المركب واسم الفريق. طلبت من استعلامات الفندق
الاتصال بلجنة المسابقات وتحويل المكالمة عليها.

جلست ترقبه وهو واقف أمامها قلقا ومتوترا. حاولت أن تصرفه عم يشغل
باله .. سألته وهي تشد سحاب الجاكيت الذي يرتديه :

- شفت فيلم العجوز والبحر بطولة سبنسر تراسي؟
- لأ.

- ضاع نص عمرك .قرأت القصة ؟
- سمعت عنها ؟

- يعني ما قرأتهاش ..يبقي كده ..
- قاطعها قبل أن تكمل جملتها قائلا باحتجاج :

- أيه ما تكمليش ..؟ هو في أيه؟ حتخلصي عمري على فيلم ما شفتوش ورواية ما قرأتهاش .. حيلك .. حيلك.

- أولا سلامتك وسلامة عمرك .. ح أقولك زى ما بتقول الفنانة وردة لو غبت عني؟؟ أو رحت مني!! أعمل ايه؟؟
- تحبي ثاني ..

- أهو ده إللي مش ممكن أبدا يا روحي ..

تساءلت بلهجة حنونه :

- ممكن أروي لك القصة من باب قطع الوقت حتى ياتينا الخبر اليقين .

أجابها والبال مهموم بمصير أصدقائه :

- وحياتي يا أشجان بلاش تسوقي الدلال علي .. أنا قلقان وحيран ..

أنا مش مستحمل ؟

- مش مستحمل أيه ؟

- مش مستحمل دلالك ؟

- أmaal لو حكيتلك إللي في قلبي ح تعمل أيه ؟

- أقول لك يا بخت إللي داق حنان الحب وطعامته ..

- دقته ؟

- لأ...عايشه

قطع عليها موظف الاستعلامات حديث الحب وقال وهو يقدم سماعه التليفون :

- أخيرا ردوا .. الرقم كان مشغول على طول.

قفز عمر من على الكرسي والتقط السحابة من يد أشجان وبدأ السؤال عن زملائه ويتلقى ردا واحدا طوال المكالمة: "أيوة" حتى نفذ صبره فقال بعصبية:

- ما عندكمش غير أيوة
 - أيوة
 - تاني
 - مركب الصيد النجم الثاقب جنح أول أمس والتقط خضر السواحل إشارة استغايتها وهي على وصول مقطورة
 - أيوة
 - أيوة أبه.. مفيش أيوة.. في تصبح على خير.. وفي الصباح رباح.
- تجاوز الليل منتصفه واقتربت ساعات النهار مقبلة واطمأن عمر على صداقته مؤقتا وقالت أشجان وهي تضع يدها على فمها لتخفي نوبة تناوب لا سبيل لمقاومتها:
- مش قلتلك عند أشجان الخبر اليقين.. تصبح على خير.
- أقبل الشروق مبهجاً في سماء شرم الشيخ. ميلاد يوم جديد تولد فيه الآمال وتملاً شجرة الحياة مشارق الأرض بالخير والتفاؤل. مع كل شروق تنساب خيوط الشمس الحمراء بتؤدة وتخطت بصفحة الماء والرمال الصفراء بينما تصعد الشمس من وراء سلاسل الجبال باستحياء لتضئ الأفق ولكي تعاود الحياة دورتها بعد سكون الليل. أمرت النيابة بحبس محمد بديع 15 يوما على ذمة التحقيق لاتهامه بالتحريض على العنف وقتل وتعذيب المواطنين برابعة العدوية وحرق منشأة حكومية، كما أمر المستشار إبراهيم صالح، رئيس

نيابة مصر الجديدة بحبسه 30 يوما في أحداث الحرس الجمهورى
والاتحادية.

استيقظ أحمد بهمة ونشاط استمدهما من رضاء ثريا عليه ومن قسط موفور
من النوم العميق. أما خالد فقد بكر في الاستيقاظ ليقضي بعض الوقت مع
خطيبته إنجي. أيقظت الساعة البيولوجية عمر من نومه قبل آذان الفجر
ولكن الإرهاق تغلب على توقيت الساعة البيولوجية وغلبه النعاس فنام.
المهندس فتحي نام سعيدا واستيقظ من النوم يحدث نفسه ضاحكا فيما
يقرب إلى التمتمة منه إلى الهمس:

- الله العيال ده نفسهم اتفتحت على الجواز في شرم الشيخ واللاهي
شوطة حلت عليهم بسقوط الدنجوان في عرين الحب.

حدثته نفسه متسائلة وهو يتمطع :

- الله .. الشوطة لحد عني وشطت. اشمعني ؟

أميرة هانم استيقظت على حركته. لم تشأ أن تغادر السرير وطمعت في دقائق
من الكسل. تنصّنت على تمتمته. وقالت :

- لانتهاء الصلاحية.

- انتي صحتي ؟

- من ساعة ما بدأت تكلم نفسك

- سمعتيني ؟

- وجاوبت عليك.

- كده تكشفى سري

- لأ. بفكرك لا تكون ناسي.

- طيب قومي للوضوء للصلاة

خرجوا للصلاة فوجدوا سوسن هانم وثرثيا وإنجي وأحمد وخالد في انتظارهما. تساءلت سوسن هانم بدهشة :

- فين أشجان .. معقولة ما صحيتشي لحد دلوقتي ؟ غريبة ! أشجان ما يفوتهاش فرض أبدا إلا في الشديد القوي ..

اتجهت سوسن هانم إلى غرفة نوم أشجان وهى تردد " أشجان ما يفوتهاش فرض أبدا إلا في الشديد القوي .. " دخلت الغرفة فوجدت ابنتها غارقة في نوم عميق وقد رfst الغطاء من فوقها وتحتضن الوسادة . نادى عليها ثم ربت على كتفها وسمعت تمتمة بكلام غير مفهوم .. نادى عليها برفق :

- سمعاني يا روعي .. إنتي بخير ؟

بدأت أشجان تتبته وتقلب على السرير في اتجاه صوت أمها التي بدا عليها القلق . فتحت أشجان عينيها وفركتهما بيديها فوجدت أمها واقفة أمامها .

- في أيه يا أمي ؟

- الفجر

- عمر صحي ؟

- لأ .

- اعتمد على وأنا راحت على نومه .

- كنتي بتقولي أيه وأنتي نايمة ..

- مش فاكرة .

- قومي .. الصلاة

عادت سوسن هانم إلى الردهة وطلبت من أحمد أن يوقظ عمر وتوجه إليه فوجده يتحدث مع أشجان على الهاتف وأشار إليه بأنه قادم على الفور . انعقد الشمل وصلوا الصبح جماعة .

خرج الشباب للتريض قبل أن تعلو الشمس وتشتد الحرارة. ساروا مثنى مثنى أحمد وثرثرا في المقدمة وعمر وأشجان في المؤخرة بينما احتل خالد وإنجي وسط المسيرة. مازال نبات مسك الليل يفوح بعطره الزكي تحية لموكب الحب الجميل. تشابكت الأيادي ليسري في كيان كل حبيبين تيار متبادل من المشاعر الدافئة والأشواق.

لم تكن مسيرة موحدة فيما يحول بخاطر كل حبيبين ولا بين كل حبيب وحبيته. الحلم واحد والطرق المؤدية إليه مختلفة. أحمد يترقب موافقة ثريا على تحديد موعد الفرح وكتب الكتاب.. يحلم باليوم الذي يضمهما سويا تحت سقف واحد. لم يكن يدري أن حديثه عن الفن زاد من إعجاب ثريا له فرأت في عيون الحضور الاهتمام والتقدير له وقررت أنه من الأولى بها أن يحظى أحمد باهتمامها. وباتت بين عشية وضحاها تري فيه مستقبلها مما ينبغى معه تغيير صورة الطفلين اللذين كانا يلعبان سويا إلى صورة رجل وامرأة ناضجين. قال:

- مش عاوزه تقولي حاجة ؟
- امبارح كنت فخورة بك فوق ما تتصور.
- يا سلام .. أيه الرضا ده كله !
- تستحقه وزيادة
- يا سلام .. يا سلام. في أيه يا ثريا ؟ ما أنا أحمد بتاع كل يوم..
- مين إللي قال كده ؟
- أنا .
- تبقى زبي مش عارف قيمة نفسك ؟
- أيه إللي زاد في قيمتي يا حبيبتي قلبي ؟

- أيه ما أنت ما كنتش شايف نفسك وانت بتتكلم في الفن. الكل كان معجب ومبهور..وبقيت انت والجمهور أبطال المشهد. ما هي اللوحة ماتفهمتش غير لما اتكلمت عنها.
- تاهت ولقيناها.. خلاص نقول أشجان تقيم معرضا كل أسبوع.
- وده عشان أيه يا حبيبي .
- عشان تحبيني أكثر.
- مش عاوزه حد يحبك أكثر مني

لم يكن هناك من الحوار بين خالد وإنجي بقدر ما كانت هناك محاولات استكشاف الآخر .محور الحديث من أنت. بالتأكيد هناك مشروع التخلص من نتائج حب فاشل. كلاهما يعرف أن الاختيار السابق لم يكن موفقا وأن مواصلة المشوار لم يكن ممكنا. فالمسافات في التفكير والاهتمامات كانت متباعدة. كلاهما مصبوب في قالب غير راغب في التقارب أو حتى التوافق. خالد يفتقر إلى مهارة كسب إعجاب الفتيات. فهو وإن كان قليل الكلام ولا يملك من المراتفات الفورية ما يدغدغ أحاسيس البنات إلا أنه يمتلك ناصية الكتابة بمهارة. فهو باختصار من المتأملين الذين يحتاجون فسحة من الوقت ليتخيروا الجواهر من الكلمات لينثر مقالا أو خطابا.

خالد ليس المتحدث الذي تستوقفك دردشته ولكن تشدك مقالاته بما تحفل به من تأملات وأفكار مبتكرة.

افتقد "دارين" ببساطة لأنها مدربة على اللوع والصياغة. هي زهرة تتناقلها الأيادي ببساطة...أيادي الذين يجيدون لغة دغدغة المشاعر والوعود الكاذبة ونسج الأحلام الوردية...ولمس المناطق الحساسة فيثيرون شهوة المرأة المتعطشة للجنس الذي سرعان ما تنطفئ جذوته أكثر من تعطشها

للحب الذي يدوم ويبقى .وهنا أدرك خالد مما تعلمه وغرسته فيه الأسرة من آداب وتقاليده أن : الطيور على أشكالها تقع .

إنجي فتاة رائعة الجمال من أسرة موسرة تعمل في الإستيراد والتصدير . للأسرة أصول تركية وترتبط بالأسرة العلوية بروابط نسب . درست الإعلام والصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة . حظيت مبادئ تمتع المرأة بالحرية والمساواة بالرجل التي درستها في الجامعة بإعجابها ولكنها رفضت اعتبارها الصواب الذي ينبغي تطبيقه على إطلاقه دون مراعاة للأعراف والتقاليد والموروثات الراسخة وتعاليم الدين الإسلامي والدين المسيحي في مجتمع يسيطر عليه إلى حد كبير أسطورة سي السيد الوهمية . فهي تكرر على مسمع من الجميع أن التحرر غير المنضبط في السياسة يسفر عن الفوضى ويسفر في العلاقات بين الرجل والمرأة عن بوهيمية تتعارض مع الفطرة السوية المستقيمة التي فطر الله الانسان عليها .

فشلت في تجربتين لم تكلل أي منهما بالنجاح . كانت في الفصل الدراسي الأخير حيث التقت محاضرا شابا من خارج الجامعة . كل ما يحيط به يوحى بمستقبل مرموق . ولكنها بعد التخرج تبين لها أنها أمام شخصية وصولية وأن جل اهتمامه صلات والدها وشقيقها بدوائر الأعمال وأنها لا تزيد عن وردة رائعة معلقة في زرار الجاكيت وأنه لا يطبق تحررها وتبسطها في تحركاتها الاجتماعية حتى ولو كانت منضبطة لأنه يعرضها لطمع الطامعين . خرجت من التجربة محبطة وربما محطمة .

سرعان ما تخلصت من توابع زلزال فشلها وإحباطها مبررة ما أصابها بصغر سنها ونقص خبرتها وظهور وجه جديد أدي دور المعجب بأفكارها وتحررها المنضبط بمهارة على نحو انجذبت له . كان يرافقها في حفلات

أعياد ميلاد صديقاتها ويراقصها ولا مانع أن يحتسي كوين من البيرة .
وعندما حاول أن يضع يده بين نهديها وهى تلبس ثوبا عاري الكتفين نهزته
بنظرة حاسمة وابتعدت عنه خطوتين إلى الوراء ورمقته بنظرة احتقار
وازدراء استعرضته من قمة رأسه إلى أخمص قدميه تبدد معها تأثير البيرة
التي لعبت برأسه وقال بصوت أقرب إلى الهمس معذرا بغباء :

- أحسست بلهيب وجتتيك وأنفاسك المتلاحقة .. وظننت أنك
ستكوني سعيدة .

- حيوان لم يتطور ليصبح انسانا .

وافترقا ولم يجرؤ على معاودة الاتصال بها وردت إليه شبكتها مع تمنيات
بالتوفيق . تجربتان أضاعتا من عمرها قرابة الستين . رافقت شقيقها وزوجته
في رحلتها إلى شرم الشيخ في أعقاب التخلص من الخطيب الثاني .
قال خالد وهو ينظر إليها مليا متأملا جماها ورقتها متسائلا بجديّة :

- غبت عني من ساعة ما خرجنا من السويت رويال .. رحتي فين ؟
- ولا حاجة .

- إحنا عاوزين نبتدي صح .

- يعني أنت عاوز أيه ؟ نقلّب في الماضي يقلقك ويقلقني .. واللا
صفحة اتقلبت ونبتدي صفحة جديدة ومن أول السطر .

- يعني إحنا أولاد النهاردة يا إنجي ..

- ممكن على أساس لا أنا ولا أنتي كنا مرتبطين وبالتالي ماكنش في أية
التزامات .

- ممكن يا إنجي بس إنتي غيرتي من البنت الإيطالية لمجرد أنني كنت
أتأملها للكتابة عن المعرض .

- خفت عليك

- نمر علي صفحات الماضي مرور الكرام دون التدقيق في التفاصيل .. كل واحد تفاصيل حياته ملكه.. حتى لا تدهمنا المفاجآت .

- حياة الفرد يا خالد .. زى اللوحة اللاتشخيصية مخفية التفاصيل على المتلقي إلا القليل وغنية بتفاصيلها بالنسبة للفنان صاحب اللوحة...

- فعلا قال كدة أحمد.

كان كل منهما يخشى أن يكشف الآخر بجانب من حياته فلا يشع منهم الباحث عن التفاصيل ولا يروي ظمأ العطشان الراغب في الارتواء.

أما الثنائي عمر وأشجان فقد تخطيا مرحلة التعرف على ملامح شخصية بعضهما. كان عمر خلال الأيام القليلة حريصا عليها وعلى مشاعرهما كانت الحلم الذي تمنى أن يراه في دنيا الواقع فوجده. كانت في ذاكرته غبأة فانكشف الغطاء برويتها ولم يعد بحاجة إلى البحث والتنقيب. هي الصغيرة التي كان يهفو إليها ويندفع ويربت عليها ويقول: أبوس النونو". أطفال لم تلوثهم مغريات الحياة وأطعمها ولماذا أشجان دون غيره من سائر أطفال الدنيا كان يهفو إليها الطفل عمر. سؤال ظل يطرحه على نفسه منذ أن روي والده المهندس فتحي هذه القصة وهم في تمشية في صحبة البحر.

لم تشأ أشجان أن تنقب عمّ وراء عمر. فهو واضح أمامها تماما وضوح الشمس وسط النهار. سلوكياته تنم عن بيت طيب نبيل فواحة بالعراقة والأصالة.. هو أقرب عندها إلي فرسان العصور الوسطى الذين قرأت عنهم في روائع القصص العالمي أو إلي أبناء البلد المصريين الذين تقرأ النبيل على

جباههم وتلمس الرجولة في تصرفاتهم وأعمالهم.. وهل تنشذ الفتاة في حببيها من الصفات أكثر من هذا ؟

سألته وهو ممسك بيدها وهما يسيران في موكب الحب :

- فيما تفكر ؟

- أجبها فوراً دون أدنى تفكير

- فيكي

- في !

- كنت أفكر فيما قاله بابا أبوس النونو

باغتته متسائلة :

- كم مرة قبلت فيها البنات ؟

- بنات ؟

- أيوه.

- عاوزة إجابة تصدقيها واللا عاوزة الحقيقة.

- الحقيقة .

- بنت واحدة . ملكت علي حياتي . تخيلي اختصرت كل البنات إللي عرفتهم فيها .

- مين البنت ده يا عمر ؟

- انتي يا أشجان .. أنا محوشلك كل الشوق إللي في الدنيا علشانك .

- عاوزني أصدقك ؟

- أنا لا أكذب .

- بس من حقت أن تتجمل .

- ليه ؟

- عشان أرضيكي...!!
- ممكن.
- أتجمل فأكذب .. أنا لا أخاف إلا الله. ما أقدرش أعتدي على حق مش حقي.
- توقف عن السير وترك يدها وسبقها بخطوتين واستدار يواجهها وقبل أن ينطق بكلمة سألته كمن تعاتب نفسها وتنشد منه السماح :
- زعلت مني ؟
- أنا ؟ .. ليه ؟
- سيبت إيدي.
- عندي سؤال وعاوز أشوف الإجابة في عنيكى.
- ممكن أجاب ؟
- هو أنا سألت عشان تجاوبى ؟
- تمام زي ما تتوقع أسئلة الإمتحانات ..
- التوقعات صحيحة للمذاكر كويس
- هو أنت عندك شك ؟
- لأ.
- ما حدش باسنى ولا لمسنى.
- توقع صح والإجابة أصح
- ليه صدقتنى ؟
- ماقدرش أكذبك.
- ليه ؟

- عشان النفوس الرقيقة والقلوب النقية ما تقدرش تكذب ..
عيونها تفضحها .

- تقصد الصب تفضحه عيونه ..

- العيون تكشف عما هو مخفي بداخل النفوس

- أكيد

توقف مرة أخرى وهو يواجهها وأمسك بيديها وأدار ظهره إلى البحر
وقال مداعبا :

- أنا ماسك إيديكي الاثنين عشان أعوضك عن الحبة اللي تركت
إيدك فيها .

- يا سلام !!

- في قصة طريقة بمناسبة مسك اليدين .

- خير يا عمر تعالوا يا شباب اسمعوا معانا حكاية عمر عاوز
يحكيها لنا كلنا .

روى عمر وهو يواجهه أمامه أشجان وعن يمينها خالد وإنجي وعن يسارها
ثرثيا وأحمد قصة خطرت على بال كل العاشقين بس نادرا ما حد سأل
السؤال الذي تدور القصة حواليه، ويمكن الأندر أن تكون الإجابة
صحيحة من باب التجمل :

- سأل حبيب حبيبته بعد أن قبلها لأول مرة : هل قبلك أحد قبلي ؟

سكتت وأطرقت رأسها واحمرت وجنتاها خجلا ..

فسألها الحبيب بعد طول انتظار : إيه زعلتي ؟

قالت : لأ .. بس كنت باعدهم .

ضحك الجميع وعلقت ثريا قائلة باندهاش :

- يا سلام !

وعقبت إنجي قائلة بجرأة :

- ده مهريه بوس .. الله يستر عليها ..

وطرحت أشجان سؤالاً منطقياً :

- عمر .. ألم تسأله هل فعل فعلتها ؟

وعلقت ثريا ضاحكة على سؤال أشجان :

- إيه يا أشجان حكاية فعل فعلتها ..

أحمر وجه أشجان ولم تعلق على تعقيب ثريا كما لم يتطرق أحمد ولا خالد إلى الموضوع لا من قريب ولا من بعيد إلى أن قالت إنجي بصراحة وقد تحركوا باتجاه الشط :

- الرجال في طبعهم الخيانة

أغضب خالد الاتهام وهو خارج من قصة خيانة دارين كما كانت عبارة إنجي انعكاساً لتجربتها مع ما كان يضمرة خطيبها الأخير. لم يكن أحمد معنياً بالأمر فلا هو خائن ولا يفكر في الخيانة أصلاً كما أنه مطمئن تماماً لثريا. أما عمر فترث في الإجابة مترقياً التعليقات والتعقيبات. ولم تشأ أي من الفتيات الثلاث أن تدلي برأيها تجنباً لجرح مشاعر حبيبها أو لعدم إقرار مبدأ خيانة الرجل فيكون ذريعة لخيانته في المستقبل. عقب خالد قائلاً :

- مش لازم يكون الرجل في طبعه الخيانة. وزى ما في رجل خاين في امرأة خائنة.

وحاولت إنجي تبرير خيانة الرجل قائلة :

- لو فعلها الرجل لا تظهر عليه علامات الحمل ..

ضحك الشباب على تبرير إنجي التي استرسلت قائلة :

- أما المرأة فعلامات الحمل ربما تدهمها إذا لم تأخذ حذرهما .
- رفضت أشجان وثرى هذا التبرير الذي طرحته إنجي . قالت أشجان معاتبة :
- خوف أيه يا إنجي .. خوف من الحمل .. ما هي حبوب منع الحمل
- وغيرها من الوسائل متاحة .. الخوف من الحمل آخر حاجة .. هي
- الفضيحة للعيلة شئ بسيط .. هي الفضيحة أمام الزوج شئ بسيط
- حتى لو ستر عليها .
- وأضافت ثريا قائلة بحزن :
- ترفع عينها إزاي في عين جوزها حتى ولو ستر عليها .. تعيش
- مكسورة العين ومحل شك دائم . مش الخوف من الحمل هو الرادع
- .. الوازع الديني وقيم البيت والمجتمع هي الرادع من الخيانة .
- وعقب عمر قائلا :
- الحوار خرج عن موضوع إن الخيانة طبع من طباع الرجل . ده
- تعميم ظالم . واللي قاله خالد أقرب إلى الحقيقة . بس أنا عاوز
- أفكركم إن الرجل عندما يخون بيعون مع امرأة . يعني قد بعض .
- واختتم أحمد الحوار قائلا :
- إللي قالته إنجي وثرى وأشجان بعض أسباب ردع الخيانة أو
- التفريط في النفس . بس في ملاحظة في بيوت للدعارة للنساء .
- ببساطة هن جاذبات للرجال إلى طريق الخيانة . وأدرك شهريار
- الصباح فسكت عن الكلام أمام البنات الملاح . والمعدة بتصوص من
- الجوع في هالصباح .

عندما شرعوا في العودة كان المهندس فتحي يقود مسيرة ثلاثية للتمشية في اتجاه البحر. صاحت أشجان مهللة لما تبينت أن أمها أحد أطراف المسيرة التي تتهاذى رويدا رويدا باتجاههم

- أمي خرجت إلي الدنيا لأول مرة منذ وفاة بابا الله يرحمه. ده معجزة..

اندفع الشباب وراء اندفاع أشجان المولعة بحب أمها. فتقارب الجمعان في نصف المسافة تقريبا. وحدثتها نفسها متسائلة باندهاش " أمي خرجت من شرنقة الحزن التي نسجتها حول نفسها .. معقولة.. معقولة !"

هل أدركت سوسن هانم أخيرا أن دائرة الحزن التي أحاطت بها نفسها لم تسفر عن شيء سوى الزل والانعزال.. وربما المرض؟ هل اقتنعت الآن ان إللي فات عمره ما يرجع ثاني؟ هل تيقنت ان حياتها مع زوجها الراحل المهندس صفوت برهام كانت حلما جميلا من الأوفق ان تحييه؟ أم أن فرحتها بسعادة ابتتها وأنها في طريقها لتسليمها لمن أحبته.. ولعائلة هي تعرف أصولها وجذورها هي التي أخرجتها مما كانت فيه.. ريبا.

قالت أشجان معربة عن سعادتها الغامرة بعد أن قبلت أميرة هانم والمهندس فتحي واحتضنت أمها :

- خرجتي يا أمي .. أنا فرحانه

- كان لازم أخرج يا نور عيني أشاركك فرحتك.. والبركة في أميرة هانم والبأشمهندس فتحي. هو إللي قال لي تعالي نشوف بعيننا فرحة الأولاد.

وقالت أميرة هانم :

- ما هو ده اليوم إللي بتتمناه كل أم من لحظة ما ربنا ينعم عليها بالأمومة..عقبالكم يا بنات .
- وأضاف المهندس فتحي قائلا :
- يوم بنستاه بفارغ الصبر ونعمله ألف حساب ..نتعب ونشقي وندبر عشان فرحتكم..
- وعلقت إنجي بمودة :
- ربنا يخليكم ويقدرنا نفرحكم.. أونكل ماهو بعد كده الدور حيقى علينا ..نتعب ونشقي وندبر عشان نفرحكم..
- عادوا جميعا إلى السويت رويال..عمر لم ينس زملاءه ..لم يغفل عنهم كان متشاغلا مع أشجان والرفاق ولكنه ربما كان واقفا على الشط لترقب وصول الرفاق. كان يشرد بين الحين والحين مع جورج ومجدي وإبراهيم وعبد الفتاح. رفاق جمعهم الوفاء ولم يفرقهم اختلاف الدين..فالبحر لا يعرف الفرقة والسماك عندما ترمي الخيط في البحر لا يسأل عن الإسم ولا عن الدين ولا الجنسية.صحبة البحر لا تعرف إلا الألفة. جورج ملك النكت الطريفة والغلاسه.. مجدي الأناقة والثراء.. إبراهيم القوة والعضلات.. وعبدالفتاح العامل المساعد الذي يدخل بين المتخاصمين في الرأي فييسر الأمور بينهم ويخرج كل واحد منهم من الخصومة سعيداً بما وصل إليه...
- أحمد ابن عم عمر نائب القبطان. عمر أطلقت المجموعة عليه القبطان لشخصيته الصارمة في البحر. وصلوا جميعا إلى السويت رويال ولكن عمر كان بالتأكيد قد وصل إلى الشط بخياله . سمع صوتا يناديه ظنه قادما من بعيد فأفاقه من غفوته متفضا :
- في أيه يا أشجان ؟

- أنت إللي في أيه يا عمر ؟ إحنا وصلنا السويد .

عاود عمر الاتصال باللجنة المنظمة لمسابقة الصيد للاطمئنان على زملائه فعرف بوصولهم بعد عملية انتشار قامت بها طائرة إنقاذ هليكوبتر حيث تعذر خروج لنشات الإنقاذ. وعلم أنهم في المستشفى للنقاهاة من الصدمة. وأنهم يتعافون بسرعة بفضل خفة دم جورج. عمال يغنيلهم : صياد ورحت اصطاد صادوني..رميت سنارتي وغمزت ..وشدتنني سمكة وفي المية رموني..ما دريت ده سمكة واللاجنية ..لحد ما جم الأبطال وخدوني.

دخل عمر وأشجان قاعة الطعام فوجدا الأسر الثلاث حول مائدة واحدة. انضما إلي المائدة وجلسا متجاورين. كانت تريد أن تقول شيئا لعمر ولكن خطوط الاتصال انقطعت منذ أن اخبرته لو يعرف إللي في قلبها. سألته همسا

- مش عاوز تعرف إللي في قلبي ؟

- لأ .

- ليه ؟

- عندي منه كثير .

- مش قدي ؟

- مين إللي قال ؟ ما هو للشوق ميناء ترسى عنده قلوب العاشقين .



العلم

تناول عمر وأشجان الفطار في صمت ولحقا ببقية أفراد الأسرة لتناول القهوة والنسكافيه في ردهة السويت. انضمت إنجي لشقيقها وزوجته استعدادا للرحيل. وأكد خالد عليها بأنه سيكون على اتصال لتكملة المشوار. قالت سوسن هانم تكشف ما دار من حديث ودي بين الكبار بعد خروج الأولاد وهي منسرحة الصدر :

- يا أولادي تحدثت مع أميرة هانم والباشمهندس فتحي في المهر والشبكة والفرح ولقيت زي ما توقعت واتمنيت ناس الواحد يتمنى يناسبهم.

تسائلت أشجان مازحة :

- بعيني يا أمي على كام ؟

رد المهندس فتحي قائلا :

- وأنا شاري يا بنتي زي ما تؤمري وزيادة كمان .

ونظرت أشجان إلى عمر وقالت :

- هيه مالکش قول كمان؟

- قولي قول بابا وفوقه عمري وروحي كمان.

وتدخلت سوسن هانم وتساءلت باندهاش :

- عايزة آيه يا بنتي ما تحيريناش ؟

- حلم يا أمي شوفته على وش الفجر ونفسي أحققه

- خير يا بنتي إن شاء الله.. حلم آيه يا أشجان ؟

بدت الدهشة على وجوه الجميع ولاسيما عمر. قالت أشجان :

- مهري على قد مقدرة عمر وسأضيف إليه مبلغا يساويه ..

أبدى المهندس فتحي تساؤله باستغراب قائلا :

- إحنا يا بنتي تحت أمرك وانتى غالية عندنا فوق ما تتصوري

وأضافت أميرة هانم قائلة دون تردد :

- عروستنا تؤمر واحنا ننفذ بإذن الله

قالت أشجان :

- شفت طيف قاللي مهرک يابنتي حنحطي قده مما أعطاكى الله

تفرحى به عشر عرايس من غير القادرات على شراء الجهاز ..

تقسمى مهرک ومثله بالتساوى بينهن. تستريهم ربنا يستر عليكى.

واسترسلت قائلة وسط دهشة الجميع :

- ليس لي طلب .. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..

وتابعت كلامها وقد غلبتها الدموع :

- ربنا أكرمنى بعمر حبیبى وطنط أميرة وأونكل فتحي وخالد وثرى

إخوات لیه... بعد ما كانت عيلتي ماما وأنا بقت عيلتي عيلة كبيرة

قوي .. ده ما يساويش على الأقل أن أرد الله بعضا مما أعطاني .

سكتت وهي تسبح بحمد الله بيا أفاء عليها من نعمة الرضاء والحمد وقد

فغرفاه الجميع دهشة إلا أمها فهي لا تماريها فيما روت. فالتجربة مع أشجان

اثبتت لها صدق ما تري. عادت بها الأيام قبل وفاة زوجها وقبل أن يصاب

بمرضه الأخير...

استيقظت من النوم تبكي.. فلما سألتها عن سبب بكائها قالت لها وهي

تجهش بالبكاء.. أيام بابا في الدنيا معدودة .. استنكرت ما قالته أشجان ..

وقالت رأيت بابا في الحلم يمسك بسبحة وقبل أن يتم تسبيح الحبات كلها

سقطت السبحة من يده ولم يبق منها سوى عشر حبات. ولقي أبوها ربه بعد عشرة أيام.

خرجت سوسن هانم عن صمتها وقالت وسط المزيد من الدهشة :

- من فضلكم لا تجادلونها فيما رأت. أحننا راضيين بأي مهر . حلم

بنتي بإذن الله سيتحقق. لما مهر بنتي يعادل سعادة عشر أسر ضاقت

بهم سبل الحياة. ده مهر كبير قوي.

عقب المهندس فتحى وقد أسقط في يده :

- أنا كان في دماغي رقم لمهر أشجان بس مش عارف أقول أیه .

من فضلك يا أونكل لا تكلف نفسك أكثر مما تستطيع ..

قال مترددا:

- مائة ألف جنيه

- كثير

- 150 ألف جنيه

- كثير قوي

وأضافت أميرة هانم :

- وخمسين ألف جنيه مني أنا كمان .

وأراد أن يضيف عمر ولكن أشجان وضعت كفها على فمه وقالت :

- أیه كفاية ! ده كثير عليّ . والله ده كثير قوي.

شكرتهم سوسن هانم وأشجان علي كرمهم. ولكن ظل موقف أشجان محلا

للتساؤل. عمر فاجأته بما قالت في ظنه ولكنها لما سأله عما يجيش بقلبها سار

الحوار في مسار آخر. عمر إن كان قد فوجئ إلا أنه يعرف أن نفسها تعشق

عمل الخير وتفعله.

ثريا ساءلت نفسها ألا تريد أشجان المزيد من الماس وغيره من زينة الدنيا وهي صغيرة وجميلة ؟ لا تريد...ربما لأنها لا تريد المزيد..وربما لأنها تطمع في المزيد من كرم الله.

أحمد رأي فيما قالت أشجان ما يدعو للإعجاب..هي عنده تقول لنا بأعلى صوتها : أحسن الله عليها بالحبيب الذي تتمناه أليس جزاء الإحسان إلا الإحسان. أشجان تقول لنا أنعم الله عليها بنصيبها من الدنيا وهي تطبق قول الله عز وجل : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك." وها هي تحسن كما أحسن الله إليها.

خالد رأى فيها شخصية تحتاج للدراسة . رغم وفاة والدها وهي لم تتجاوز سن الرشد فإنها لم تحقد على الدنيا وأقبلت عليها بنفس راضية بقضاء الله.فهي وإن رأت في وفاة والدها رحمة له لم ترفيه شقاءها. شقاؤها يمكنها تحمله أما آلام أبيها فلا قبل لها بها ولا طاقة لها على تحملها.

خرجت أشجان بصحبة عمر وسارا يصاحبهما صمت المتأمل.لم تنس أشجان الحلم ولم ينس عمر حلم أشجان ولا رفاقه في المستشفى للنقاة نفسيا مما شاهدوه في البحر.قبل أن يركبا السيارة لحق بهم أحد أفراد خدمة العملاء وأخبرهما بأن رفاق الباشمهندس عمر رجعوا السويت من حوالي ربع الساعة. عادا بسرعة إلى السويت .أشجان تلاحقه بصعوبة . سمعا من خارج الباب جورج يهددهم بفضائحهم أمام الأمواج العاتية والرياح العاصفة. طرق عمر الباب فنزل عليهم سهم الله .وتباكوا جميعا وقالوا: "سيبتنا للبحر والموج والموت ليه يا قبطان . " تطلع فيهم بحزم وقال :

- لا تنسوا أنفسكم .. الأنسة أشجان معايا. احكي لي إللي جري يا عبد الفتاح .

- طلعنا المركب وعليها الشمس شديدة بس هواء البحر يبردها.
ولما اختفي الشط وعمليات الصيد شغالة زى الفل وكنا بنرمي
الصيد في التلاجة وعمالين نغني والشمس غابت وتعبنا من صيد
العصاري.

وأضاف إبراهيم :

- الحقيقة على المغرب بدأت تداهمنا بعض الأمواج . كنا بنتغدى
سمك مشوي . والموجة الخفيفة بقت عاملة زي الجبال السائرة
طلعت على سطح المركب قابلتني موجة فاتحه بقها قبل ما تقلب
وعاوزه تاخدي لجوف البحر. مسكت في درايزين السلم بكل قوتي
لا أنا عارف الموجة بلتني واللا أنا إللي تبولت على نفسي.

وعقب جورج قائلا وهو يضحك ساخرا :

- يا ريتها رسيت على كده. لا يا قبطان كان في حاجات بيزحلق فيها
..قَالَ لَنَا طَحَالِب. بس لما غير هدومه عرفنا الحقيقة. لا تقولي في
البحر فتونة وعضلات.

سادت فترة من التعليقات الساخرة على إبراهيم العضلات انتهت بتحذير
جورج قائلا :

- دِيَّتْكَ شوية موج وتبان لبِتْكَ.

واستفسر القبطان (عمر) عن أحوال مجدي رجل الأناقة والكياسة. لاحظ
عمر إنطوائه وعدم مشاركته في الحوار. قال مجدي بعد أن أخرج من جيب
التي شيرت T shirt الفيروزي مشطا يساوي به شعره الخشن المكتكت
في محاولة لأن يوقف سخرية جورج :

- قلت أبص علي إبراهيم أبو العضلات أطمئن عليه لقيته ماسك في درابزين السلم بإيديه وسنانه مش عاوز يسييه. البحر هايج والريح عاصف والموج عالي والمركب بقى زى لعبة الأطفال تقذف بها العاصفة كيفما تشاء. ريس المركب والبحارة يصارعون الأمواج. كان مضايقني رذاذ مية الأمواج يرزق في وجهي فينكشلي شعري واضطر أسيب ايدي اليمين واطلع المشط من جيبي واسرح شعري.

قاطعہ القبطان بدہشہ :

- هو ده وقته يا مجدي !

لم يمہلہ فرصۃ الرد وأجاب جورج ساخرا :

- يعني يا قبطان عاوزہ يموت غرقان وکمان شعرہ منکوش !

وبعدین يا مجدي :

- أبدا يا قبطان فضل الهواء ورذاذ الموج ينعکش شعري وأنا أسرحه لحد لما الموج خطف المشط. بس البحر کان هدي شویۃ أثاریه کان بياخذ نفسه لجولة تانية. قلت ما بدهاش دخلت تاني قاع المركب. لقيت الشجعان دول في حالة ما يعلم بيها إلا الرب..

- وانت يا عبدالفتاح يا ملك التساهيل والتسهيلات أيہ قولک ؟

- رکت البحر کثیر بس ماشوفتش إلی شوفته الیومین إلی فاتوا .. دايا يا قبطان لما بتفقل بتلاقي بصيص نور في الأفق ... ضلمة .. ضلمة كحل لا شایفین سما ولا أرض. یومین بلالیهم علی الحال ده. بدأ الیأس یتمکن منا. اهتزت المركب بعنف ومع رجتها صوت ماکیته المركب توقف ومعاه قلوبنا توقفت. ما تعرفش

موتور المركب استسلم للموج واللا طقم بحارة المركب سلموا
النمر واستسلموا.

توقف عبدالفتاح عن الكلام ليلتقط أنفاسه وسط متابعة باهتمام من عمر
وأشجان :

- جورج ومجدي ما بطلوش صلاه وأنا وإبراهيم ما بطلناش قراءة
قرآن. البحر هاج ونفسه اتفتحت وعاوز ييلع المركب في جوفه.
وأخيرا سمعنا دبدبة على ظهر المركب. شفنا الريس شاهين وطقم
البحارة المعاوين عمالين يلوحوا بملابسهم لطائرة استغاثة وبعدين
الريس شاهين أطلق طلقة استغاثة جليجلت في الفضاء وأنارت
الأمل. دارت بعدها الطائرة وأنزلت سلما من الحبال .

سكت عبدالفتاح وقال وقد شدته الأحداث بعنف وراودهم الأمل من
جديد :

- أيوه ..فضل السلم يتمرجح في الهواء يقرب مننا والحياة ترد فينا
ويهرب من إيدينا والموت يقرب علينا. السلم ده كان سلم الحياة
والموت.وتمكنا بصعوبة من التقاطه .وصعدنا عليه بخفة
ورشاقة.ولا بتوع السيرك. حلاوة الروح يا قبطان... ده حلاوة
الروح يا قبطان...

لم تنطق أشجان كلمة واحدة وقالت في النهاية :

- وده كله بكام ؟

أجابها جورج بمتهى البساطة :

- المغامرة.

- المغامرة !!...لأده مقامرة .

وعقب عبدالفتاح قائلا :

- لو ما قربتيش من الموت مش حتعرفي قيمة الحياة.

وعلقت أشجان وهي في طريقها للعودة :

- جايز ! عمر شوف من فضلك كل طلبات الشباب من خدمة

العملاء..وأنا منتظرة في الريسبشن..حمدا لله على سلامتكم.

عادت أشجان إلى الريسبشن وهي حائرة في أمر هذا الشباب المغامر الذي يسير بالمغامرة إلى حافة الهاوية . المسألة في منتهى البساطة.ولو قلت لهم لتكن مغامرة محسوبة لقالوا لك أذا هي ليست مغامرة.وقفزت إلى ذهنها صورة متسلقي الهرم الأكبر والمنافسة على سرعة الصعود والهبوط كأنهم يتسابقون عدوا في مضمار ألعاب القوى.

لم يتأخر عمر عليها كثيرا وملأت ناظرها منه وهو مقبل عليها ..حدثتها نفسها قائلة : " تذوب الكلمات في بحر الشوق إليك..ترسل برقيات حنين للحبيب فأين أنا منك. " قالت وقد أقبل إليها مبتسما :

- مستعد تسمع بقية الحلم ؟

- ياريت .

- صلي على النبي

- اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد

- سألني الهاتف إلي زارني في الحلم عايزة تشوفي فرحك يا بنت

سوسن .. ما نطقتش بكلمة.وأطرقت برأسي موافقة..لقيت قدامي

بيت جميل ..متعلقة على واجهته الأنوار نور وزغاريد ما تقولش

بلايل صداحة ..لأ صوت.. صوت كروان ييغرد.. بيزغرد وكل

المعازيم بيزغردوا.. ومتشدين بينشدوا أسماء الله الحسني..وأمامهم

فرقة التنورة بيرقصوا رقصة التنورة .. لقيت نفسي ماشية جانبك
 لابسة فستان أبيض ديله طويل.. صبايا العيلتين شايلين ديل
 الفستان ويبحلموا بليلة فرحهم كمان .. والطرحه طويلة
 طايره.. فوق في الهوي واخذاني فووووق... فوق السحاب
 .والزغاريد والمدعويين بيصقفوا ويرموا علينا الورد والفل
 والياسمين والبنات الصغيرين لابسين فساتين التل البيضة والأولاد
 لابسين بدل سموكنج وبيونة حمرة وكل ولد ماسك في إيدة قرنفة
 بيضة.. ماشين حوالينا.. البيت بيتنا والجنينة جنينتا.. وبالفرحة
 والحب سعتنا وسعت حباينا رميت بوكيه الورد وظهري للبنات
 إلي على وش جواز.. طار البوكيه لفوق ونزل في حضن إنجي..
 تورتننا أدوار أدوار .. حطيت إيدك على إيدي إلى ماسكة السكين
 وقطعنا قطعة وأكلتني قطعة بشوكتك والناس فرحانة .حوالين
 البيت موائد الرحمن حافلة بما لذ وطاب .. ركبنا العربية وخذتنا
 للفندق ..

سكتت أشجان وعمر عايش في الحلم هيان .. لم يدرك أن أشجان توقفت
 عن الكلام إلا بعد لحظات. سألها متشوقا :

- وبعدين
- وبعدين أيه ؟
- حصل أيه في الفندق ؟
- إللي حصل في الفندق ح تعرفه وانت في العلم مش في الحلم



كشف المستور

عاد د. هاني من شرم الشيخ تتنازعه أفكار متباينة. تضخم لديه الشعور بالتقصير في حق مرام . يخفي العلاقة بينهما كأنها جريمة وما هي بجريمة . يخشى الظهور معها في الأماكن العامة مخافة كشف المستور . يرتبك لمجرد تخيله أن رآه أحد معارفه معها كأنها عار.. وما هي بعار . يغير الفنادق التي ينزل فيها سويا مخافة أن يربط أحد من تكرار ظهورهما سويا . يدخل بيته وعلى زوجته أم أولاده قلقا في كل مرة عائدا من رحلته الأسبوعية للمحافظات للترويج لمنتجات الشركة التي يعمل بها من أن يكون أمره قد انكشف ويعد مسبقا ما سوف يقوله دفاعا باطلا مزيفا هو مقتنع بحقه فيما يفعل رضي من رضى ورفض من رفض. هذا شأن يعنيه ولا لأحد دخل فيه. بدأ يزعجه مجرد التفكير في الأسباب والأكاذيب الملفقة التي سيبيدها مثله مثل التلميذ الخائب الذي يختلق المبررات لعدم أداء الواجب. وهل هذا جائز وهو أب وجد؟ تراوده أسئلة مرهقة كلما أشرف على دخول بيته : ما هي كذبة اليوم؟ وهل هي مقبولة أو معقولة؟ يخاف د. هاني من أن يدخل الشك بيته فيخرج منه الحب والسكينة والمودة. دلال زوجته أم أولاده طيبة حنونة ملأت عليه دنياه ومازالت . هل تتحمل صدمة الزوجة الثانية وهي الزوجة العاقلة المطمئنة التي لا يخالجها أدنى شك؟

دخل البيت متعبا مرهقا فوجد العائلة كلها في انتظاره زوجته دلال ومها وزوجها العقيد كامل شهاب وإماني وزوجها المهندس شامل عبدالغفار وابنه حسام. قوبل بالترحيب غير المعتاد بسلامته من سفيرة شرم الشيخ وما

صاحبها من مشكلات . تناولت العائلة الغداء وأكلوا الفاكهة وبدأوا يشربون الشاي في الأنتريه .

قالت دلال :

- الحقيقة هاني عنده حاجة على طرف لسانه عاوزيقولها يمكن من شهرين ... ثلاثة .. يمكن أكثر. بس هو مش عارف منين بيتندي الحكاية.

تساءل د. هاني باستغراب :

- في أيه يا دلال ؟

- مش خير ؟

- طيب لما هو مش خير.. يبقى ده مش وقته.. مش كده برضه ؟

- أنا عاوزه الكل يسمع الحكاية ؟

- مين الكل إللي عاوزاهم يسمعوا الحكاية ؟

- كل الحاضرين

تفرس د. هاني في وجهها وهو يعرف كل ملامحه وقسماته وقال بجدية :

- كل الحاضرين يا دلال ؟ ! يا سلام ! كده تبقى ده حكاية عموم

العائلة.

- انت عارف وأنا متأكدة إنك عارف إني عارفة

ضحك الجميع وقالت أمانى وهي تغالب ضحكها .

- أيه الحكاية يا ماما ؟

وتساءلت مها باندهاش :

- في أيه يا ماما ؟ كلام غريب ... انت عارف وأنا عارفه وأكيد إحنا

مش عارفين مش كده واللا أيه .

قالت دلال بأسي له رصيد ضخم تحتفظ به في داخلها :
- كل واحدة منكم عايشه حياتها ومش حاسة باللي أنا فيه . عشت
حياتي لكم أخدمكم وأخدم أبوكم وساكنته . إللي ما في واحدة منكم
سألتنى عن أحوالي ؟ عاوزة حاجة ؟ أبدا .. دايا مستنيين الشمعة
تحترق عشان تنور طريقكم .

وأردفت متسائلة وهي تبكي :
- أنا فين من ده كله . صفر . أنا الحصان إللي بيجر العربية طول
النهار . إللي ما في واحد ينكسف على دمه ويقول أحط إيدي على
إيدها نجر العربية سوا .
تساءلت مها بحسن نية :

- في أيه يا ماما ؟ لازم في جديد ؟ ما هي ده الأم المصرية واحنا في
الطابور بس إحنا في أول الطابور . المسألة .. مسألة وقت لا أكثر ولا
أقل .

اقترب حسام من أمه وأخذ يربت على كتفها وقال :
- طول عمرنا بتقول ماما شمعة البيت المنورة وبابا هو إللي بيداري
عليها .

عقب د . هاني متغافلا شكوى دلال فلربما زوبعة في فنجان وحتى إن كانت
قد كشفت المستور فلا داعي على الأقل أن يكون على الملأ :

- الأولاد زعلانين ومنزعجين هو في أيه ؟ حتى لو في حاجة
مزعلاكي .. مش ده وقته وأنا راجع تعبان .. بعدين .. بعدين .

سكت وقال بحسم :

- خلاص غدا وتغديته .. وحلو وحليته .. وسلام وسلمتم ..
اتفصلوا من غير مطرود. كل واحد ياخذ مراته في إيدته ... بيتك ..
بيتك .. دلال تعبان وأبوكم عاوز يستريح.
أرادت دلال أن تتكلم ولكنه قاطعها بحسم قائلاً :
- أنا تعبان عاوز أستريح .. أنا تعبان عاوز أستريح .

خرجت مها وزوجها العقيد كامل شهاب وأمانى وزوجها المهندس شامل
عبد الغفار وابنه حسام من الغرفة وهم حيارى. ما حدث ليس هو المهم وإنما
ما سوف يحدث هو الأهم . تساءل العقيد كامل شهاب يحدث نفسه عم
كانت تريد دلال هانم من زوجها د. هاني أن يصرح به وتغافل عنه بذريعة
التعب. حدثته نفسه قائلة : ماذا الذي تعرفه دلال هانم عن زوجها ولا
نعرفه. دكتور هاني رمز للزوج الصالح المنضبط .. وده شخصيته التي
أعرفها ولم يطرأ أو يظهر عليها ما يدعوه لتغيير رأيه. على أي حال تايهة
وحنلاقيها.

أما مها فقد أعيأها التفكير ولم تجد سبباً يجعل أمها دلال هانم تتصرف
بالشكل إلي عملته .. هي بس شككتنا في بابا. هو ده كل إلي عملته . طيب
في أيه ؟ أيه إلي جرى ؟ الله أعلم. وهاتفتها نفسها قائلة : بابا في العمر ده
والعشرة الطيبة لا يمكن يعمل شئ يغضبها .. معقووول ده! لأ.. مش
معقول أبدا.

التمت أمانى الصمت . ورأت فيما حدث ما يشبه لوحة سيرالية غامضة لا
يفصح عن دلائلها إلا الفنان الذي شكلها. ماما بتقول كلام .. وبابا قفل
الكلام. شغلها للحظات شاة زوجها المهندس شامل إلي حسدهم . أم

كل الرجال خائنين .. بابا ؟ !! لأ والف لأ . بابا يبحب ماما ومش ممكن يعمل حاجة تزعلها .. يجنون ؟ لأ .. لأ .. مش معقول !

أما المهندس شامل فقد شغله محاولة د. هاني إغلاق ملف أرادت دلال هانم فتحه ولكنه أغلقه مستخدماً حقوق السيادة في البيت . بس .. على مين ؟ بكرة نطلع ع الحيطه ونسمع الزيتة . اتصل بالموبايل بالعقيد كامل شهاب لعل يكون عنده معلومة أو خبرا . رد عليه كامل بشئ من الغلظة :

- يا أخي ما أنت عارف مشواري طويل في المهندسين وأنا سايق

- وأنت ما تحبش حد يكلمك في الموبايل وأنت سايق

- الله ينور يا شامل . ما أنت شامل من كله . باي .

بدا حب الاستطلاع يحركه وإن التزم الصمت مبدئياً وأبدى عدم اكتراث . سألته أماني وهي تنزل من السيارة بعد فترة صمت مريب امتد على طول المسافة من مصر الجديدة إلى مدينة الرحاب .

- مش غريب صمتك المريب ده ؟

أجاب المهندس شامل باقتضاب :

- لأ .

- مش عوايدك .

- يعني اتهام بالباطل . إن سِكت .. سِكتَ ليه . وإن اتكلمت .. أنت

بتفتري عليه !

واستدركت متسائلة باندهاش :

- الله .. الله . هو أنت خاليت فيها اتهام ؟

رد عليها بإيجاز :

- لأ . دلال هانم هي إللي خاليت فيها اتهام .

- صدقتي، ما هو انت كدة ما تصدق تلاقي جنازة وتشبع فيها لطم. عادتك واللا تعودتها.. ما أنت طول عمرك عايش بيها
- بلاش الكلام إللي مالوش لازمة.. خالينا في المفيد.. كلمي ماما دلال هانم واعرني منها الحكاية... وأنا وأعوذ بالله من شر كلمة أنا... أنا إللي ح أجيب لها تفاصيل التفاصيل المملة... بس..
- بس أيه؟ ما تبسس.
- هاتيلي أول الخيط وأنا بعون الله أكر البكرة كلها لدلال هانم
- وده باسم الحب.. واللا باسم خراب البيت؟
- لا ده ولا ده.. يا أمانى... ده باسم الحقيقة. ما هو إنتي عارفة وإنتي ست العارفين.. لا يصح إلا الصحيح.
- لم يتوقف عقل العقيد كامل شهاب عن التفكير طوال رحلة عودته إلى المهندسين من مصر الجديدة. فيما دار في بيت حماء د. هاني. ظل يقلب ما أتيح من معلومات بترها د. هاني متعمدا. قالت زوجته مها بعد أن عادا إلى البيت وغيرا ملابسهما استعدادا للنوم:
- مشوار طويل وولاد إللي ما يتسموا قاطعينه شوية عيال لا فاهمين شرعية ولا خريطة الطريق ولا أي حاجة. مش عارفه ليه الدولة ما تلمهوش ونخلص من الموال ده؟
- من جهة إنهم شوية عيال فهم شوية عيال فعلا.. مغيبين. هم بيحاولوا إشعال حالة من العنف والإصابات للمتاجرة بها وعرضها أمام المجتمع الدولي وإثارة الرأي العام.
- بس السلطات البريطانية نجحت في التعامل مع ظاهرة الإرهاب لأنها فهمت من البداية أن القضاء عليها يحتاج إلى محاصرة كاملة

لمتابع الإجرام بالتحرك في اتجاهين الأول سرعة القبض على المتورطين وتقديمهم للمحاكمة ومعاقبتهم، والثاني مطاردة كل المشتبه فيهم والذين يتشرون في المدن البريطانية والقبض عليهم، وده إللي خللى الشارع البريطانى ينعم الآن بالأمن والاستقرار.

واستدركت قائلة بجدية :

- إنجلترا استخدمت القوة المفرطة في فض المظاهرات لأنها وازنت بين مصالح الغالبية العظمى للشعب وبين شرذمة مارقة تخالف القانون ولا همها حقوق انسان ولا غيره عشان أمن إنجلترا القومي والسلم الاجتماعي يعلو فوق كل اعتبار .وسلملي على حقوق الانسان.وهي حقوق الانسان بنفكرها بس للمعتدين إللي حطوا أنفسهم في موضع الشبهات. فين حقوق الانسان للأغلبية العظمي إللي بتعيش القلق والخوف ؟

- ما تنسيش يا مها ده انجلترا. مين إللي حيراجعها ؟
- العالم كله عاتبها.. و نسى الصراخ والشجب والشعب البريطاني ينعم بالاستقرار .إحنا عاوزين رئيس وزارة يضع الشعب المصري وأمنه القومي فوق كل اعتبار ..ساعتها بس العالم حيشوف الشعب العظيم ده حيعمل أيه.

- واضح يا مها حاجة من إثنين يا إنت مش مهتمة بحديث العشاء إللي كان في بيت بابا أو بتجاهلية لأن الكلام فيه سابق لأوانه .

- وانت رأيك أبه ؟

- تصبحي على خير.

لم يكن د. هاني راغبا في التحدث في أي موضوع يعكر صفو مزاجه بعد اسبوع قضاه مع مرام حلم شبابه وأنيس أحلامه. تجددت في عروقه دماء الشباب وذكريات لم تغادر مخيلته أبدا. كيف ينسى ما فات ونعيمه وهو كل عمره إن كان قد عاش فهو لا يعرف أياما من عمره سوي أيام مرام وإن قَلَّت. ما رضى أبدا بفرمان الباشا والدها .. صحيح حرمه من القرب منها ولكنه لا يملك لا فرمانا ولا قوة تباعد بين خياله وقربها. فقلبه عاش في هواها فهي نديم عمره وطيف ليله ونسمة صباحه وإشراقة نور يومه. كان يبحر معها في هواها في خلوته وعاش حياته يترقب لقاءها.

وعلى الجانب الآخر من السرير كانت دلال تحمل عبئا ثقيلا منذ فترة غير بعيدة . رزح العبء شكّا رفضته أو على الأقل رفضت أن تصدقه أو ترضى أو تقبل مضمونه على نفسها ... فتصديقه يعني فشلها في احتواء زوجها والمحافضة عليه ويعني لها فيما يعني انتصار حواء أخرى بالظفر بوليفها .. زوجها والد ابنائها وهذا أمر دونه خرط القتاد (شجر كثير الشوك) . عقدت عزمها على المواجهة وهي تعلم أن المواجهة قد تكلفها هدم المعبد الذي شيدته حجرا حجرا .. بل حملت أحجاره وصَفَّتْها إلى جوار بعضها بعضا لتقيم عشها كالطيور أو تقيم قلعتها كالقائد المغوار أو لتشيد معبدها لتتعبد فيه مع زوجها وأولادهما دونها شريك. بكت كما لم تبك امرأة .. كان د. هاني حبها الأول والأخير .. وتوسمت فيه ما يجعله أهلا لهذا الحب . أفنت نفسها له ولأولادهما وكرست حياتها لهم ... فهم الحلم والحقيقة في آن واحد. رأت في أحلامهم أحلامها. تسعد بقربهم وتشقى في بعدهم وتبكي لأحزانهم وتفرح لفرحهم. كانوا دنياها فكرهتها... أصبحوا الجرح الدامي الدائم.

ساءلت نفسها وهي إلى جواره في الفراش وهو جرح أشد إيلا ما من
الجمر المشتعل: هل حياتي معه كانت أكذوبة كبرى.. خيانة
عظمى.. سيلاً منهمرا من الخداع ... معقولة طاوعته نفسه على
معاشرتي وهو يفكر في مرام.. آه وألف ألف آه منك أيها المخادع.
قال وقد أوشك النوم يداعب جفونه :

- تصبحي على خير يا ..

لم تمهله يكمل كلامه وقالت :

- تصبحي على خير يا مرام !

ثم استدركت قائلة وفي قلبها غصة :

- أنت تجاورني جسد وروحك تعيش معها . يا أخي اتق الله فيمن
وهبتك حياتها حرة مختارة.

انتفض واقفا كأنها عقربا لدغه . استشعر زلزالاً وشيك الحدوث سيضرب
الصرح العظيم الذي بناه منذ ثلاثين سنة .. بالتحديد الخميس 10 فبراير
1983 بعد مقابلة والد مرام المدمرة بنحو ستين.

عجيب عقل الانسان يستحضر من الذاكرة في فيمتو ثانية شريطا من
الأحداث استغرق حدوثه زما طويلا. الشريط يجري أمام مخيلته بسرعة
هائلة توقف عند لقائهما الأول الأربعاء 4 أغسطس 1982 حر شديد ورغبة
شديدة في انهاء مقابلة مع مدير مستشفى النهضة بمصر الجديدة بأسرع ما
يمكن ليلحق بديزل الساعة الثانية بعد الظهر المتجه إلى الإسكندرية. طرق
باب المدير مرتين وعندما وضع يده على أكرة الباب كانت يد رقيقة سبقته
فضغطا سويا عليها. فانفتح الباب على مكتب د. صيدلى شاكر نور الدين
استقبلها ببشاشة :

- أهلا يا دلال .. دايا في ميعادك حجز الديزل تم وشاليه المعمورة
تم تجهيزه لاستقبال ماما وأخوكي نادر. يعني كله تمام.
تنبه أنه لم يعر د. هاني التفاتا قال وهو يقهقه :

- معذرة يا د. هاني بنتي دلال حبيبة أبوها دخلتم مع بعض
والخواجات يقولوا .. السيدات أولا Ladies first

- أهلا بالآنسة دلال . د. شاكر مش حعطلك أنا أخذت الطلبة وفي
أسرع وقت إن شاء الرحمن حتكون عندكم. عن إذنكم مضطر
للتوجه لمحطة مصر يمكن ألاقي تذكرة في ديزل الساعة اتنين.
السلام عليكم .

لم يجد د. هاني تذكرة في الديزل وتوجه إلي بوفيه الديزل ليتناول الغداء
وليدفع غرامة الركوب بدون تذكرة. تذكر أغنية الموسيقار محمد عبد
الوهاب : " يا وابور قولي رايح على فين . " ضحك بينما لحن الأغنية يتردد
في أذنيه وحدثته نفسه قائلة : معلش يا سي عبدو الدنيا اتطورت مابقاش
فيها وابور بس بقى فيها ديزل. هارد لك. بينما كان يهاتف نفسه ومشغولا
عن طبق المكرونة الاسباجتي الموضوع أمامه وجد دلال وأخاها أمامه .
قالت ببساطة :

- تاني ؟!

- ده من حسن حظي .

- مجاملة لطيفه . أخويا نادر.

- برضه ده من حسن حظي أشوف نادر. شبه باباه.

لم تفارقه صورتها في الأيام التي قضاها في الاسكندرية .قامتها تزيد على المتر
والنصف بنحو عشرة سنتيمترات، العينان سوداوان والرموش سهام

- فين صوتك راح فين ؟... والآ السؤال غريب ؟ ... والآ عجيب ؟... والآ مفاجئ ؟

صمت رهيب... لم ينبس د. هاني بينت شفه ..

- يعني ساكت . كنت فاكّر إن الزوجة آخر من يعلم بس فاقت

وعرفت كل التفاصيل. فاتت 7 سنوات تقريبا على خيانتك.

ماقدرتش أصدق إنك تقدر تخوني. كانت بتجيلي مكالمات وكنت

بأقفل الخط. غيرت رقم الموبايل أكثر من مرة.. بس ولاد الحلال ما

هانش عليهم أفضل مغفلة العمر كله . المكالمات تهل عليّ يوم

الخميس. والخميس أنت خارج البيت في جولة ترويج ومتابعة

لمنتجات الشركة... وأنا أصدق واعمل لزوجي حبيبي.. أبو ولادي

كل إللي نفسه فيه. والجمعة حاضر بجمعة العيلة على الغداء. يا

جبروتك قدرت نخون وتمثل دور الأب والجد الصالح..

خرج د. هاني من غرفة النوم غاضبا وقد تعبأت انفعالاته بداخله واتجه إلى

غرفة المكتب بعد أن قال بعصبيه :

- إنتي مش فاهمة حاجة ... إنتي مش فاهمة أي حاجة علي الإطلاق.

الصباح رباح .. بكرة حيكون نقطة فاصلة في حياتنا. كل الأطراف

حتكون حاضرة.

دخل غرفة المكتب وألقى بنفسه علي الكنبه قبل أن يختل توازنه. هاتف مرام

والمحامي إبراهيم أبو النجا على الموبايل وروى لهما ما حدث وطلب منهما

الحضور الساعة الخامسة بعد العصر ومعهما قسيمة الزواج. واختتم كلامه

معها قائلا بثقة :

- لا تقلقي .. كل شئ سيكون بإذن الله على ما يرام. تصبحي على خير.

حاول النوم ولكن النوم لم يطر وحده من عينيه بل ربما أخذ عقله معه. لم يكن قادرا على ترتيب أفكاره .. الأفكار تتدافع بكثرة ومتنوعة ولكن عقله غير قادر على ترتيبها واستيعابها. الليل يطوي صفحاته والعيون في بيته ساهرة ساهرة لم ينل منها سوى الإجهاد والإرهاق. نام وكأنه لم ينم أخذ عقله الباطن يقلب ما جرى منذ زواجه الآخر من مرام .. لم تخامره نفسه لحظة في التراجع عنه .. كما أنه غير راغب في التخلي عن صفحة دلال .

تركية ثنائية الأبعاد لم يطغ فيها أي بعد على الآخر.

وعلى الجانب الآخر كانت زوجته نبيلة تعد العدة وتحشد حججها لتهدم المعبد. لماذا كل هذا الهوان ولماذا ترتضيته ؟ البنات وتجوزوا والولد كبير ولا حاجة به لأمه. فيللا بابا لسة مفتوحة .. نادر وأولاده شاغلين الدور الأرضي .. بقية الفيلا دورين مفروشين والفرش متغطي. الله يرحك يا بابا عملت حساب كل حاجة. غلبها النوم فنامت نوما متقطعا يشوبه التوتر. لم يزعجها قول زوجها .. بكرة حيكون نقطة فاصلة في حياتنا .. ابتسمت ابتسامة فاترة. وقالت أيه إللي عندك أكثر من إللي أنت عملته يا هاني ؟ أنا إللي عارفه آخرتها ... يا ترى أنت عارف آخرتها ؟

استيقظت من نومها على صوت آذان الفجر. توضأت ووجدت نورا في غرفة المكتب والدكتور هاني نائما على الكنبه متخذًا وضع القرفصاء دون غطاء .. غطته بكوفرتة. وانصرفت للصلاة.

دعا د. هاني ابنته مها وزوجها العقيد كامل شهاب وكذلك أماني وزوجها المهندس شامل عبد الغفار وعبد الرحيم وزوجته نبيلة والدكتور مجدي

مهران.. دعاهم جميعا على الغداء الساعة الثانية بعد الظهر . وأكد على أن الغداء مشويات .. كباب وكفتة.

فوجئت دلال بالضيوف ثم فوجئت بالطعام المطلوب ديليفري من الحاتي . دقت ساعة الحائط المعلقة على الحائط في الأنتريه معلنة الثانية .. دقتان تعلنان عن بدء تناول الغداء . تبادل الحضور نظرات شك وارتباب وجالت بخواطرهم تساؤلات متعددة قطعها د. هاني قائلا وقد أوشكوا على الانتهاء من تناول الطعام قال متهكما :

- سمعت صوت الشوك والسكاكين ولم أسمع كلمة واحدة لله تعالى. أنا شاييف وسماع همسكم الصامت : في أيه ؟ وأييه المناسبة ؟ قال الأستاذ عبدالرحيم مستبشرا :

- إن شاء الله كل خير. على الله المناسبة تكون سعيدة ؟
- يا ساده يا كرام أنا عامل الغداء ده على شرف دلال. هي عندها شوية كلام مهم عاوزه تقوله . حبت إمبراح تقوله على مستوى عموم العيلة وأنا حبيت تقوله ونسمعه ونناقشه على مستوى العيله والأطراف الملزمة بالموضوع .دلال حتكلمكم واحنا بنشرب الشاي بالنعناع في الصالون.

قدمت أماني الشاي واستعد الحضور لاستماع دلال . قالت في حسرة وأسى وتكاد الدموع المترقرة في عينيها تتساقط :

- كنت أحب أن تكون المناسبة أفضل من كده. بس هي ديه عوايد هاني . فرض الأمر الواقع.

تساءلت مها وأماني في قلق :

- في أيه يا ماما ؟ قلقتيينا ؟

واصلت دلال كلامها قائلة :

- أبوكم على علاقة بسيدة من سيدات المجتمع الأرستقراطي .
اسمها مرام . كانت زميلته في الكلية .

وقع الكلام كوقع الصاعقة على مها وأماني . الابدتان لم تصدقا ما قالته أمهما
وأبديتا استنكارهما . وواصلت دلال كلامها وهي تجهش بالبكاء :

- من حوالي 7 سنين وأنا مش داريانه ... الثقة ... الثقة العمياء .
قالولي ما صدقتش .. قتلهم أكذب عيني لو شفته " ولكني
شقيت بحسن ظني " .

تساءلت أماني باندھاش :

- معقول إللي بتقوله ماما .. قول حاجة يا بابا .. قول أي حاجة من
فضلك !

وانخرطت في البكاء وأخذت تربت على كتف أمها بينما تساءلت مها وهي
تحاول استعادة توازنها :

- طيب 7 سنين مش مصدقة يا ماما .. أيه إللي خلاكى مصدقة
النهارده ؟

خرجت نبيلة هانم عن صمتها وقالت بثقة :
- أنا .

تساءل زوجها عبدالرحيم مستكرا

- انتي ؟ بأي حق كشفتي المستور وأفشيتي السر إللي إئتمنا عليه
هاني ؟

- تفتكروا معقول أسيب دلال تضبيع بين بحور الشك المهلكة وتلال
الظنون المضنية . والله ده حرام .

لامتها مها قائلة :

- ليه يا طنط كدة ؟ انتي هديتي البيت ده ؟

وعقبت دلال قائلة :

- إنتي يا مها بتلومي إللي نورتنى وسايه بابا إلی ضلّم حياتي وظلمني . حرام عليكي . كفاية أنانية .

خرج د. هاني عن صمته أخيرا وقال مبتسما :

- أنا في الحقيقة بأوجه الشكر لنبيلة هانم . دلال كانت حسه في حاجه اتغيرت فيّ . ما عرفش حسّت إزاي وليه . كان شعورها ده يفسد كل لحظة جميلة كنت باسرقها من الزمن... لأ : ما سرقتهاش .. كنت باستردها من الزمن إللي اغتصبها مني .

- وماما كانت فين من ده كله .. والهانم كانت مبسوطة طبعاً ونسيت في غمرة سعادتها أنها حرامية رجالة .. سارقة راجل من بيته .

عقب د. هاني محذرا بغضب :

- مها لا تنسي إن إلي بتتكلمي عليها ده كان من الممكن تكون أمك .

- لأ.. لأ يا بابا .. ماما مش حرامية رجالة . وده مش ممكن تكون أمي .

- احترمي نفسك يا بنت ..

واستطرد بلهجة حازمة قاطعة :

- مرام مش حرامية رجاله ولا أنا بتاع نسوان . ا لقصة قصة الحب

الأول عند كل شاب وشابة .. قلوب مقبلة على الدنيا الحب زرعها والورد طرّحها ..

وتابع كلامه كمن يعيش حلما جميلاً :

- بس لا يضيع الزرع وطرحه مهما نسيته أو حاولت تنساه .. ح
تلاقي عطر ورده يهل عليك .. فيصحي ذكراه ..

قالت دلال وقد استعادت رباط جأشها واكتست وجهها ابتسامة فاترة
باهتة تخفي ما بداخلها من حزن على أيام عمرها التي ضاعت سدى :

- هاني والله أعلم عايش فترة مراهقة متأخرة . 30 سنة جواز ولسه

ماشبعش وعایش في أحلام الحب الأول. في ناس كده...حنين
الماضي يراودهم...يصحي أحلام وأيام وذكريات طواها الزمن

ردد. هاني على زوجته دلال نافيا اتهامه قائلاً :

- لا يا دلال ده مش صحيح أنا ما فرطش في حق من حقوقك ولا
سمحت لحد يقرب من حقوقك ولا حقوق ولادنا.

تريث قليلا واستجمع قواه بينما كان يتفرس في الوجوه الحاضرة وأردف
قائلاً بحسم :

- أنا لا خنت ولا خخون ولا هاهجر. ده بيتي وبيت دلال وبيت

الأولاد. هنا حياتي وهنا يأذن الله مماتي. ليه ده كله ..عشان أیه ؟

توقف عن الكلام ليوقف من حدة انفعاله مستفسراً بدهشة :

- عشان ثلاث ساعات بـ أقضيها مع مرام في الوقت الضائع من يوم

الخميس بعد الانتهاء من العمل. ما أنا بايت بايت في المحافظة إللي

فيها جولة العمل...هوه في أیه ؟

استشعر جفاف حلقه من الانفعال توقف عن الكلام وطلب من أماني أن

تحضر له كوباً من الماء ودواء الضغط .انتاب الحضور لحظات من القلق من

شدة إنفعال د. هاني. غير أنه كان للمهندس شامل عبدالغفار رأي آخر

هاتفته به نفسه. حدثته نفسه قائلة : يا لك من رجل مخادع داهية بل ساحر

سحرت الحضور بسحرك. الكلام مترتب والمنطق المغلوط شكله صحيح ويخيل على الكل. أصبحت أنت الضحية وأصبحت دلال هانم الجانية . يا جبروتك يا د. هاني .

واصل د. هاني قائلاً بعد أن تناول الدواء وشرب كوب الماء الذي قدمته له دلال :

- 168 ساعة في الأسبوع..حرام أن اخصص لنفسى 3 ساعات.

دلال لها 165 ساعة في الأسبوع ومرام لها 3 ساعات في الوقت

الضائع. دلال هي الحب الأخير إليّ عشت به بقية حياتي ومرام هي

حبي الأول إليّ نور بداية حياتي.

نظر إلى ساعة يده وقال بحزم :

- ضيفين مهمين سينضمّان الآن إلى جمعنا.لهما في بيتنا كل التقدير

والاحترام.وأكرر لن أقبل المساس بهما هما : مرام والأستاذ إبراهيم

أبو النجا المحامي.

دق جرس الباب وتعلقت عيون الحاضرين صوب الباب.دخلت مرام

بخطى واثقة أبهرت الجميع ببساطتها وأناقتها .سيدة ارسقراطية من

ساسها لرأسها..ربما تخطت الستين من عمرها ولكنها محتفظة برشاقتها. فلا

ترهلات ولا بروزات .فحصتها دلال فحصا دقيقا من رأسها وشعرها

الفضي المنسدل إلى العقد اللولي الثلاثي الأدوار مروراً بتأثير كحلى اللون

وعلى الصدر الأيسر بروش على هيئة طائر من حبات اللولي الصغيرة المطعم

بالذهب وحة من الفيروز لكل عين من عيني الطائر. ورغم أنها رصدت

العيون التي فحصتها لم ترتبك..لأنها ببساطة ليست في منافسة كما أنها

تعرف مكانتها عند د. هاني..تعرف بذكائها أنها ذاهبة إلى عش الدبابير، وأن

عليها التحلي بالصبر والحكمة مع الهجوم المتوقع عليها . كلما التقت عيناها مع أي من عيون الحاضرين استقبلتها بابتسامة وإيلاء ودودة..بادر د. هاني بالترحيب بها وبالأستاذ إبراهيم أبو النجا. قال د. هاني :

- زوجتي الثانية مرام الشافعي زميلتي وحبى الأول .

استنكرت مها غاضبة تصریح أبيها قائلة :

- لا يا بابا لا تضع الست ده في مكانة أمتا..ليه كدة ؟

ردت عليها مرام بهدوء قائلة :

- معاكي حق يا مدام مها أنا لا أرقى إلى منزلة الوالدة دلال هانم من

جميع الجوانب ..

أراد د. هاني أن يمنعها من الكلام ولكنها طلبت منه أن يتركها تكمل

كلامها وتابعت بابتسامة قائلة :

- دلال هانم الزوجة الحبيبة على مدي حياته والأم العظيمة ولا أنا

ولا غيري يمكنه أن يباريها مكانة في قلب الوالد. وأؤكد للجميع

بمقتضى عقد الزواج العرفي الموثق حرصي وحرصه على عدم

المساس بأي حق من حقوقكم. أنا طلبت من الأستاذ إبراهيم أن

يصور عقد زواجنا وستجدون فيه إللي أنا قلته واكثر.

سادت حالة من الصمت بينما مها وأماني تقرأن صورة العقد. تحين د. مجدى

الفرصة وقال :

- الحقيقة أنا شاهد على قصة حب مدام مرام والدكتور هاني من

ألفها إلى يائها. أنا إللي رحت معاه عشان نخطب د. مرام من والدها

الباشا... إللي رفض بطبيعة الحال.

قاطعته المهندس شامل ساخرا :

- مش قد المقام طبعاً ؟!

- بالتأكيد مش قد المقام.

وعاد المهندس شامل يسأل :

- وأيه إن شاء الله إللي غير الأحوال ؟

- دوام الحال من المحال. الباشا توفاه الله . وبعدين د. هاني كبر وبقى

شخصية مرموقة.

- آه قولتلي ؟!

- لأ، مش زي ما راح ذهنك يا باشمهندس. أنا شايف ذهنك راح

بيك بعيد. الحقيقة إللي يجب مانسهاش لها أبعاد ثلاثة : أولاً حب

د.هاني الأول ما ماتش زي ما بيحصل مع معظم الناس..لأن

الإخلاص ركيزة أساسية في شخصية د. هاني.

علقت أمانى بتهكم :

- إخلاص أيه يا دكتور مجدي إللي أنت جاي تقول عليه من فضلك

سبب الإخلاص في حاله.

لم يعقب د. مجدي على تعليق أمانى واكتفى بأن منحها ابتسامة ومضى قائلاً :

- ثانياً : ماكانش ممكن د. هاني يظهر في المجتمع مع د. مرام دون أن

يكون هناك ارتباط رسمي بينهما .

وعلق المهندس شامل قائلاً بازدراء :

- يبقى نتجوز !!

لم يعقب د. مجدي على تعليق المهندس شامل واكتفى بأن منحه ابتسامة

ومضى قائلاً :

- البعد الثالث وهو الأهم سواء عند د. مرام أو د. هاني. كلاهما

حريص على عدم إغضاب مدام دلال.

سكوت مطبق كأن على رؤس الحضور الطير أو كأنهم في مسرحية ملكت الرواية علي الجمهور مشاعرهم، وسيطر الممثلون بأدائهم التميز على عقولهم. تابع د. مجدي كلامه قائلا :

- مدام دلال هي الحياه بالنسبة الي د. هاني ..هي روح وجسد وديناميكة الحياة . أما الدكتورة مرام فهي لحظة توقفت فيها حياة د. هاني استعدادها ليواصل المشوار. وتظل مدام دلال هي الأصل. والدليل على كده وقته كله لدلال هانم.

عقب العقيد كامل شهاب قائلا :

- بعد المرافعة العظيمة ده لازم أهنيك ولازم أقول لك أنت خسارة في الطب كان لازم تشتغل بالمحاماة .
وأضاف المهندس شامل ساخرا :

- يا ريتك مسكت ملف القضية الفلسطينية كنا زمنا استردينا الأرض المحتلة.

أخيرا تكلم الأستاذ إبراهيم أبو النجا المحامي .. قال ضاحكا :

- يا د. هاني ...الدكتور مجدي ما سابش لي حاجة أقولها غير تنفيذ رغبة د. مرام بادخال أي رغبات أو تعديلات ترونها على العقد إللي بين أيديكم .

- وأضافت د. مرام قائلة بوضوح أنا موجودة لتنفيذ إللي تشوفوه .
كانت مناسبة طيبة لأن تشارك دلال في النقاش الدائر بشأنها . قالت بهدوء تحسد عليه :

- أذكركم جميعا عقد زواجي من هاني يجعل منه زوجا طول الوقت وليس لمعظم الوقت. كما يجعل مني زوجة طول الوقت وليس لمعظم الوقت.

ردت د. مرام على الفور دون أدنى تردد :

- لكي هذا .هذا حقك ولا ينازعك فيه أحد. المحافظة علي البيت ده أهم من أي شئ.يمكنني مواصلة الحياة كما كانت قبل ارتباطي بهاني.تكفيني الساعات إللي قضيتها معاه طول الفترة الماضية عشان تكون الزاد والزواد ليلي فاضل من عمري.

أيقن د. هانى أن مرام أخذت قرارها بالفراق بكلامها الأخير ولن ترضى عنه بديلا ..لن ترضى مهما قلت بتسول الحب ولن تقبل أبدا هدم سعادة زوجة حياتها هادئة مستقرة.قال متعجبا :

- يعني أنا خارج اللعبة.. وكأن كل ما قلناه لم يكن له صدى. قررنا وعليّ قبول قراركم .

قالت د. مرام بهدوء تحسد عليه :

- كل إللي قلناه كان تفسير لما كان.. بس إللي جاي لن يُجِد فيه ما يشيني علي قرارى. كنا بنحاول تفسير أو تبرير ما لا يبرر.دلال هانم بيّنت لنا انها متجوزاك فول تايم full time وهي على حق

- يعني أيه يا مرام ؟

- إللي ما أقبلوش لنفسى لازم ما أقبلوش لغيري.كل إللي في العقد باقي على ما هو عليه..يا إبراهيم بيه . أرجوك حلني من الارتباط يا هاني .

- تفتكروا الطلاق ح يلغي مكانة مرام في قلبي .. كانت السنين إللي فاتت نَسْتَهالي. أنا قُلتولكوا فرمان الباشا والدها رحمة الله عليه ما منعنيش أن أعيش معها في أحلامي...ولا فرمان دلال ح..

قالت مرام متوسلة :

- أرجوك يا د. هاني متصعبش الأمور وبلاش تكمل كلامك. أرجوكم خلوني صديقة صدوقة لهذه الأسرة العظيمة. وخليك فاكركان شاغلنا الوحيد مدام دلال.

قامت واستأذنت في الانصراف وقام معها الأستاذ إبراهيم المحامي. خرجت مرام تودع أيامها وذكرايتها وكاسيت سيارتها يشدو بأغنية الفنانة أمال ماهر من السنة للسنة فتلتقي مع كلمات وصوت يشكو بحب وحنين.. للذكرى قبل ما ينسى كان في بينا إيه... بكت مرام كما تبكى بنت العشرين على حبها الأول.. واهتز صدرها بعنف وهي تحاول جاهدة إخفاء مشاعرها وانفعالاتها.. تشدو أمال ماهر.. ولو قابلته هيعرف إنو ليه لسه في حياتي مكان ... ومن السنة للسنة هسأل عليه وهتعبلو.. لو أسمع صدفة من حد إنو كان تعبان ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الايداع

2014 / 9297

الترقيم الدولي I.S.B.N 978-977-209-254-3